جامعة الملك عبدالعزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة

صفة الكلام بين السلف والمتكلمين

رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية
لنيل درجة الماجستير في العقيدة

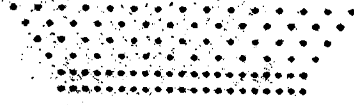
إعداد
سعود بن عبدالله بن محمد الغنيم

إشراف
الشيخ محمد كمال هاشم نجا



٩٨ - ١٣٩٩ هـ
٧٨ - ١٩٧٩ م

(((شكر وتقدير)))



الحمد لله وأشكره على ما تفضل به من نعمة ظاهرة وباطنة على ما علمت منه وما لم أعلم طالبا منه تعالى المزيد كما قال تعالى " لئن شكرتم لأزيدنكم " (١)

ثم أشكر بعد الله تعالى ولاة الأمر في بلادنا التي شرفها وعزها بالاسلام وأخص بالشكر والتقدير المسئولين في جامعة الملك عبد العزيز .

فهؤلاء وأولئك يعملون في سبيل نشر العلم وتوفير أسبابه مادية ومعنوية لراحة أبنائهم والسمو بهم الى أعلى درجات العلم والمعرفة .

ثم أتقدم بشكري العظيم الى المشرف على هذه الرسالة الشيخ كمال محمد هاشم نجا الذي لم يدخر وسعا في توجيهاته ونصائحه القيمة نحو هذا البحث فبذل الكثير من وقته حيث أنه فتح لي صدره وبيته ولو في الوقت الذي هو بأمس الحاجة اليه حتى ظهر هذا البحث الى حيز الوجود .

وأني بحق أقول ان الكلمات التي أسطرها شاكراً بها شيخي بل أبي تعجز عن تقديم شكري العظيم له ، والله أسأل أن يجزيه عني أحسن الجزاء وأن يمد في عمره ويزيد قوته ويحسن عمله وينفع بعلمه انه على كل شيء قدير .

كما أتقدم بالشكر والتقدير الى كل من قدم لي يد العون والمساعدة من اعارة كتب وتوجيه وارشاد نحو هذا البحث وأسأل الله العظيم أن يمن علي وعلى كل هؤلاء بكريم فضله وحسن جزائه وأن يشملنا برعايته ونصرته انه نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) سورة ابراهيم جزء من آية (٧)

ثبت بالموضوعات

ثبت بالموضوعات	الصفحة
الفصل الرابع : - أدلة السلف وأئمة الدين على ما ذهبوا اليه في معنى كلام الله تعالى	٤٦
الاستدلال على أن كلامه تعالى غير مخلوق من الآيات	٤٦
رد قول الجهمية أن الله يخلق بقدرته لا بكلامه	٥١
ليس كل حادث مخلوقا عند السلف	٥١
الأدلة من السنة على أن كلامه تعالى غير مخلوق	٥٣
الأدلة التي تثبت أن كلامه تعالى صفة له غير مخلوق	٥٦
أقوال السلف في اثبات أزلية صفات كما له تعالى	٥٦
رد قول القاضي عبد الجبار وكيف يصح أن يكون متكلما فيما لم يزل مع أن المتكلم من فعل الكلام	٦٠
الاستدلال على أن كلامه تعالى حروف وأصوات مسموعة منه تعالى حقيقة	٦١
الأدلة من الآيات	٦١
الأدلة من السنة	٦٣
النداء لغة	٦٥
الدليل من الاجماع	٦٦
مسمى الكلام عند الاطلاق	٦٧
شبهة من نفى أن يكون كلامه تعالى حروفا وأصواتا والجواب عنها	٦٧
الأدلة على أن كلامه تعالى بقدرته ومشيئته	٧٠
الأدلة من الآيات	٧٠
الأدلة من السنة	٧٢
الأدلة من العقل	٧٥
الفصل الخامس : - في القراءة أهي مخلوقة أو غير مخلوقة وحكم من توقف فلم يقل القرآن مخلوق ولم يقل غير مخلوق	٧٦
اختلاف أهل الحديث في القول بأن القراءة مخلوقة أو غير مخلوقة	٧٦
منشأ الخلاف وسببه	٧٦

ثبت بالموضوعات	الصفحة

ثبت بالموضوعات	الصفحة
مناقشة الدليل الثالث	١٠٩
مناقشة الدليل الرابع	١١٣
بيان أن النفاة يلزمهم قيام الأفعال الاختيارية بذاته تعالى وتناقضهم	١١٥
رد ابن تيمية ما اعترض به على قول الرازى من أن النفاة يلزمهم قيام الحوادث بذاته تعالى	١١٩
* الباب الثاني : -	
بيان مذاهب المتكلمين فى معنى كلام الله تعالى وأدلتهم على ذلك ومناقشتها ويحتوى هذا الباب على فصول سبعة	١٢٢
الفصل الأول : - فى بيان مذهب الجهمية والمعتزلة فى معنى كلام الله تعالى	١٢٣
ويحتوى هذا الفصل على ستة مباحث .	
المبحث الأول : - فى بيان مذهبهم فى معنى كلام الله تعالى ..	١٢٤
المبحث الثانى : - فى ذكر أقوال انفرد بها بعض المعتزلة فى كلام الله تعالى وردها	١٣١
المبحث الثالث : - فى بيان دليلهم على أن المتكلم من فعل الكلام	١٣٤
المبحث الرابع : - أدلة المعتزلة على أن كلامه تعالى مخلوق وردها أدلتهم العقلية	١٣٦
الدليل الأول	١٣٦
الدليل الثانى والثالث	١٣٧
الدليل الرابع	١٣٨
الدليل الخامس والسادس	١٣٩
الجواب عن أدلتهم العقلية	١٣٩
أدلتهم النقلية	١٤٣
أدلتهم من الآيات	١٤٣
الدليل الأول والجواب عنه	١٤٣
الدليل الثانى والجواب عنه	١٤٨

ثبت بالموضوعات	الصفحة

ثبت بالموضوعات	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، المختص بصفات الكمال بلا شبيه ولا مثال ،

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، الغني عما سواه .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أفضل العارفين برب العالمين ، أرسله الله بالقرآن الكريم ، يهدي الناس الى الحق والى طريق مستقيم ، فبلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة ، وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن سلك طريقهم الى يوم الدين .

أما بعد : فطبعي أن يكون هناك اختلافات بين السلف ومن تبعهم على منهجهم ، وبين أهل الكلام في صفات الله تعالى ومنها الكلام - نفيا واثباتا .

ذلك أن الفريقين مختلفان في المنهج والاتجاه ، والفهم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فالسلف يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل .

أما أهل الكلام من المعتزلة الجهمية ومن تبعهم ، فيقدمون العقل على النقل ، ويؤولون النصوص الواردة في اثبات الصفات حتى يلائم ما اعتقدوه بعقولهم ، زعما منهم أن العقل قطعي الدلالة بخلاف النص فهو ظني الدلالة ، والمتيقن والقطعي مقدم على الظني . ومن الواضح أن يكون لتقديم العقل على النقل أثر يوهن من قوة العقيدة ، كما أنه يجعل الاسلام أكثر قابلية للتأثر بما يطرأ عليه من خارجه من عوامل التعديل وما يدعى انه اصلاح .

فنرى بعد انقضاء فترة من الزمن ألوانا من العقائد وصورا من الحياة الدينية تخالف ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة .

بل ترى العقائد مختلفة متضاربة تبعا لاختلاف العقول والافهام . العمل بما جاءت به النصوص ، وصيانتها قد أتت بخير النتائج وأعظمها فائدة . المحافظة على أصول الاسلام ومنابعه ليظل اسلاما سبيل لبلوغ هذه الغاية هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولما كان من الواجب على طالب الدراسات العليا أن يتم دراسته المنهجية بتقديم بحث فى مجال تخصصه يمنح بموجبه درجة الماجستير ، وكنت أحد الطلاب فى فرع العقيدة الذى يبحث فى أصول الدين استعنت بالله تعالى ونظرت فى عدد من مواضيع هذا التخصص ، ورأيت أحقها بالكتابة " صفة الكلام " .

ولصعوبته ويشهد بذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فيقول : (مسألة الكلام التى حيرت عقول الانام) (١)

ولتناوله عدة موضوعات يجدر بالمسلم أن يعرفها حق المعرفة ، جعلت موضوع رسالتى " صفة الكلام بين السلف والمعتزلة " .

(وقد وافق عليه مجلس الفرع ومجلس القسم ، ولقى قبولا من المجلسين ولكن مجلس الكلية رأى تعديله ليكون " صفة الكلام بين السلف والمتكلمين " فاستجبت لذلك ، على الرغم من اتساع مجال البحث فيه ..

هذا الى أنه لم يكن باستطاعتى تبديل الموضوع أو تحديده الا بعد مضى الاجازة ، الامر الذى يفوت الكثير من الوقت المحدد للبحث .)

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٣٤

وليس بخاف أن الموضوع يحتاج الى وقت ليس بالقصير ، للبحث عن مصادره ، وفهم عبارات علماء الكلام الذين بحثوا فى مثل هذا الموضوع ، وأخص بالذكر كتب القاضى عبد الجبار ، المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ، وشرح الاصول الخمسة ، وغيرهما ، وكتاب التوحيد لابى منصور الماتريدى ، وغير ذلك من كتب علماء الكلام .

(وان كنت قد أشرت الى أهمية هذا الموضوع فأزيد الامر ايضاحا فأقول : الذى دفعنى لاختيار هذا الموضوع أمور : منها :)

ولكثرة ما قيل واعترض به على مذهب السلف الصالح ومن تبعهم من أئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين فى كلام الله تعالى ، وما أدركته من أن ذلك يرجع الى الخطأ فى فهم مذهبهم ومعرفة حقيقته .

لقد دفعنى ذلك الى أن أبين حقيقة مذهبهم ، وما استدلوا به عليه مدعما ذلك بالنصوص والآثار الواردة عنهم .

وبذلك أكون قد أوضحت حقيقة مذهبهم كما اعتقدوه فى كلام الله تعالى ، فلا يكون هناك مجال للاختلاف فى مذهب السلف الصالح ومن تبعهم على منهجهم ، فهم القدوة ، والاولى بالاتباع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومنها : أن ما كتب فى هذا الموضوع قد يكون غير واضح العبارة لدى كثير من القراء ، وانه قد يلتزم مذهبا معينا يدافع عنه بأدلة قد تكون واهية فى كثير من الاحيان ، الامر الذى يستدعى بيان ضعفها حتى لا يلتبس الحق بالباطل .

ومنها : امتداد هذا الموضوع وشموله لموضوعات أخرى انبنى عليها خلاف كبير بين علماء الكلام .

ولأن هذا الموضوع يتناول البحث في القرآن أهو مخلوق أو غير مخلوق ، وهل هو كلام الله حقيقة أو مجازا ، ومعلوم أن القرآن أفضل الكلام ، ومن أفضل ما يتقرب به العبد الى ربه ...

فقد روى الدارمي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (.. وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) (١)

وروى أيضا عن خباب رضي الله عنه أنه قال : (..تقرب الى الله ما استطعت فانك لن تتقرب اليه بشيء أحب اليه من كلامه) (٢) .

وبعد قراءتي واطلاعي على ما كتب في هذا الموضوع رأيت أن أمهد للبحث ثم أجعله في بابين وخاتمة .

أما التمهيد فيحتوي على ثلاثة مباحث .

الاول : في الصفة ، ويتناول تعريفها في اللغة ، وفي اصطلاح المتكلمين ، وهل هي الوصف أو غيره ، والعلاقة بين الصفة والموصوف ، والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل عند المتكلمين ، وبيان ان السلف يصفون الله بصفات الذات ، وصفات الفعل ، وأنه تعالى يوصف بالاثبات والنفي .

الثاني : في الكلام : تعريفه في اللغة ، وفي اصطلاح النحاة .

الثالث : أدلة السلف والمتكلمين على أن الله تعالى متكلم ،

وبينا في هذا المبحث طرق استدلالهم على أن الله متكلم .

---

(١) الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي ص ٧٤

(٢) الرد على الجهمية لابن سعيد الدارمي ص ٧٩

البـــــاب الاول

وأما الباب الاول فهو في بيان مذهب السلف وأئمة الدين في معنى كلام الله تعالـــــى . ويحتوي هذا الباب على سبعة ~~مباحث~~ : فصول

الاول : في بيان مذهب السلف وائمة الدين في معنى كلام الله تعالى .

الثاني : في ذكر نصوص عنهم تثبت ما ذهبوا اليه في كلام الله تعالى .

الثالث: في بيان ان كلام الله عند السلف قديم النوع حادث الآحاد .

الرابع : في بيان أدلتهم في معنى كلام الله تعالى .

وحصرناها في ثلاثة أمور :

الاول : أدلتهم على أن كلامه تعالى غير مخلوق .

الثاني : أدلتهم على أن كلامه تعالى حروف وأصوات مسموعة منه حقيقة .

الثالث: أدلتهم على أن كلامه تعالى بقدرته ومشيئته .

الخامس: في ذكر اختلافهم في القراءة أهي مخلوقة ،أم غير مخلوقة ، وحكم من توقف فلم يقل القرآن مخلوق ،أم غير مخلوق .

السادس :في بيان مبدأ القول بخلق القرآن ، ومن امتحن من العلماء فيه .

السابع: في قيام الافعال الاختيارية بذاته تعالى .

وافترق الناس في هذه المسألة الى مثبتين ونفاة . وقد استـــــدل المثبتون بأدلة نقلية وعقلية ،أما النفاة فليس معهم من السمع الصحيح شيء وانما يستدلون على النفي بالعقل ، ولهم في ذلك أدلة كثيـــرة ذكرنا أهمها وناقشناها .

البـــــاب الثانـــــى

وأما الباب الثانى : فهو فى بيان مذاهب المتكلمين فى معنى كلام الله تعالى وأدلتهم على ذلك ، ومناقشتها .

ويحتوى هذا الباب على فصول سبعة :

الفصل الاول : فى بيان مذهب الجهمية والمعتزلة ، وأدلتهم ومناقشتها وقد استدلوا على أن كلامه مخلوق بالعقل والنقل .

الفصل الثانى : فى بيان مذهب ابن كلاب .

الفصل الثالث : فى بيان مذهب الاشاعرة وأدلتهم .

وهذا الفصل يحتوى على عشرة مباحث :

الاول : فى بيان حقيقة كلام الله وأدلتهم على ذلك .

الثانى : فى بيان أدلتهم فى مغايرة المعنى النفسى للعلم والارادة ، وللألفاظ الدالة عليه

الثالث : فى بيان أن كلام الله واحد ودليله .

الرابع : فى بيان تعلق الكلام وتكثره بحسبه .

الخامس: فى بيان أن المعنى النفسى مدلول الكلام اللفظى .

السادس: فى تسمية القرآن العربى بكلام الله حقيقة أم مجاز .

السابع : فى معنى انزال القرآن .

الثامن : فى معنى سماع كلام الله .

التاسع : فى بيان المعجز من القرآن .

العاشر : فى بيان كلام الله عند الاشعرى على مافهمه بعض المحققين .

الفصل الرابع : في بيان مذهب أبي منصور الماتريدي .

الفصل الخامس : في مناقشة مذهب الاشاعرة ومن وافقهم في معنى كلام الله تعالــــى .

الفصل السادس : في بيان مذهب الاقترانية من السالمية وغيرهم . ومناقشته .

الفصل السابع : في بيان مذهب الكرامية ومناقشته .

الخاتمـــــة

وأما الخاتمة فتحتوي على أهم النتائج التي توصلنا اليها في هذا البحث .

تمهيـــــــد

يحتوى هذا التمهيد على ثلاثة مباحث :

الاول : فى الصفة ، ويتناول تعريفها فى اللغة وفى اصطلاح المتكلميـــن ، وهل هى الوصف أو غيره ، والعلاقة بين الصفة والموصوف ، والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل عند المتكلمين ، وبيان أن السلف يصفون الله بصفـــات الذات و صفات الفعل ، وأنه تعالى يوصف بالنفى والاثبات .

الثانـي : فى الكلام تعريفه فى اللغة ، وفى اصطلاح النحاة .

الثالث : أدلة السلف والمتكلمين على أن الله تعالى متكلم .

(المبحث الأول)

الصفة لغة : مصدر وصف ، وكذلك الوصف .

وقيل : الوصف المصدر والصفة الحلية ، قال ابن منظور :

" وصف : وصف الشيء له .... وصفا وصفة حلاه ، وقيل : الوصـــف المصدر والصفة الحلية " (١)

وقال أبو منصور الازهرى : (وقال الليث الوصف وصفك الشى بحليتـه ونعته) (٢) .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ٢٧٢ . وانظر تاج العروس للزبيدى مجلد ٦ ص ٢٢٦

(٢) تهذيب اللغة لابى منصور الازهرى ج ١٢ ص ٢٤٨

وفى مختار الصحاح : (الصفة كالعلم والسواد) (١)

فالصفة فى الأصل مصدر من وصفت الشيء اذا ذكرته بمعان فيه (٢) .

وفى اصطلاح النحاة :

الصفة (هى التابع الذى يكمل متبوعه بدلالته على معنى فيه ،أو فيما له تعلق به) (٣) .

والصفة عند النحاة هى الموصوف جاء فى مختار الصحاح : (... فلذا قالوا : لا يجوز ان يضاف الشيء الى صفته كما لا يجوز أن يضاف الى نفسه لان الصفة هى الموصوف عندهم) (٤) .

وفى اصطلاح المتكلمين :

(عبارة عن كل أمر زائد على الذات يفهم فى ضمن فهم الذات ،ثبوتيا كان أو سلبيا فيدخل فيه الألوان والأكوان والأصوات ،والادراكات وغير ذلك) (٥)

وقال الراغب :

(والحق أن الصفة : هى ما وقع الوصف مشتقا منها وهو دال عليها وذلك مثل العلم والقدرة ونحو ذلك) (٦)

---

(١) مختار الصحاح لأبى بكر الرازى ص ٧٢٤ - الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م وانظر لسان العرب ج ١١ ص ٢٧٣

(٢) انظر سفينة الراغب ودفينة الطالب لمحمد راغب باشا ص ٤٥٥

(٣) معجم النحو لعبد الغنى الدقر ص ٢٠٤

(٤) مختار الصحاح ص ٧٢٥

(٥) سفينة الراغب ص ٤٥٥

(٦) المرجع السابق نفس الصفحة

والصفة عند أئمة أهل السنة زائدة على الموصوف من حيث المعنى ، أما في الحقيقة والواقع فلا توجد الذات الا بصفاتها اللازمة لها .

جاء في شرح الطحاوية : (ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات ، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها ، وانما يعرض للذهن ذات وصفة ، كل وحده ، وليس في الخارج ذات غير موصوفة ، فان هذا محال ..) (١) .

(٢)
والصفة عند المعتزلة بمعنى الوصف :

قال أبو بكر الباقلاني : (وزعمت المعتزلة القدرية أن الصفة ليست بمعنى أكثر من الوصف .) (٣)

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٦٤

(٢) المعتزلة قال الشهرستاني : في الملل والنحل عنهم : (يسمون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية ، والعدليه وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا ، وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، احترازا من وصمة اللقب ، اذ كان الذم به متفقا عليه لقول النبي عليه السلام القدرية مجوس هذه الأمة وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق على أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد ، فكيف يطلق لفظ الضد على الضد .. وقال في كلامه على الجبرية ص ٨٦ : (والمصنفون في المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية) ..

(٣) كتاب التمهيد لابي بكر الباقلاني ص ١١٤
أما الحال فهي عبارة عن صفة اثباتية لموجود غير متصفة بالوجود ولا بالعدم هكذا عرفها الآمدي في غاية المرام ص ٢٨ وقسمها الى قسمين معللة وغير معللة . انظر ص ٢٩ - ٣٠ وذكر البغدادي في الفرق بين الفرق ان أبا هاشم من المعتزلة اثبتها في ثلاثة مواضع انظر ص ١٩٥ .

وقال فى تعريف الوصف : (أما الوصف فهو قول الواصف لله تعالــى ولغيره بأنه عالم حى قادر) (١) .

وذهب الامام البخارى الى ذلك فيقول : (الوصف انما هو قول القائل ، حيث يقول : هذا رجل طويل وثقيل وجميل وحديد ، فالطول والجمال والحـــدة والثقل انما هو صفة الرجل وقول القائل وصف ...) (٢) .

وقال الجرجانى : الوصف (عبارة عما دل على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه أى يدل على الذات بصفة كأحمر فانه بجوهر حروفه يدل علــى معنى مقصود وهو الحمرة ، فالوصف والصفة مصدران كالوعد والعده ، والمتكلمون فرقوا بينهما فقالوا : الوصف يقوم بالواصف والصفة تقوم بالموصوف ، وقيل : الوصف هو القائم بالفاعل) . (٣) .

أما العلاقة بين الصفة والموصوف فقال الراغب فى سفينته مبينا ذلك : (والعلاقة بين الصفة والموصوف هى النسبة الثبوتية ، وتلك النسبة اذا اعتبرت من جانب الموصوف يعبر عنها بالاتصاف واذا اعتبرت من جانب الصفة يعبر عنها بالقيام ، والصفة تقوم بالموصوف والوصف يقوم بالواصف) . (٤)

= وجاء فى المواقف بشرحها معنى الحال ومن قال بها وابطالها فقال : (وهو الواسطة بين الموجود والمعدوم وقد اثبتها امام الحرميــن أولا والقاضي منا وأبو هاشم من المعتزلة وأنه أول من قال بالحــال وبطلانه ضرورى لما عرفت أن الموجود ماله تحقق والمعدوم ما ليس كذلك ولا واسطة بين النفى والاثبات) شرح المواقف ج ٣ ص ٢

(١) كتاب التمهيد ص ٢١٧

(٢) خلق أفعال العباد ص ٧٣ - ٧٤

(٣) التعريفات للجرجانى ص ٢٥٥

(٤) سفينة الراغب ص ٤٥٥

(صفات الذات وصفات الفعل عند المتكلمين)

اعلم أن الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل مختلف فيه :

فعند المعتزلة : صفات الذات ، ما يوصف به البارى لنفسه كالقول بأنه قادر حى وما أشبه ذلك ، ولم يجز أن يوصف بضده (١) ، ولا بالقدرة على ضده ، لانه لما وصف بأنه عالم لم يجز أن يوصف بأنه جاهل ولا بالقدرة على أن يجهل ، أما صفات الافعال فهى ما وصف البارى بضده أو بالقدرة على ضده ، وذلك أنه لما وصف بالارادة وصف بضدها من الكراهية . (٢)

فعلى هذا الحد الكلام من صفات الافعال ، لانه لما وصف به وصف بضده وهو السكوت .

فالمعتزلة ينفون عن الله قيام الصفة ذاتية كانت أو فعلية ويثبتون له تعالى الوصف .

أما عند الاشاعرة : (٣) فالفرق بينهما ان ما يلزم من نفيه

---

(١) الضدان هما المعنيان الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف ولا يتوقف عقلية أحدهما على عقلية الاخر كالبياض والسواد وحكمهما انهما لا يجتمعان فى موضوع واحد فى زمان واحد وقد يرتفعان . انظر حول هذا المعنى حاشية الدسوقى على ام البراهين ص ١٢٥ - ١٢٦ ، ١٣٣

(٢) انظر مقالات الاسلاميين لابى الحسن الاشعرى ج ١ ص ٢٦٣ وتاريخ الفرق الاسلامية للغرابى ص ٢٢٦

(٣) قسم الاشاعرة الصفة الى قسمين صفة ثبوتية وصفة سلبية ، والصفة الثبوتية تنقسم الى قسمين : نفسيه ، وهى التى تدل على الذات دون معنى زائد عليها ككون الجوهر جوهرا ، وقد يقال : هى ما لا يحتاج وصف الذات بها الى تعقل أمر زائد عليها ومآل العبارتين واحد .
وصفة معنوية : وهى التى تدل على معنى زائد على الذات (انظر فى ذلك المواقف بشرحها ج ٥ ص ٢)

نقيضه (١) فهو من صفات الذات فانك لو نفيت الحياة يلزم الموت ، ولو نفيت القدرة يلزم العجز ، وكذلك العلم مع الجهل ، وما لا يلزم من نفيه نقيضه فهو من صفات الفعل . فلو نفيت الاحياء والاماتة أو الخلق والرزق لم يلزم منه نقيضه .

فعلى هذا الحد : الارادة والكلام من صفات الذات لاستلزام نفى الارادة الجبر والاضطرار ونفى الكلام الخرس والسكوت) . (٢)

= أما الصفات السلبية : فهى كل صفة مدلولها عدم أمر لا يليق بالله تعالى : (انظر كبرى اليقينيات الكونية للبوطى ص ١٣٦)

(١) جاء في شرح أم البراهين : (وأما النقيضان فهما ثبوت أمر ونفيه فنقيض شجر لا شجر ونقيض زيد لا زيد) (راجع حاشية الدسوقى على أم البراهين ص (١٢١ - ١٢٢) وقال فى بيان حكمهما ص ١٢٥ : (والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كوجود زيد وعدمه) .

(٢) سفينة الراغب ص ٤٥٦ وانظر شرح الفقه الاكبر لابى حنيفة ص ٢٠ .

أما ماذكره الآمدى وغيره من الاشاعرة بقولهم ان صفات الذات لو لم يتصف بها لزم ان يتصف بضدها ، فمرادهم بالضد الضد اللغوى كما ذكر ذلك الدسوقى فى حاشية أم البراهين ص ١٢٠ بقوله : (مرادهم بالضد الضد اللغوى وهو مطلق المنافي سواء كان وجوديا أو عدميا لا الضد الاصطلاحى وهو خصوص الوصف الوجودى المقابل لمثله .

وبهذا التفريق يظهر أن الأشاعرة يثبتون لله تعالى قيام الصفات الذاتية وينفون عنه تعالى قيام صفات الأفعال .

أما السلف ومن تبعهم من أئمة الدين فانهم يثبتون قيام فعله تعالى بذاته كما يثبتون قيام الصفات اللازمة به سبحانه فانه تعالى لا يوصف بشيء لا يقوم به سبحانه منزه عن مشابهة المخلوقين .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (ومن قال : الصفات تنقسم الى صفات ذاتية وفعلية ، ولم يجعل الأفعال تقوم به ، فكلامه فيه تلبيس ، فانه سبحانه لا يوصف بشيء لا يقوم به وان سلّم أنه يتصف بما لا يقوم به ، فهذا هو أصل الجهمية الذين يصفونه بمخلوقاته ويقولون انه متكلم ومريد وراض وغضبان وراحم بمخلوقات يخلقها منفصلة عنه لا بأمور تقوم بذاته . (١) .

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن الله وصف نفسه بالأفعال اللازمة وبالأفعال المتعدية ، وأن الفعل المتعدي مستلزم للفعل اللازم فقال : (.. فان الله تعالى وصف نفسه بالأفعال اللازمة كالاستواء وبالأفعال المتعدية كالخلق . والفعل المتعدي مستلزم للفعل اللازم فان الفعل لابد له من فاعل سواء كان متعديا الى مفعول أو لم يكن ، والفاعل لابد له من فعل سواء كان فعله مقتصرا عليه أو متعديا الى غيره .

والفعل المتعدي الى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله اذ كان لابد من الفاعل وهذا معلوم سمعا وعقلا ...) (٢) .

---

(١) شرح العقيدة الاصفهانية ص ٦٣

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٢

وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي (١) في صفات الافعال : (وهذه الصفات لازمة له ايضا على قول أصحابنا وقديمة بقديم ، لا لقدم معانيها الذى هو الخلق والرزق والاحسان والاثابة والعقاب لان هذه كلها معان محدثة لا يجوز قدمها لان القول بقدمها يفضى الى القول بقدم العالم ..) (٢) .

وقال ابن تيمية :

(وكان الناس قبل أبي محمد بن كلاب (٣) صنفين فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله من الصفات التي يشاؤها ويقدر عليها ، والجهمية من المعتزلة وغيرهم ينكرون هذا وهذا ، فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الافعال وغيرها ، ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي وأبو الحسن الاشعرى (٤) وغيرهما .) (٥) .

كما يذهب السلف ومن تبعهم الى أن الله تعالى موصوف بالاثبات والنفي المتضمن للاثبات .

فان ما وصف الله به نفسه من النفي متضمن لاثبات المدح . ويبين ذلك ابن تيمية فيقول :

---

(١) القاضي أبو يعلى هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء توفي سنة ٤٥٨هـ (راجع مناقب الامام احمد بن حنبل لابي الفرج ابن الجوزى ص ٥٢١)

(٢) المعتمد في اصول الدين للقاضي ابو يعلى الحنبلي ص ٤٤ ، وانظر شرح الطحاوية ص ١٢

(٣) هو عبد الله بن سعيد بن كلاب ويقال عبد الله بن محمد ، أبو محمد بن كلاب القطان ، أحد ائمة المتكلمين ، له ذكر في زمن الامام احمد ابن حنبل وهو من متكلمي اهل السنة في أيام المأمون ، توفي من بعد سنة ٢٤٠ (انظر طبقات الشافعية جـ٢ ص ٢٩٩ - ٣٠٠)

(٤) علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم الاشعرى ... ، شيخ طريقة أهل السنة والجماعة ولد سنة ٢٦٠ وتوفي سنة ٣٢٤ هـ كما صححه ابن عساكر انظر طبقات الشافعية للسبكي ج ٣ ص ٣٤٧ - ٣٦١ وانظر تبيين كذب المفترى فيما نسب للامام الاشعرى لابن عساكر ص ٥٦

(٥) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٤ / ٥

(القاعدة الأولى : ان الله سبحانه موصوف بالاثبات والنفى .

فالاثبات كاخباره بانه بكل شئ عليم ، وعلى كل شئ قدير وأنه سميع بصير ونحو ذلك .

والنفى - كقوله : (لا تأخذه سنة ولا نوم) (١) وينبغى أن يعلم أن النفى ليس فيه مدح ولا كمال الا اذا تضمن اثباتا والا فمجرد النفى ليس فيه مدح ولا كمال لان النفى المحض عدم محض والعدم المحض ليس بشئ ، وما ليس بشئ فهو كما قيل ليس بشئ ، فضلا عن أن يكون مدحا أو كمالا ولأن النفى المحض يوصف به المعدوم والممتنع . والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال .

فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفى متضمنا لاثبات المدح كقوله (الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ..) الى قوله : (ولا يؤده حفظهما) فنفى السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام ، فهو مبين لكمال أنه الحى القيوم وكذلك قوله : (ولا يؤده حفظهما) أى لا يكرثه (٢) ولا يثقله .

وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها .

بخلاف المخلوق القادر اذا كان يقدر على الشئ بنوع كلفة ومشقة فان هذا نقص فى قدرته وعيب فى قدرته ...

وكذلك قوله : (لا تدركه الأبصار) (٣) انما نفى الادراك الذى هو الاحاطة

---

(١) سورة البقرة جزء من آية ٢٥٥

(٢) أكرثه اشتد عليه (راجع القاموس المحيط للفيروزآبادى ج ١ ص ١٧٢ ط ٢)

(٣) سورة الانعام جزء من آية (١٠٣)

كما قاله أكثر العلماء، ولم ينف مجرد الرؤية ،لأنّ المعدوم لا يرى ، وليس في كونه لا يرى مدح ،اذ لوكان كذلك لكان المعدوم ممدوحا ،وانما المدح في كونه لا يحاط به ،وان رئى . كما أنه لا يحاط به وان علم. فكما أنه اذا علم لا يحاط به علما ،فكذلك اذا رئى لا يحاط به رؤية ،فكان في نفي الادراك من اثبات عظمته ما يكون مدحا وصفة كمال ،وكان ذلك دليلا على اثبات الرؤية لا على نفيها ، لكنه دليل على اثبات الرؤية مع عدم الاحاطة . وهذا هو الحق الذى اتفق عليه سلف الأمّة وأئمتها .) (١)

---

(١) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٢٢ - ٢٣

المبحث الثاني

حد الكلام لغة : جاء في الصحاح : (الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلمة أيضا القصيدة بطولها ..) (١)

ومن أهل اللغة من فرق بين الكلام والقول .

جاء في تاج العروس : (الكلام القول ، معروف أو ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة ، والقول ما لم يكن مكتفيا بنفسه وهو الجزء من الجملة) . (٢)

وجاء في القاموس المحيط : (والقول : الكلام أو كل لفظ مذل به اللسان تاما أو ناقصا ، والقول في الخير والقال والقيل والقالة في الشر ، والقول مصدر والقال والقيل اسمان له .) (٣)

أما الكلام في اصطلاح النحاة فهو كما جاء في معجم النحو : (عبارة عما اجتمع فيه أمران اللفظ (٤) والافادة . والمراد بالافادة ما يدل على معنى يحسن السكوت عليه ، وأقل ما يتألف الكلام من اسمين نحو (العلم نور) أو من فعل واسم ، نحو (ظهر الحق) ومنه (استقم) فانه مركب من فعل الأمر المنطوق به ، ومن الفاعل الذي هو ضمير المخاطب المقدر بأنت) (٥) .

أما القول فيعم المفيد وغير المفيد .

---

(١) الصحاح للجوهري ج ٥ ص ٢٠٢٣
وفي القاموس المحيط ج ٣ ص ١٧٤ (والكلمة اللفظة والقصيدة
(٢) تاج العروس ج ٩ ص ٤٨ وانظر لسان العرب ج ١٢ ص ٥٢٣
والقاموس المحيط ج ٤ ص ١٧٤
(٣) القاموس المحيط ج ٤ ص ٤٢
(٤) لفظت بالشيء ألفظ لفظا تكلمت ، المخصص لابن سيده ج ٣ ص ١١٢
(٥) معجم النحو لعبد الغني الدقر ص ٢٨٦ . وانظر شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٤ وشرح الأشموني ج ١ ص ١٦

قال عبدالغنى الدقر فى معجم النحو : (القول - هو اللفظ الدال على معنى ، فهو أعم من الكلام والكلم والكلمة .) (١)

المبحث الثالث

الاستدلال على أن الله تعالى متكلم

السلف وأئمة الدين وفرق المسلمين المتكلمين لم يختلفوا فى أن الله تعالى متكلم ، وانما اختلفوا فى معنى كلامه تعالى كما سيأتى .

وأما أدلة السلف والمتكلمين على أن الله متكلم فقد تنوعت مناهجهم فى ذلك . واليك هذه الأدلة .

استدل السلف ومن تبعهم من أئمة الدين على أن الله متكلم بقوله تعالى فيما اخبر به عن ابراهيم عليه السلام : (قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون ، فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ، قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) (٢) .

قال عثمان بن سعيد الدارمى (٣) بعد ذكر هذه الآيات مبينا وجه دلالتها

---

(١) معجم النحو ص ٢٧٠

(٢) سورة الأنبياء آية ٦٣ - ٦٧

(٣) عثمان بن سعيد السجستانى ، الحافظ أبوسعيد الدارمى امام فى الحديث والفقه ومن مشائخه فى الحديث احمد بن حنبل وغيره ، وله كتاب فى الرد على الجهمية ، وكتاب فى الرد على بشر المريسى ، ومسند كبير ، توفى سنة ٢٨٠ (راجع طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٠٢ - ٣٠٤)

على أن الله تعالى متكلم : (فلم يعب ابراهيم أصنامهم وآلهتهم التى يعبدون بالعجز عن الكلام الا وان الهه متكلم قائل) (١)

ومثل ذلك قوله تعالى : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) . (٢)

وقال تعالى : (أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) (٣)

جاء فى شرح الطحاوية : (فعلم ان نفى رجوع القول ونفى الكلام نقص يستدل به على عدم الوهية العجل) (٤) .

ومما يدل على أنه تعالى متكلم قوله تعالى : (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (٥) .

قال ابن سعيد الدارمى مبينا وجه دلالة هذه الآية على أن الله متكلم :

(ففى هذا بيان بين أنه لا يعاقب قوما يوم القيامة بصرف كلامه عنهم الا وانه مثيب بتكليمه قوما آخرين) (٦) .

وقال ابن القيم بعد هذه الآية : (فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا فى ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن فى تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلا) (٧) .

---

(١) الرد على الجهمية ص ٧٣
(٢) سورة الأعراف آية (١٤٨)
(٣) سورة طه آية ٨٩
(٤) شرح الطحاوية ص ١٠٨
(٥) سورة آل عمران آية (٧٧)
(٦) الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمى ص ٨٤
(٧) حادى الأرواح الى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٢٤٧

والمراد من قوله تعالى "لا يكلمهم" أى كلام تكريم (١) لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : (ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه) الحديث (٢) .

وقوله تعالى للكافرين (اخسئوا فيها ولا تكلمون) (٣)

~~يدل على أنه تعالى لا يكلمهم بعد دخولهم النار~~

واذا ثبت أنه تعالى يثيب قوما آخرين بتكليمه ثبت أنه تعالى متكلم .

والسلف أيضا يثبتون أن الله تعالى متكلم باثبات أن الكلام صفة كمال ، وأن من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ، واذا كان الكلام صفة كمال لا يستلزم ثبوتها له نقصا وجب أن يكون الله تعالى متكلما ولهم ثلاثة طرق فى اثبات صفات الكمال ومنها صفة الكلام . قال ابن تيمية : (اثبات صفات الكمال له طرق :

أحدها : ما نبهنا عليه من أن الفعل مستلزم للقدرة ولغيرها . .) (٤)

هذا وقد قال : (ثم اذا ثبت أنه قادر عالم فذلك يستلزم كونه حيا وكذلك الارادة تستلزم الحياة ، والحى اذا لم يكن سميعا بصيرا متكلما كان متصفا بضد ذلك من العمى والصمم والخرس ، وهذا ممتنع فى حق الرب تعالى فيجب أن يتصف بكونه سميعا بصيرا متكلما) (٥) .

وقال ابن تيمية مبينا الطريقة الثانية :

(الثانية : طريقة الاستدلال بالأثر على المؤثر . .

(وأن من فعل الكمال فهو أحق بالكمال) (٦)

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ١٠٩

(٢) سيأتى هذا الحديث عن البخارى

(٣) سورة المؤمنون آية (١٠٨)

(٤) مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٢٨٧ - ٢٨٨

(٥) المرجع السابق ص ٢٨٧

(٦) ما بين القوسين من نص كلام ابن تيمية وانما قدمناه لئلا يتكرر ذكر الطريقة

والثالثة : طريقة قياس الأولى وهي الترجيح والتفضيل وهو أن الكمال اذا ثبت للمحدث الممكن المخلوق فهو واجب للواجب القديم والخالق أولى به والقرآن يستدل بهذه وهذه ،فالاستدلال بالاثر على المؤثر أكمل ،كقوله تعالى (وقالوا من أشد منا قوة) قال الله تعالى (أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) (١) .

وهكذا كل ما فى المخلوقات من قوة وشدة تدل على أن الله أقوى وأشد وما فيها من علم وحياة يدل على أن الله أولى بالعلم والحياة . وهذه طريقة يقر بها عامة العقلاء حتى الفلاسفة يقولون : كل كمال فى المعلول فهو من العلة .

وأما الاستدلال بطريق الأولى فكقوله : (وله المثل الأعلى) (٢) ومثل قوله : (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فى ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ..) (٣) .

وأمثال ذلك مما يدل على أن كل كمال لا نقص فيه يثبت للمحدث والمخلوق الممكن فهو للقديم الواجب الخالق أولى من جهة أنه أحق بالكمال لانه أفضل وذلك من جهة أنه جعله كاملا وأعطاه تلك الصفات) (٤) .

ثم قال : (يمتنع أن لا يكون متكلما ثم يصير متكلما لوجهين :

---

(١) سورة فصلت آية (١٥)
(٢) سورة الروم جزء من آية (٢٧)
(٣) سورة الروم جزء من آية (٢٨)
(٤) مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٢٨٧ - ٢٨٩

أحدهما : أنه سلب لكماله والكلام صفة كمال .

والثانى : أنه يمتنع حدوث ذلك . فان من لا يكون متكلما يمتنع أن يجعل نفسه متكلما ، ومن لا يكون عالما يمتنع أن يجعل نفسه عالما ، ومن لا يكون حيا يمتنع أن يجعل نفسه حيا ، فهذه الصفات من لوازم ذاته .) (١)

وأما أهل السنة من الأشاعرة ومن وافقهم على مذهبهم فيستدلون على أن اللـــــه تعالى متكلم بعدة طرق منها :

١ - الاجماع وتواتر النقل عن الأنبياء عليهم السلام فانه تواتر انهم كانوا يثبتون له الكلام ، ويقولون انه أمر بكذا ونهى عن كذا وأخبر بكذا وكل ذلك من أقسام الكلام (٢) .

فان قيل : الاستدلال بقول الرسول متوقف على ثبوت صدقه وصدق الرسول انما يكون بتصديق الله اياه وأنه كلام .

أجيب بأن صدق الرسول انما يتوقف على المعجزة الدالة على صدقه وهى من حيث كونها أمرا خارقا للعادة تدل على ذلك سواء كانت من جنـــــس الكلام أو لا .) (٣) .

فالامام الغزالى وسيف الدين الآمدى وهما من الأشاعرة لا يريان الاستدلال بالاجماع أو بقول الرسول على أن الله متكلم ، اذ الاحتجاج بهما انما هو فرع ثبوت الكلام ، ولا معنى لذلك عند جاحدى الرسالات ومنكـــرى النبوات .

---

(١) مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٢٩٥ وانظر في توضيح هذا الصفات ٢١-٢٧ من رسالة

(٢) انظر شرح المواقف للجرجانى ج ٨ ص ٩١ وشرح المقاصد للتفتازانى ج ٢ ص ٧٣

(٣) انظر شرح المواقف ج ٨ ص ٩١ وشرح المقاصد ج ٢ ص ٧٣

قال الغزالي : (ومن أراد اثبات الكلام بالاجماع أو بقول الرسول فقد سام نفسه خطة خسف لان الاجماع يستند الى قول الرسول عليه الصلاة والسلام ومن أنكر كون الباري متكلما فبالضرورة ينكر تصور الرسول اذ معنى الرسول المبلغ لرسالة المرسل ، فان لم يكن الكلام متصورا في حق من ادعى أنه مرسل كيف يتصور الرسول . . ولكن من يعتقد استحالة الكلام في حق الله تعالى استحال منه أن يصدق الرسول اذ المكذب بالكلام لابد أن يكذب بتبليغ الكلام ، والرسالة عبارة عن تبليغ الكلام والرسول عبارة عن المبلغ . .) (١) .

وقال سيف الدين الآمدي : (ولما تخيل بعض الاصحاب ما في طي هذه المسالك من الزيف . . ، جعل مستنده في ذلك جملا من الاحاديث الواردة من السنة ، وأقاويل الامة ، وهي مع تقاصرها عن ذروة اليقين ، وانحطاطها الى درجة الظن والتخمين ، من جهة المتن والسند ، فالاحتجاج بها انما هو فرع اثبات الكلام ، اذ مستند قول الامة ليس الا قول الرسول ، والرسول لا معنى له الا المبلغ لكلام المرسل ، فاذا لم يكن للمرسل كلام لم يكن من ورود الامر والنهي على لسانه رسولا بل هو الآمر والناهي . . . ولا يكون ذلك حجة . وصار كما في الواحد اذا أمر غيره أو نهاه ، فاذا حاصل الاستدلال على ثبوت الكلام يرجع الى الاحتجاج به فرع ثبوت الكلام ، وهو دور ممتنع ، ولا حاصل له عند منكري النبوات وجاحدي الرسالات .) (٢)

ونقول وان سلم اندفاع الدور كما تقدم لكن لا معنى لهذا الاستدلال عند منكري النبوات وجاحدي الرسالات ، كما ذكر الغزالي والآمدي .

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٥٨ - ٥٩

(٢) غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص ٩٠ - ٩١

٢ - ودليلهم المشهور على ان الله متكلم قولهم :

لو لم يتصف بالكلام للزم أن يتصف بضده من السكوت والخرس وهذه آفة يتنزه الله عنها .

وقد اعتمدوا فى هذا الدليل على أصل ان القابل للشيء لا يخلو منه ومن ضده .

ولكن من الأشاعرة من نقد هذا الأصل

قال الآمدى مشيرا الى ذلك : (وربما وقع الاعتماد ههنا أيضا على الطريق المشهور وهو أن البارى تعالى حى فلو لم يكن متصفا بالكلام لكان متصفا بضده وهو الخرس . . وقد نبهنا على ما فيه من الخلل وأشرنا الى ما يتضمنه من الزلل) (١)

٣ - استدلالهم بطريق الكمال : فيقال :

المتكلم أكمل من غيره ، ويمتنع أن يكون المخلوق أكمل من الخالق .

وهذا المسلك ذهب اليه الامام الغزالى وسيف الدين الآمدى ومال اليه التفتازانى فى شرح المقاصد .

قال الغزالى مبينا هذا الطريق من الاستدلال على أن الله متكلم :

(ولعل الاقوم منهج ثالث وهو الذى سلكناه فى اثبات السمع والبصر فى أن الكلام للحى ، أما أن يقال هو كمال أو يقال هو نقص أو يقال لا هو نقص ولا هو كمال وباطل أن يقال هو نقص أو هو لا نقص ولا كمال فثبت بالضرورة

---

(١) غاية المرام فى علم الكلام ص ٩٠ وانظر ما نبه عليه من الزلل ص ٥٠ - ٥١ ونقد هذا الاصل أيضا الرازى فى الاربعين ص ١٧٠ - ١٧٢ والشهرستانى فى نهاية الاقدام ص ٢٧٠ فيما اورده عن الفلاسفة فى نقض هذه الحجة وأنها دعوى مجردة لا برهان عليها الا الاسترواح للشاهد

أنه كمال وكل كمال وجد للمخلوق فهو واجب الوجود للخالق بطريق الأولى) (١)

نعم كل كمال اتصف به المخلوق فالخالق أولى به اذا كان لا يتضمن نقصا فى حق الخالق سبحانه ، اذ ليس كل كمال فى المخلوق هو كمال فى الخالق ،

وقال الآمدى بعد نقده طرق الاستدلال على أن الله متكلم :

(فاذا ما هو الاقرب الى الصواب فى هذا الباب انما هو الاعتماد على ما وقع عليه الاعتماد أولا فى اثبات الصفات السابقة) (٢)

فيستدل على الكلام بمثل ما استدل به على الارادة .

وقد استدل على الارادة بقوله : (.. لو لم يصدق كونه ذا ارادة لصدق انه ليس بذى ارادة ... وكل ما ليس بذى ارادة فهو ناقص بالنسبة الى من له ارادة ..) (٣) .

وجاء فى شرح المقاصد : (وقد يستدل على ذلك بدليل عقلى على قياس ما مر فى السمع والبصر وأن عدم التكلم ممن يصح اتصافه بالكلام - اعنى الحى العالم القادر - نقص واتصاف باضداد الكلام وهو على الله تعالى محال وأن نوقش فى كونه نقصا سيما اذا كان مع قدرة على الكلام كما فى السكوت فلا خفاء فى أن التكلم أكمل من غيره ويمتنع أن يكون المخلوق أكمل من الخالق) .(٤)

وهذا الطريق أولى الطرق لسلامته من النقد ولموافقته منهج السلف .

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٥٨ - ٥٩

(٢) غاية المرام ص ٥٢ - ٥٣

(٣) غاية المرام ص ٥٢ - ٥٣

(٤) شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٣

أما أدلة المعتزلة على أن الله تعالى متكلم فيسلكون فى اثبات ذلك طريقا يتفق ومذهبهم فى نفى قيام الصفات والأفعال بذاته تعالى :

فيقولون الدليل على أنه تعالى متكلم وجود الكلام من جهته تعالى ، بمعنى أنه فعله .

فالمتكلم عندهم من فعل الكلام ولو فى غيره كما سيأتى فى مذهبهم .

قال القاضى عبد الجبار : (طريق اثباته - جل وعز - متكلما هو العلم بوجود الكلام من جهته لا غير ، كما نقوله فى كونه محسنا أو رازقا مميتا ، الى ما شاكله من الأوصاف المشتقة من الفعل ..) (١)

ثم قال مبينا طريق علمهم بأن الكلام كلام الله : (وانما نعلمه كلاما له اذا حصل معجزا ودل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخبرنا أنه كلامه جل وعز ، وأنه لم يمكنه معه فعل مثله ولسنا نعلم بهذه الطريقة كون ما سمعه منه عليه السلام كلاما له سبحانه ، لأن الحكاية عندنا غير المحكى ، وانما نعلم بذلك أن المحكى كلامه عز وجل ، والملك الذى أداه الى الرسول صلى الله عليه وسلم انما يعلمه كلاما له جل وعز بمعجز يظهر يقتضى أنه متكلم به .) (٢)

---

(١) المغنى فى أبواب التوحيد والعدل للقاضى عبد الجبار جـ ٧ ص ٥٨

(٢) المرجع السابق جـ ٧ ص ٦٠

البـــــــاب الأول

في بيان مذهب السلف وأئمة الدين في معنى كلام الله تعالى

يحتوي هذا الباب على سبعة فصول :

الأول : في بيان مذهب السلف وأئمة الدين في معنى كلام الله تعالى .

الثاني : في ذكر نصوص عنهم تثبت ما ذهبوا اليه في كلام الله تعالى .

الثالث : بيان ان كلام الله عند السلف قديم النوع حادث الآحاد .

الرابع : أدلتهم على معنى كلام الله تعالى .

الخامس : في ذكر اختلافهم في القراءة أهي مخلوقة ، أو غير مخلوقة ، وحكم من توقف فلم يقل القرآن مخلوق ، أو غير مخلوق .

السادس : في بيان مبدأ القول بخلق القرآن ، ومن امتحن من العلماء فيه .

السابع : في قيام الأفعال الاختيارية بذاته تعالى .

الفصل الأول

لما كان السلف وأئمة الدين يثبتون قيام الصفات بذات الله سبحانه نشير الى طريقتهم فى اثبات الصفات لله تعالى ، ونفى ما ينزه البارى عنه قبل بيان مذهبهم فى كلام الله تعالى .

فنقول : طريقتهم فى اثبات الصفات ونفيها ، أنهم لا يصفون الله الا بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل .

وينفون عنه سبحانه ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (قال الامام احمد (١) رضى الله عنه : لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث .) (٢)

وقال أيضا : (وروى أبو عبد الله بن بطة (٣) فى الابانة باسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن سلمة الماجشون (٤) وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة وهم : مالك وابن الماجشون وابن أبى ذئب ، وقد سئل فيما جحدته

---

(١) احمد بن حنبل ، أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الذهلى ثم الشيبانى المروزى البغدادى توفى سنة ٢٤١ هـ وقد جاوز سبعا وسبعين سنة (العبر للذهبى ج ١ ص ٤٣٥)

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ج ١ ص ٤٣٨

(٣) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله بن بطة العكبرى توفى سنة ٣٨٧ هـ (راجع مناقب الامام احمد بن حنبل لابن الجوزى ص ٥١٧)

(٤) عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون المدنى الفقيه ، كان اماما فقيها صاحب حلقة توفى سنة ١٦٤ هـ (راجع العبر للذهبى ج ١ ص ٥٤٤)

الجهمية . أما بعد : .... الى أن قال : فما وصف من نفسه فسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا ، لا نجحد ما وصف ، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف .

اعلم رحمك الله : ان العصمة في الدين ان تنتهي حيث انتهى به ولا تجاوز ما قد حد لك ... ولا تتكلفن لما وصف لك من ذلك قدرا ، وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك (ولا في الحديث عن نبيك من صفة ربك)، فلا تتكلفن علمه بعقلك ، ولا تصفه بلسانك ، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه ، فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل انكارك ما وصف منها ..) (١) .

وأجمل شيخ الاسلام ابن تيمية طريقة السلف في اثبات الصفات بقوله :

(.. فطريقتهم تتضمن اثبات الاسماء والصفات ، مع نفي مماثلته المخلوقات اثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٢)

ففي قوله (ليس كمثله شيء) رد للتشبيه والتمثيل ، وفي قوله : (وهو السميع البصير) رد للالحاد والتعطيل .) (٣)

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٤٤٣ - ٤٤٦

(٢) سورة الشورى جزء من آية (١١)

(٣) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٤

(مذهب السلف وأئمة الدين فى كلام الله تعالى)

قالوا مما يجب الايمان به التصديق بأن الله تعالى متكلم ، وذهبوا الى أن كلامه تعالى صفة قائمة بذاته لا تنفك عنه سبحانه ، اذ الكلام كمال له تعالى ، وكماله من لوازم ذاته ، واذا كان كلامه سبحانه غير منفصل عن ذاته بل صفة من صفاته تعالى فغير مخلوق ، بل قالوا لم يزل ولا يزال متصفا به ، وأنه يتكلم كيف يشاء واذا شاء بقدرته ومشيئة بحروف وأصوات مسموعة منه حقيقة لم يخلقها فى غيره .

وأنه تعالى نادى موسى عليه السلام بصوت منه سبحانه وخاطبه بذلك مشافهة من وراء حجاب ، قال تعالى : (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) الى قوله (وكلم الله موسى تكليما) (١) .

ففرق الله بين تكليمه لموسى وبين الايحاء المشترك ، فموسى سمع كلام الله من وراء حجاب بلا واسطة .

وقال تعالى مبينا أن كلامه للبشر ثلاثة أنواع : (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه عليم حكيم) (٢) .

والسلف وأئمة الدين رضى الله عنهم : لا يقولون ان الله حدث له الكلام

---

(١) سورة النساء جزء من آية (١٦٣ - ١٦٤)

(٢) سورة الشورى آية (٥١)

بعد أن كان ممتنعا ،فان من لا يكون متكلما يمتنع أن يجعل نفسه متكلما كما أن من لا يكون حيا يمتنع ان يجعل نفسه حيا ، فصفاته تعالى من لوازم ذاته ،وذاته كافية في وجودها ،ولو حدث له الكلام بعد أن لم يكن لزم خلوه عن كمال يمكن الاتصاف به وذلك نقص في حقه تعالى والنقص على الله محال .

ويقولون رضى الله عنهم فكما أنه خالق وان لم يكن خالقا في كل حال فكذلك الله متكلم وان لم يكن متكلما في كل حال . (١)

وذهبوا الى أن هذا القرآن وهو كلام الله المؤلف من الحروف والكلمات والسور والآيات ،كلام الله حقيقة غير مخلوق نزل به جبريل من الله تعالى لا من مخلوق وانه سمعه من الله حقيقة وان كان كيفية تكلّمه به لا تعلم . وجبريل بلّغه الى محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد بلغه الى صحابته رضى الله عنهم والصحابة بلغوه الى من بعدهم .

---

(١) انظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٤٥

الفصـــل الثانـــى

(نصوص عن السلف وأئمة الدين تبين ما ذهبوا اليه فى معنى)

(كلام اللـــه)

النصوص الواردة عنهم فى هذا المقام كثيرة ونذكر منها ما يأتى :

نقل شيخ الاسلام ابن تيمية عن أبى عبدالله بن حامد (١) من كتابه أصـــول الدين قوله : (.. مما يجب الايمان به التصديق بأن الله متكلم وان كلامــه قديم وأنه لم يزل متكلما فى كل اوقاته موصوفا بذلك ، وكلامه قديم كالعلـــم والقدرة ، قال : وقد علم ان المذهب ان كون الكلام صفة ومتكلما به ولم يزل موصوفا بذلك ومتكلما اذا شاء وبما شاء ، ولا نقول انه ساكت فى حال ومتكلـــم فى حال من حيث حدوث الكلام ..) (٢)

وقال الامام احمد بن حنبل : (.. بل نقول ان الله لم يزل متكلما اذا شاء ولا نقول انه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاما ، ولا نقول انه قد كان لا يعلـــم حتى خلق علما .) (٣)

---

(١) أبو عبدالله بن حامد الحسن بن حامد أبو عبدالله توفى فى طريق مكة سنة ٤٠٣ هـ (راجع مناقب الامام احمد لابن الجوزى ص ٥١٩)

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٣٣
قال ابن تيمية : (قلت : قول ابن حامد : ولا نقول انه ساكت فى حال من حيث حدوث الكلام يريد به انا لا نقول ان جنس كلامه حادث فى ذاته كما تقوله الكرامية من أنه كان ولا يتكلم ثم صار يتكلم بعد ان لم يكن متكلما فى الازل ولا كان تكلمه ممكنا ..)
موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنـــــة ج ٢ ص ٤٦

(٣) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة لاحمد بن حنبل ص ٢

وقال أيضا : (وكلم الله موسى تكليما من الله سمع موسى يقينا ..) (١)

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل : (سألت أبى عن قوم يقولون لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت فقال أبى : بلى تكلم بصوت .) (٢)

وقال ابن جرير الطبرى (٣) فى تفسيره : (وأما قوله : " وكلم الله موسى تكليما " فانه يعنى بذلك جل ثناؤه : وخاطب الله بكلامه موسى خطابا ...

وقد حدثنا احمد بن حميد ، قال : ثنا بن واضح ، قال : ثنا نوح بن أبى مريم ، وسئل : كيف كلم الله موسى تكليما ، فقال مشافهة .) (٤)

وقال احمد بن حنبل : (حدثنى محمد بن عوف حدثنا خلف بن خليفة عن وائل بن داود فى قول الله " وكلم الله موسى تكليما " قال : مشافهة .) (٥)

وقال الآجرى : (٦) (أما بعد فانه من ادعى أنه مسلم ثم زعم أن الله عز وجل لم يكلم موسى فقد كفر ، يستتاب فان تاب والا قتل . فان قال قائل لم ؟ قيل : لأنه رد القرآن ورد السنة وخالف جميع علماء المسلمين .) (٧)

---

(١) كتاب السنة لعبد الله بن احمد بن حنبل ومعه كتاب الرد على الجهمية والزنادقة لاحمد ص ٣٨

(٢) المرجع السابق ص ٦٢

(٣) هو أبو جعفر الطبرى ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب .. ولد سنة أربع أو خمس وعشرين ومائتين .. وتوفى سنة ٣١٠ (راجع طبقات الشافعية للسبكى ج ٣ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٦)

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ج ٦ ص ٢٩ ط الثانية سنة ١٣٧٣ هـ

(٥) كتاب السنة لعبد الله بن احمد بن حنبل ص ٦٤

(٦) محمد بن الحسن بن عبد الله ، أبو بكر الآجرى الفقيه المحدث صاحب المصنفات .. أقام بمكة وبها توفى بالمحرم سنة ٣٦٠ انظر طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٤٩)

(٧) كتاب الشريعة للآجرى ص ٢٩٩ - ٣٠٠ ط الاولى سنة ١٣٦٩ هـ

وقول احمد وابن جرير الطبرى : ان الله خاطب موسى بكلامه مشافهة يدل على أن موسى سمع كلام الله منه حقيقة لا من غيره .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وروى أبو بكر الخلال (١) فى كتاب السنة قال : أخبرنى به يوسف بن موسى أن أبا عبد الله - يعنى احمد بن حنبل قيل له أهل الجنة ينظرون الى ربهم ويكلمونه ويكلمهم قال : نعم ينظر اليهم وينظرون اليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاء واذا شاء ... قال الخلال : وأخبرنى على بن عيسى ان حنبلا (٢) حدثهم قال : قلت لأبى عبد الله : الله يكلم عبده يوم القيامة ؟ قال : نعم فمن يقض بين الخلائق الا الله عز وجل ، يكلم عبده ويسأله الله متكلم لم يزل الله متكلما يأمر بما شاء ويحكم بما شاء ...) (٣) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وصرح احمد وغيره من السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولم يقل أحد من السلف ان الله تكلم بغير مشيئته وقدرته ، ولا قال احد منهم أن نفس الكلام المعين كالقرآن أو ندائه لموسى أو غير ذلك من كلامه المعين انه قديم أزلى لم يزل ولا يزال ، وأن الله قامت به حروف معينة أو حروف وأصوات معينة قديمة أزلية لم تزل ولا تزال ، فان هذا لم يقله ولا دل عليه قول احمد ولا غيره من أئمة المسلمين ، بل كلام احمد وغيره من الائمة صريح فى نقيض هذا ، وأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته ، وأنه لم يزل

---

(١) أبو بكر الخلال احمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال صرف عنايته الى جمع علوم احمد بن حنبل وسافر لاجلها ، توفى سنة ٣١١ هـ (مناقب الامام احمد لابن الجوزى ص ٥١٢)

(٢) حنبل بن اسحاق الحافظ أبو على ابن عم الامام احمد بن حنبل وتلميذه توفى سنة ٢٧٣ هـ (العبر للذهبى ج ٢ ص ٥١)

(٣) شرح العقيدة الاصفهانية ص ٣١

يتكلم اذا شاء ، مع قولهم ان كلام الله غير مخلوق ، ٠٠٠) (١)
أما أصوات العباد بالقرآن والمداد الذى فى المصحف فلم يقل أحد منهم ان
ذلك قديم ٠ (٢)
بل كلهم متفقون على أن كل ذلك مخلوق ٠ (٣)

وقال ابن تيمية أيضا : (فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه سمعه منه جبريل وبلغه من الله الى محمد ومحمد سمعه من جبريل وبلغه الى أمته فهوكلام الله حيث سمع وكتب وقرئ كما قال تعالى : (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) (٤) ، (٥)

كما ذكر ابن تيمية أنه لا يجوز اطلاق القول بأن القرآن العربى حكاية أوعبارة عن كلام الله القديم بل نقول نقرأ كلام الله، ونؤديه ونبلغه ونكتبه ونحفظه فقال (ولا يجوز اطلاق القول بأن القرآن حكاية عن كلام الله أو عبارة بل اذا قرأه الناس أو كتبوه فى المصاحف لم يخرج بذلك من أن يكون كلام الله حقيقة ، فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغا مؤديا) (٦)

أما النصوص والآثار عن السلف فى أن القرآن كلام الله غير مخلوق فمنها :
ما نص عليه الامام احمد بقوله : (وقد روى غير واحد ممن مضى من سلفنا رحمهم

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٨٦
(٢) انظر المرجع السابق ج ١٢ ص ٥٥٩
(٣) انظر المرجع السابق ج ٦٢ ص ٥٦٨
(٤) سورة التوبة آية ٦
(٥) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥٦٦
(٦) مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٤٠١ - ٤٠٢

الله أنهم كانوا يقولون القرآن كلام الله وليس مخلوقا ، وهو الذى أذهب اليه ولست بصاحب كلام ولا أرى الكلام فى شىء من هذا الا ما كان فى كتاب الله أوفى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أوعن أصحابه أوعن التابعين ، أما غير ذلك فان الكلام فيه غير محمود ٠) (١)

وقال أيضا : (حدثنى محمد بن وزير الواسطى سمعت أبا بكر بن احمد بن محمد العمرى سمعت ابن أبى أويس سمعت خالى مالك بن أنس وجماعة من العلماء بالمدينة وذكروا القرآن فقالوا : كلام الله وهو منه وليس من الله شىء مخلوق ٠٠) (٢) ٠

وقال أبوحنيفة : (وما ذكر الله تعالى فى القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام ، وعن فرعون وابليس ، فان ذلك كله كلام الله تعالى اخبارا عنهم وكلام الله تعالى غير مخلوق وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق ،٠٠) (٣) ٠

وقال أبو جعفر الطحاوى : (هذا ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى وأبى يوسف يعقوب بن ابراهيم البجلى وأبى عبدالله محمد بن الحسن الشيبانى ، رضى الله عنهم أجمعين ، وما يعتقدون فى أصول الدين ويدينون به لرب العالمين ٠

---

(١) كتاب السنة لعبدالله بن احمد بن حنبل ص١٩

(٢) المرجع السابق ص٢٥

(٣) شرح الفقه الأكبر لأبى حنيفة علاء على القارى الحنفى ص٤ ١٨

نقول فى توحيد الله .. وأن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ ، بلا كيفية قولا ، وأنزله على نبيه وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة وليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن زعم أنه كلام البشر فقد كفر) (١)

أما ما جاء فى ذلك عن الشافعى فقد ذكر ابن تيمية "أن ابن أبى حاتم (٢) قال فى الرد على الجهمية : (كان فى كتابى عن الربيع بن سليمان قال : حضرت الشافعى ، أو حدثنى أبو شعيب ، الا أنى أعلم أنه حضر عبد الله بن عبد الحكم ، ويوسف بن عمرو بن يزيد ، فسأل حفص عبد الله قال : ما تقول فى القرآن ؟ فأبى أن يجيبه ، فسأل يوسف بن عمرو فلم يجبه ، وكلاهما أشار الى الشافعى فسأل الشافعى فاحتج عليه وطالت فيه المناظرة ، فقام الشافعى بالحجة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وكفر حفصا الفرد (٣) .

قال الربيع : فلقيت حفصا فى المسجد بعد هذا فقال : أراد الشافعى قتلى .) (٤) .

وروى الامام البخارى فى كتابه خلق أفعال العباد مجموعة من الآثار عن السلف فى أن القرآن غير مخلوق منها :

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة لأبى جعفر الطحاوى ص ٨

(٢) هو عبد الرحمن بن أبى حاتم بن ادريس بن المنذر بن داود بن مهران صنف فى الفقه واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار ، ومن مصنفاته تفسير فى أربع مجلدات عامته آثار مسنده ، وكتاب الجرح والتعديل المشهور فى عدة مجلدات ، وكتاب الرد على الجهمية وغيرها ، مات فى المحرم سنة ٣٢٧ هـ (انظر طبقات الشافعية ج ٣ ص ٣٢٤-٣٢٦)

(٣) حفص الفرد هو من المعتزلة المتوسطين (انظر الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٣٠)

(٤) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥٠٦

قوله : (حدثني الحكم بن محمد الطبري كتبت عنه بمكه قال : ثنا سفيان ابن عيينه (١) قال : أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار (٢) يقولون : القرآن كلام الله وليس مخلوق ...) (٣) .

وقال أبوعثمان اسماعيل الصابوني (٤) : (ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق ، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم ، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي نزل به جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا .. وذكر ابن مهدي الطبري في كتابه الاعتقاد .. ان مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرآن كلام الله سبحانه ووحيه وتنزيله وأمره ونهيه غير مخلوق ومن قال بخلقه فهو كافر بالله العظيم ...) (٥) .

وقال ابن تيمية : (ونصوص الائمة في ذلك مشهورة متواترة ، حتى أن أبا القاسم الطبري الحافظ لما ذكر في كتابه في "شرح أصول السنة" مقالات السلف والأئمة في الأصول : ذكر من قال القرآن كلام الله غير مخلوق ، وقال : فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسا أو أكثر من التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة ، على اختلاف

---

(١) أبو محمد سفيان بن عيينه الهلالي الكوفي الحافظ توفي سنة ١٩٨ هـ (انظر العبر للذهبي ج ١ ص ٣٢٦)

(٢) أبو محمد عمرو بن دينار الجمحي عالم أهل مكة في زمانه توفي سنة ١٢٦ هـ (العبر للذهبي ج ١ ص ١٦٣)

(٣) خلق أفعال العباد ص ٧

(٤) أبو عثمان اسماعيل الصابوني ، شيخ الاسلام اسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الشافعي توفي سنة ٤٤٩ هـ وله ٧٧ سنة (انظر شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٨٢)

(٥) مجموعة الرسائل المنيرية ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ من كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني

الاعصار ومضى السنين والاعوام ، وفيهم نحو من مائة امام ممن أخذ الناس بقولهم ، وتدينوا بمذهبهم .

ولو اشتغلت بنقل قول أهل الحديث لبلغت أسماؤهم الوفا ، لكني اختصرت فنقلت عن هؤلاء عصرا بعد عصر لا ينكر عليهم منكر ، ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه ...) (١)

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص٥٠٤

الفصل الثالث

كلام الله قديم النوع حادث الآحاد

السلف وأئمة الدين رضى الله عنهم بينوا أن كلامه تعالى قديم النوع حادث الآحاد .

فقالوا : كلامه تعالى قائم به لم يزل ولا يزال يتكلم بقدرته ومشيئته ، وأن القرآن منزل غير مخلوق .

فظن بعض الناس أن مرادهم أنه قديم العين .

قال ابن تيمية : (.. ان السلف قالوا : القرآن كلام الله منزل غير مخلوق وقالوا لم يزل متكلما اذا شاء . فبينوا أن كلام الله قديم أى جنسه قديم لم يزل . ولم يقل أحد منهم ان نفس الكلام المعين قديم ولا قال أحد منهم القرآن قديم بل قالوا : انه كلام الله منزل غير مخلوق ،

واذا كان الله قد تكلم بالقرآن بمشيئته كان القرآن كلامه ، وكان منزلا منه غير مخلوق ، ولم يكن مع ذلك أزليا قديما يقدم الله وان كان الله لم يزل متكلما اذا شاء فجنس كلامه قديم) (١) .

وقال الشيخ السفارينى : (مذهب السلف ان الله قديم بجميع صفاته لم يزل ولا يزال متكلما متى شاء وفاعلا متى شاء ولم تزل الارادات والكلمات تقوم بذاته . فكلام الله وقدرته وارادته وغضبه ورضاه وغير ذلك قديم النوع حادث الآحاد كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة وشهدت به العقول الصحيحة والفطر السليمة والحس والمشاهدة) . (٢)

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص٥٤

(٢) حاشية الدرة المضيئة فى عقد الفرقة المرضية للشيخ محمد بن احمد ابن سالم السفارينى ص ١٢

ولكن كيف يقول السلف بقدم الكلام مع حدوث آحاده ، فاذا كان كل جزئ من جزئياته حادثا فكيف يكون النوع قديما ؟ وهل للجملة حكم غير حكم الافراد ..؟

يجيب ابن تيمية عن ذلك ويبين أن للجملة حكما غير حكم الافراد وأنه لا يلزم من حدوث الآحاد حدوث النوع الا اذا ثبت ان هذه الجملة موصوفة بصفة هذه الافراد : فيقول :

(.. ولكن لا يلزم من حدوث كل فرد فرد مع كون الحوادث متعاقبة حدوث النوع ، فلا يلزم من ذلك أنه لم يزل الفاعل المتكلم معطلا عن الفعل والكلام ثم حدث ذلك بالسبب كما (لا) (١) يلزم مثل ذلك في المستقبل فان كل فرد فرد من المستقبلات المنقضية فان وليس النوع فانيا كما قال تعالى (أكلها دائم وظلها) (٢) .

وقال تعالى : (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) (٣)

والدائم الذى لا ينفد أى لا ينقضى هذا النوع والا فكل فرد من أفراده نافد منقض ليس بدائم .

وذلك أن الحكم الذى توصف به الافراد ان كان المعنى موجود في الجملة وصفت به الجملة فكل وصف كل فرد بوجود او امكان او بعدم فانه يستلزم وصف الجملة بالوجود والامكان والعدم لان طبيعة الجميع طبيعة كل واحد واحد وليس المجموع الا الآحاد الممكنة أو الموجودة أو المعدومة .

وأما اذا كان ما وصف به الافراد لا يكون صفة للجملة لم يلزم من أن يكون حكم الجملة حكم الافراد كما في اجزاء البيت والانسان والشجرة فانه ليس كل منها

---

(١) ليست في نص الكتاب والمعنى يقتضيه

(٢) سورة الرعد جزء من آية (٣٥)

(٣) سورة ص آية ٥٤

بيتا ولا انسانًا ولا شجرة ، وأجزاء الطويل والعريض والدائم والممتد لا يلزم أن يكون كل منها طويلا وعريضا ودائما وممتدا ، وكذلك اذا وصف كل واحد واحد من المتعاقبات بفناء أوحدوث لم يلزم أن يكون النوع فانيا أو حادثا بعد ان لم يكن لان حدوثه معناه انه وجد بعد أن لم يكن كما أن فناءه معناه انه عدم بعد وجوده ، وكونه عدم بعد وجوده أو وجد بعد عدمه يرجع الى وجوده وعدمه لا الى نفس الطبيعة الثابتة للمجموع كما فى الافراد الموجودة أو المعدومة أو الممكنة ، فليس اذا كان هذا المعين لا يدوم يلزم أن يكون نوعه لا يدوم لأن الدوام تعاقب الأفراد ، وهذا أمر يختص به المجموع لا يوصف به الواحد واذا حصل للمجموع بالاجتماع حكم يخالف به حكم الأفراد لم يجب مساواة المجموع للأفراد فى أحكامه .

وفى الجملة : فما يوصف به الأفراد قد توصف به الجملة وقد لا توصف به فلا يلزم من حدوث الفرد حدوث النوع الا اذا ثبت ان هذه الجملة موصوفة بصفة هذه الأفراد .

وضابط ذلك أنه اذا كان بانضمام هذا الفرد الى هذا الفرد يتغير ذلك الحكم الذى للفرد لم يكن حكم المجموع حكم الأفراد وان لم يتغير ذلك الحكم الذى لذلك الفرد كان حكم المجموع حكم أفراده ، مثال الأول : انا اذا ضممنا هذا الجزء الى هذا الجزء صار المجموع أكثر وأطول وأعظم من كل فرد فلا يكون فى مثل هذا حكم المجموع حكم الأفراد .

فاذا قيل : هذا اليوم طويل لم يلزم أن يكون جزوءه طويلا ، وكذلك اذا قيل :

هذا الشخص أو الجسم طويل أو ممتد أو قيل : ان هذه الصلاة طويلة أو قيل : ان هذا النعيم دائم لم يلزم منه ان يكون كل جزء منه دائما ، قال تعالى (أكلها دائم وظلها) وليس كل جزء من الأكل دائما .. ، وهذا بخلاف ما اذا قلت عن كل جزء من الاجزاء معدوم أو موجود أو ممكن أو واجب أو ممتنع فانه يجب في المجموع أن يكون معدوما أو موجودا أو ممكنا أو واجبا أو ممتنعا ، وكذلك اذا قلت كل واحد من الزنج أسود فانه يجب ان يكون المجموع سوداء ..) (١) .

فان اعترض على السلف بأن قيل : اذا قلتم كلام الله قديم أزلي وهو حروف وأصوات يلزم خطاب المعدوم ، اذ لا موجود في الأزل يتوجه الخطاب اليه وذلك سفه وعبث ينزه الله عنه .

أجيب بأن الكلام نوعه قديم أزلي وان كان كل فرد من أفراده حادثا ، وهذا لا يقتضي أمر تكليف للمعدوم أزلا .

وقد ذكر ابن تيمية : أن هناك فرقا بين خطاب التكوين وخطاب التكليف فقال ما حاصله :

ان خطاب التكوين الذي لا يطلب به تعالى من المخاطب فعلا وانما هو الذي يكون المخاطب به لا يشترط فيه وجود المخاطب في الخارج ، لأن المراد من توجيه الخطاب اليه تكوينه وايجاده ، والله يعلم الأشياء قبل تكوينها فانه تعالى يعلم ما كان وما لم يكن لو كان فاذا أراد شيئا قال له :

---

(١) منهاج السنة النبوية وبهامشه موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول لابن تيمية ج ١ ص ١٥٩ - ١٦٠

كن فيكون وذلك الشيء معلوم قبل ابداعه وتوجيه الخطاب اليه ، وبذلك كان مقدرا مقضيا قبل أن يخلق كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال : وعرشه على الماء) (١) .

أما خطاب التكليف الذي يطلب به من المأمور فعلا أو تركا يفعله بقدرته وارادته فقال ابن تيمية عنه ما نصه : (وهذا الخطاب قد تنازع الناس فيه هل يصح ان يخاطب به المعدوم بشرط وجوده أم لا يصح ان يخاطب به الا بعد وجوده لا نزاع بينهم انه لا يتعلق به حكم الخطاب الا بعد وجوده ، وكذلك تنازعوا في الأول ، هل هو خطاب حقيقي أم عبارة عن الاقتدار وسرعة التكوين بالقدرة ، والأول هو المشهور عند المنتسبين الى السنة) . (٢)

---

(١) اخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ ص ٢٠٤٤ ط الأولى سنة ١٣٧٥ هـ

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ج ٢ ص ٧٢

الفصل الرابـــع

(أدلة السلف وأئمة الدين على ما ذهبوا اليه في معنى كلام الله تعالى)

يمكن حصر الأمور التي يستدل عليها السلف وأئمة الدين في معنى كلام الله تعالى في ثلاثة أمور :

الأول : الاستدلال على أن كلامه تعالى غير مخلوق ، وأنه تعالى لم يزل متكلما

الثاني : الاستدلال على أن كلامه تعالى حروف وأصوات مسموعة منه تعالـــى حقيقـــة .

الثالث : الاستدلال على أن كلامه تعالى بقدرته ومشيئته .

أما أدلة الأمر الأول :

فلا يخفى ان السلف وائمة الدين وفرق المتكلمين المسلمين ما عدا الجهمية والمعتزلة يذهبون الى ان كلامه تعالى قائم بصفة له . وذهبت الجهمية والمعتزلة كمـــا سيأتي الى ان كلامه تعالى مخلوق في غيره لا قائم به .

١) وقد استدل السلف وأئمة الدين على أن كلامه تعالى غير مخلـــوق بقوله تعالى : (ألا له الخلق والأمر) (١) حيث فرق الله بين الخلق والأمر ولم يسم أمره خلقا .

قال الامام احمد : (وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه ولم يسمه قولا فقال :

---

(١) سورة الأعراف جزء من آية ٥٤

(ألا له الخلق والأمر) فلما قال : (ألا له الخلق) لم يبق شيء مخلوق الا كان داخلا في ذلك ثم ذكر ما ليس بخلق فقال : (والأمر) فأمره هو قوله تبارك الله رب العالمين أن يكون قوله خلقا . . فالله يخلق ويأمر وقوله غير خلقه . .) (١) .

وقال الامام البخاري : (والقرآن كلام الله غير مخلوق لقوله عز وجل " ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) (٢) .

فبين أن الخلائق والطلب والحثيث والمسخرات بأمره ، ثم شرح فقال :
(ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

قال ابن عيينه : قد بين الله الخلق من الأمر بقوله (ألا له الخلق والأمر) فالخلق بأمره كقوله (لله الأمر من قبل ومن بعد) (٣) وكقوله : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (٤) ، وكقوله : (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) ولم يقل بخلقه) . (٥)

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة لأحمد بن حنبل ص ١٥
وانظر كتاب السنة لابنه عبد الله ص ١٩ وما رواه عنه في ذلك
(٢) سورة الاعراف آية (٥٤) وسيأتي تمامها
(٣) سورة الروم جزء من آية (٤)
(٤) سورة يس آية (٨٢)
(٥) خلق أفعال العباد ص ١٥ - ١٦

وقال عبد العزيز الكنانى فى كتابه الحيدة مستدلا على الفرق بين قوله وبين خلقه تعالى بما جاء فى قوله تعالى : (انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (١) .

قال : (فدل على قوله باسم معرفة وعلى الشىء باسم نكرة ، فكانا شيئين مفترقين عند العرب وأهل اللغة ، فقال اذا أردناه ، ولم يقل اذا أردناهما .

وقال : ان نقول له ولم يقل ان نقول لهما ففرق بين القول والشىء المخلوق الذى يكون بالقول مخلوقا) (٢) .

وقول القاضى من المعتزلة فى قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر) : (ان افراده ذكر الأمر عن ذكر الخلق لا يدل على أنه غير داخل فى الخلق وانما يدل على أنه غير مراد بما تقدم ذكره بحق العطف الذى يقتضى أن المعطوف غير المعطوف عليه ...) (٣) .

قوله هذا يعوزه الدليل ، فلا دليل على أن الأمر داخل فى الخلق وأنه من عطف الخاص على العام ، وان جاء دخول المعطوف فى المعطوف عليه فى بعض الآيات فهذا لا يدل على دخول المعطوف هنا فى المعطوف عليه ، واذا فالظاهر مغايرة المعطوف للمعطوف عليه ، وأن الأمر غير الخلق اذ يكون به المخلوق ، كما سبق من الآيات المصرحة بذلك ، فما يكون به الشىء ويكون سابقا عليه فليس داخلا فيه .

---

(١) سورة النحل آية (٤٠)
(٢) كتاب الحيدة لعبد العزيز الكنانى المكى ص٨٩
(٣) متشابه القرآن للقاضى عبد الجبار ج ١ ص ٢٨٢ - ٢٨٣

قال عبد العزيز الكنانى فى مناظرته لبشر المريسى : (وما كان قبل الخلق متقدما فليس هو من الخلق) (١) .

ومذهب القاضى وأتباعه من المعتزلة ان المخلوق داخل فى المخلوق لقولـــه ان الأمر مخلوق وأنه داخل فى الخلق ولا فرق عندهم بين الخلق والمخلوق والفعل والمفعول .

ويقول ابن تيميه : (فاذا كان ثم خلق وخالق ومخلوق لم يكن الخلق داخلا فى المخلوق) . (٢)

٢) وكذلك يدل على أن كلامه تعالى غير مخلوق قوله تعالى :
(انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فدلت الآية على أن كل شىء مخلوق فانما يخلقه تعالى بقوله "كن" لأن شيئا فى الآية وقعت فى سياق النفى معنى فتفيد العموم .
واذا كان كل شىء مخلوق انما يخلقه الله بقوله "كن" دل ذلك على أن قوله "كن" غير مخلوق ، اذ لو كان مخلوقا لكان مخلوقا بكن أخرى وهكذا فيلزم التسلسل الباطل ، وأن لا يخلق شيئا .

قال ابن تيمية : (.. فلو كانت "كن" مخلوقة لزم أن يكون خلق مخلوقـــا بمخلوق فيلزم التسلسل الباطل) (٣) .

---

(١) انظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة ج ٢ ص ١٥٩ فيما نقله ابن تيمية عن عبد العزيز الكنانى
(٢) الموافقة على منهاج السنة ج ٢ ص ١٦١
(٣) مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٣١٢

وقال أيضا : (فلو كانت " كن "مخلوقة لزم أن لا يخلق شيئا وهو الدور الممتنع فانه لا يخلق شيئا حتى يقول : " كن " ولا يقول " كن "حتى يخلقها ، فلا يخلق شيئا .) (١) .

وقال ابن خزيمة مخاطبا المعتزلة الجهمية : (يا جهلة فالقول الذى يكون به الخلق على زعمكم لو كان خلقا بما يكونه على أصلكم أليس قود مقالتكم الذى تزعمون أن قوله "كن" انما يخلقه بقول قبله وهو عندكم خلقه وذلك القول يخلقه بقول قبله وهو خلق حتى يصير الى ما لا غاية له ولا عدد ولا أول وفى هذا ابطال تكوين الخلق . . وهذا القول لا يتوهمه ذو لبّ لو تفكر فيه) (٢) .

فان قال القاضى من المعتزلة فى قوله تعالى " واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) (٣) (وبعد فان الظاهر يدل على أنه يقول له " كن " ، وقد قضاه ، فلا يدل على أنه يصير خالقا بقوله "كن" وذلك يمنع من تعلقهم به بل يوجب تناقض الكلام ، لأن أوله يدل على أنه تقدم قضاؤه وآخره يدل على أنه لا يكون الا بعد أمر آخر . .) (٤) .

فان قال هذا قيل له : لا نسلم أن معنى القضاء فى الآية ايجاد الشىء والانتهاء منه بل قوله تعالى " وإذا قضى أمرا " بمعنى أراد لدلالة قوله تعالى : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون") والقضاء له معان منها ما قدمناه . (٥)

---

(١) مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٣١٣
(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٦٢
(٣) سورة البقرة جزء من آية (١١٧)
(٤) متشابه القرآن للقاضى عبد الجبار ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٧
(٥) انظر كتاب المعتمد فى أصول الدين للقاضى أبى يعلى الحنبلى ص ١٣١

وأيضا لو كان القضاء في الآية بمعنى الايجاد لم يكن لقوله تعالى بعد : (فانما نقول له كن فيكون) معنى ، لأن هذا القول يصير تحصيل حاصل والله منزه عن أن يكون كلامه كذلك ، واذا كان القضاء في الآية بمعنى الارادة فلا تناقض في الكلام كما زعم القاضي .

وقول الجهمية ان الله يخلق بقدرته تعالى لا بكلامه رده الامام احمد بقوله لهم : (هو شيء فقالوا : نعم ، فقلنا قدرته مع الأشياء المخلوقة قالوا : نعم ، فقلنا : كأنه خلق خلقا بخلق وعارضتم القرآن وخالفتموه حين قال جل ثناؤه : (خالق كل شيء) وأخبرنا الله أنه خلق ، وقال (هل من خالق غير الله) فانه ليس أحد يخلق غيره وزعمتم أنه خلق الخلق غيره فتعال الله عما يقول الجهمية علوا كبيرا .) (١)

وان قالوا قدرته تعالى ليست داخلة في عموم كل في قوله تعالى (الله خالق كل شيء) قلنا : كذلك قوله : تعالى "كن" فلا يكون قوله "كن" مخلوقا .

وينبغي أن يعلم أن مذهب السلف وأئمة الدين رضي الله عنهم أن كلام الله المعين كالقرآن حادث كما تقول به المعتزلة وتستدل عليه .

ولكن وجه الفرق بينهما في هذا أن المعتزلة تقول كل حادث مخلوق اما السلف ومن تبعهم من أئمة الدين كالامام احمد وغيره فلا يسلمون لهم ذلك .

بل يقولون ليس كل حادث مخلوقا ، قال ابن تيمية : (وهذا الموضوع مما بينه أئمة السنة كالامام احمد وغيره تكلم في الرد على الجهمية على قوله " انا جعلناه قرآنا عربيا " (٢) وبين أن الجعل من الله قد يكون خلقا كقوله تعالى " وجعل الظلمات والنور" (٣) وقد يكون فعلا ليس بخلق ، وقوله (انا جعلناه قرآنا عربيا)

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص ٣٠

(٢) سورة الزخرف جزء من آية ٣

(٣) سورة الانعام جزء من آية ١

من هذا الباب) (١) .

وقال الامام البخارى : (فالفعل صفة والمفعول غيره بيان ذلك فى قوله تعالى :
(ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) (٢)
ولم يرد بخلق السموات نفسها وقد ميز فعل السموات من السموات وكذلك فعل جملة الخلق ، وقوله : " ولا خلق أنفسهم " وقد ميز الفعل والنفس ولم يصر فعله خلقا .) (٣)

كذلك يبين البخارى أن القرآن حادث وليس مخلوقا عند قوله تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) (٤) فيقول : وان حدثه لا يشبه حدث المخلوقين) (٥) فأثبت كونه حادثا ونفى أن يكون مخلوقا .

كذلك استواؤه تعالى ومجيئه ونزوله كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر كما ثبت فى الحديث الصحيح وكل ذلك فعله تعالى بنفسه ولم يصر فعله خلقا تبارك الله وتنزه عما يقوله المبطلون .

٣) ومما يستدل به السلف ومن تبعهم على أن كلام الله غير مخلوق قوله تعالى : (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) (٦) .

---

(١) مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٣١١ وانظر كتاب الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٣ - ١٤
(٢) سورة الكهف جزء من آية (٥١)
(٣) خلق أفعال العباد ص٧٣
(٤) سورة الانبياء جزء من آية (٢)
(٥) صحيح البخارى ج ٩ ص ١٨٧
(٦) سورة الكهف آية (١٠٩)

وقوله : (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم) (١) .

قال عثمان بن سعيد الدارمي بعد سوق هذه الآيات مبينا وجه الدلالة :

(.. لو جمع مياه بحور السموات والأرض وعيونها وقطعت أشجارها أقلاما لنفدت المياه وتكسرت الأقلام قبل ان تنفد كلمات الله ، لأن المياه والأشجار مخلوقة وقد كتب الله عليها الفناء .. والله حي لا يموت ولا يفنى كلامه ولا يزال متكلما بعد الخلق كما لم يزل متكلما قبلهم فلا ينفد المخلوق الفاني كلام الخالق الباقي الذي لا انقطاع له في الدنيا والآخرة) (٢) .

يعني أن الله اذا كان لم يزل متكلما ولا يزال كان نوع كلامه تعالى أزليا فلا يكون مخلوقا فلا يفنى والمخلوق يفنى .

٤) ومن الأدلة من السنة :

ماثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يستعيذ بكلمات الله ، والمخلوق لايستعاذ به ، لقوله تعالى " واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم" . (٣)

ومن استعاذ بصفة من صفاته تعالى فقد استعاذ بالله .

---

(١) سورة لقمان آية (٢٧)

(٢) الرد على الجهمية ص ٧٣ ، وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٦٣ - ١٦٤

(٣) سورة فصلت آية (٣٦)

قال البخاري : (وقال نعيم لا يستعاذ بالمخلوق ولا بكلام العباد والجن والانس والملائكة ، وفي هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق وان سواه خلق) (١) .

وساق البخاري في خلق أفعال العباد كثيرا من الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم مستدلا بها على أن كلام الله غير مخلوق منها ما رواه عن خولة بنت حكيم أنها تقول : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك ..) (٢) ورواه مسلم في صحيحه . (٣)

وأخرج أبو داود في سننه عن ابن عباس قال : كان النبي يعوذ الحسن والحسين " أعيذ كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه".
ثم يقول : " كان أبوكما يعوذ بهما اسماعيل واسحاق "
قال أبو داود : هذا دليل على أن القرآن ليس بمخلوق . (٤)

وقال ابن حجر : (قال نعيم بن حماد في الرد على الجهمية : دلت هذه الأحاديث يعني الواردة في الاستعاذة بأسماء الله وكلماته ، والسؤال بها مثل أحاديث الباب ، وحديث عائشة ، وأبي سعيد " بسم الله أرقيك" وكلاهما عند مسلم ، وفي الباب عن عبادة وميمونة وأبي هريرة وغيرهم عند النسائي وغيره بأسانيد جياد ، على أن القرآن غير مخلوق اذ لو كان مخلوقا لم يستعذ بها

---

(١) خلق أفعال العباد ص ٥٧
(٢) المرجع السابق ص ٥٨ - ٥٩
(٣) صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٨٠ - ٢٨١ الطبعة الأولى
(٤) سنن أبي داود ج ٢ ص ٥٣٦ الطبعة الأولى (الحلبي)

ان لا يستعان بمخلوق قال تعالى " فاستعذ بالله " وقال النبى صلى الله عليه وسلم " واذا استعذت فاستعذ بالله ..) (١)

وقال البيهقى : (بلغنى عن احمد بن حنبل رضى الله عنه أنه كان يستدل بذلك (اى بكلمات الله التامة) على أن القرآن غير مخلوق ، قال وذلك لأنه ما من مخلوق الا وفيه نقص) (٢) .

ومن الأدلة أيضا ما أخرجه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب) (٣) .

وقال ابن سعيد الدارمى : بعد أن استدل بهذا الحديث ونحوه على أن كلام الله غير مخلوق قال مبينا وجه الدلالة على ذلك : (.. ففى هذه الأحاديث بيان أن القرآن غير مخلوق ، لأنه ليس شىء من المخلوقين من التفاوت فى فضل ما بينهما كما بين الله وبين خلقه فى الفضل لأن فضل ما بين المخلوقين يستدرك ولا يستدرك فضل الله على خلقه ولا يحصيه أحد وكذلك فضل كلامه على كلام المخلوقين ، ولو كان كلاما مخلوقا لم يكن فضل ما بينه وبين سائر الكلام كفضل الله على خلقه ..) (٤) .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٣ ص٣٨١ المطبعة السلفية

(٢) الأسماء والصفات للبيهقى ص١٨٦

(٣) سنن الترمذى ج ٤ ص٢٥٦

(٤) كتاب الرد على الجهمية ص٨٧

وبهذه الأدلة النقلية يثبت أن كلام الله تعالى غير مخلوق ، واذا كان كذلك فهو قائم به صفة له :

والذى يثبت ذلك أيضا ما ثبت بالأدلة من أن الله تعالى متكلم بالاتفاق من المسلمين وكون ذلك كذلك فلا يعقل متكلم لم يقم به كلام ضرورة امتناع ثبوت المشتق لشىء من غير قيام مأخذ الاشتقاق به ، فاثبات أنه متكلم يقتضى قيام التكلم به ، وقيام التكلم به يقتضى قيام الكلام به ،
فيكون الكلام صفة له تعالى .

ولو قام بغيره كلامه لم يكن موصوفا به ولم يكن كلامه تعالى ، وحينئذ يلزم خلوه تعالى عن كمال يمكن الاتصاف به ، اذ الكلام صفة كمال لا يستلزم ثبوته له تعالى نقصا فى حقه . ولو خلا عن كمال يمكن الاتصاف به كان ذلك نقصا ، والنقص على الله تعالى محال .

وكان المخلوق المتصف بالكلام **أكمل** منه تعالى ، وهذا ممتنع ، والمخلوق لا يكون أكمل من الخالق .

وأقوال السلف فى اثبات أزلية صفات كماله تعالى كثيرة وكانوا يفسرون قوله تعالى (وكان الله عزيزا حكيما) ونحوه بأنه لم يزل كذلك .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - : (وأقوال السلف فى ذلك كثيرة وبهذا فسروا قوله (وكان الله عزيزا حكيما) ونحوه ، كما ذكره البخارى فى صحيحه عن ابن عباس (١) ورواه ابن أبى حاتم من عدة طرق لما قيل له : قوله :

---

(١) راجع صحيح البخارى ج ٦ ص ١٥٩ - ١٦٠

(وكان الله غفورا رحيما) كأنه كان شئ ثم مضى ؟ فقال ابن عباس : هو سمى نفسه بذلك ولم يزل كذلك .

ومن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال يهودى : انكم تزعمون ان الله كان عزيزا حكيما ، فكيف هو اليوم ؟ فقال ابن عباس : انه كان فى نفسه عزيزا حكيما .

وهذه أقوال ابن عباس تبين انه لم يزل متصفا بخبر كان ، ولا يزال كذلك ، وأن ذلك حصل له من نفسه ، فلم يزل متصفا فى نفسه اذ كان من لوازم نفسه) (١) .

كما يستدل على أزلية كلامه تعالى :

بأن الكلام صفة كمال لا يستلزم نقصا بوجه من الوجوه وكل كمال لا يستلزم نقصا بوجه من الوجوه ، لزم اتصاف الله به أزلا : أما كون الكلام صفة كمال فان من يتكلم أكمل ممن يعجز عن الكلام ، والكلام يثبت لله تعالى على ما يليق به فلا نقص فيه . (٢)

وأما أن كل كمال لا يستلزم نقصا يجب ثبوته لله تعالى أزلا فدليل ذلك :

أولا : أنه لو حدث له صفة كمال لكان قبل اتصافه بها ناقصا ، والنقص على الله محال . (٣)

ثانيا : أن المقتضى للاتصاف بصفات الكمال هو ذاته ، فاذا أمكن اتصافه تعالى

---

(١) مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٢٩٨

(٢) انظر الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٧٨

(٣) انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١٨٩

بصفة وجب وجودها له أزلا ،لأن المتقضى التام لها نفسه ، ونفسه كافية في وجودها فلو لم توجد أزلا لزم تخلف المقتضى عن المقتضى التام .
فاذا كان الكلام ممكنا في الأزل والمقتضى التام موجودا في الأزل وهو ذاته تعالى فلا يتأخر المقتضى عن مقتضيه .

وليس قولنا ان الكلام يمكن أن يتصف الله به معناه ان الكلام ممكن يستوى طرفاه وجوده وعدمه ، حتى يقال : حدث الكلام بعد أن كان ممكنا ،بل معنى امكان الاتصاف به انه ليس هناك مانع من الاتصاف به ، ومع عدم المانع ووجود المقتضى التام يجب وجود المقتضى .

هذا وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (انه ليس في نفس الأمر ممكن يستوى طرفاه وجوده وعدمه بل اما أن يحصل المقتضى لوجوده فيجب أو لا يحصل فيمتنع .) (١)

ثالثا : انه لو لم يمكن أن يتكلم الله سبحانه وتعالى بمشيئته أزلا بل حدث له الكلام بعد أن كان ممتنعا لزم انقلاب الشيء من الامتناع الذاتي الى الامكان الذاتي وهذا ممتنع ،

فان من لا يكون قادرا على الخلق يمتنع أن يجعل نفسه خالقا ، ومن يمتنع التكلم في حقه يمتنع أن يجعل نفسه متكلما .فالله سبحانه لم يتجدد له كونه متكلما بل نفس تكلمه قديم وان كان يتكلم شيئا بعد شيء فتعاقب أفراد الكلام لا يقتضي حدوث

---

(١) مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٢٩٧

نوع الكلام الا اذا وجب تناهى المقدورات والمرادات وهو المسمى بتناهـــى الحوادث .

والذى عليه السلف وجمهور الخلف ان المقدورات والمرادات لا تتناهى .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى معنى ما قلنا : (ويمتنع ان لايكون متكلمـــا ثم يصير متكلما لوجهين :

أحدهما : انه سلب لكماله فالكلام صفة كمال .

الثانى : انه يمتنع حدوث ذلك فان من لا يكون متكلما يمتنع ان يجعل نفسه متكلما ، ومن لا يكون عالما يمتنع ان يجعل نفسه عالما ومن لا يكون حيا يمتنع ان يجعل نفسه حيا ، فهذه الصفات من لوازم ذاته .) (١)

ثم قال أيضا : (وهكذا فى جميع صفات الكمال متى ثبت امكانها فى الازل لزم وجودها فى الازل .

فانها لو لم توجد لكانت ممتنعة ، اذ ليس فى الازل شىء سوى نفسه يوجب وجودها ، فاذا كانت ممكنة والمقتضى التام لها نفسه لزم وجودها فى الازل .

وهذا مما يدل على أنه لم يزل حيا ، عليما قديرا مريدا ، متكلما ، فاعلا ، اذ لا مقتضى لهذه الاشياء الا ذاته وذاته وحدها كافية فى ذلك . فيلزم قـــدم النوع وأنه لم يزل متكلما اذا شاء ، لكن افراد النوع تحصل شيئا بعد شىء بحسب الامكان والحكمة) (٢) .

---

(١) مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٢٩٥

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٧

أما من استدل من المتكلمين على أزلية كلامه تعالى بأنه لو لم يكن متكلما فى الأزل لكان متصفا بضده من السكوت والخرس ، لانه حى ، والحى اذا لم يكن متكلما كان ساكتا أو أخرس ،

وذلك ان ذاته تعالى قابلة للاتصاف بالكلام والقابل للشئ لا يخلو منه ومن ضده .

فشيخ الاسلام ابن تيمية وجمهور العقلاء خالفوهم فى هذا المسلك من الاستدلال المبنى على ذلك الأصل وهو أن القابل للشئ لا يخلو منه ومن ضده .

وسبق ان اشرنا الى من نقد هذا الأصل من العقلاء .

كما سيأتى عن ابن تيمية نقده لذلك الأصل فى مسألة قيام الحوادث بذاته تعالى .

وأما قول القاضى من المعتزلة : (وكيف يصح ان يكون متكلما فيما لم يزل ، مع ان المتكلم ليس الا فاعل الكلام) (١) اى فيكون كلامه تعالى حادثا ، والحادث لا يكون أزليا .

فيقال له :

أولا : ان السلف وائمة الدين لا يسلمون له ان المتكلم ليس الا فاعل الكلام ، بل يقولون : المتكلم من قام به الكلام وفعله والفعل ما قام بالفاعل والمفعول منفصل عن الفاعل ، وكل منفصل عن ذاته لم يقم به فمخلوق ، وكل ما قام به فغير مخلوق . (٢)

والمعتزلة لا تفرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق .

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٥٥٦
(٢) انظر خلق أفعال العباد للبخارى ص ٧٣ - والموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٦١

ثانيا : انه لا يمتنع قيام فعله تعالى بذاته المتعلق بقدرته ومشيئته وسيأتي في مسألة قيام الحوادث بذاته تعالى الاستدلال على ذلك ومناقشة المخالفين ومنهم المعتزلة .

ثالثا : ما قدمناه من الأدلة على أزلية تكلمه تعالى فيها رد لهذا الاعتراض .

وكون افراد كلامه تعالى تحدث بمشيئته شيئا بعد شيء لا يمنع أن يكون النوع أزليا كما تقدم تحقيقه عن ابن تيمية .

ولكن لما كانت المعتزلة لا تفرق بين نوعي الفعل والكلام وبين عينيهما اعترض القاضي بهذا الاعتراض .

الأمر الثاني : الاستدلال على ان كلامه تعالى حروف وأصوات مسموعة منه تعالى حقيقة .

من الأدلة على ذلك قوله تعالى (حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا : الحق وهو العلي الكبير) (١)

قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : (يقول حتى اذا جلي عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب ، قال ابن عباس : حتى اذا فزع عن قلوبهم) يعني جلي . وروي عن الشعبي قال : قال ابن مسعود في هذه الآية (حتى اذا فزع عن قلوبهم) قال اذا حدث أمر عند ذي العرش سمع من دونه من الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا فيغشى عليهم ، فاذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادوا (ماذا قال ربكم ؟ قال : فيقول من شاء قال الحق وهو العلي الكبير) (٢) .

---

(١) سورة سبأ آية (٢٣) أولها : " ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له"
(٢) جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ج ٢٢ ص ٨٩ - ٩٠

وروى أيضا (عن ابن عباس : قوله "حتى اذا فزع عن قلوبهم" الى قوله " وهو العلى الكبير " قال : لما أوحى الله تعالى ذكره الى محمد صلى الله عليه وسلم ، دعا الرسول من الملائكة ، فبعث بالوحى ، سمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحى ، فلما كشف عن قلوبهم ، سألوا عما قال الله ، فقالوا : الحق وعلموا ان الله لا يقول الا حقا ، وأنه منجز ما وعد ، قال ابن عباس : وصوت الوحى كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوه خروا سجدا ، فلما رفعوا رؤوسهم ، قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير) (١) .

وساق ابن جرير آثارا كثيرة فى تفسير هذه الآية لكنه رجح ماذكرناه عن الشعبى عن ابن مسعود لصحة الخبر الذى رواه عن ابن عباس والمتقدم ذكره اذ يقول :

(وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب القول الذى ذكره الشعبى عن ابن مسعود لصحة الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس بتأييده) (٢) .

وروى البخارى عن أبى هريرة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال : (اذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان (٣)) (٤) .

وبهذا ثبت عن ابن عباس ان الملائكة يسمعون صوت الجبار جل جلاله يتكلم بالوحى وأن صوت الوحى كصوت الحديد على الصفا .

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٢ ص ٩١

(٢) المرجع السابق ج ٢٢ ص ٩٢

(٣) الصفوان : الحجر ومنه قوله تعالى "كمثل صفوان عليه تراب (راجع مختار الصحاح ص ٣٦٦)

(٤) صحيح البخارى ج ٩ ص ١٧٤

ومن الأدلة أيضا :

أن النداء لغة هو الصوت المسموع (١) وقد أضاف الله النداء اليه تعالى في عدد من الآيات وصرحت به السنة الصحيحة ، فيكون كلامه تعالى مسموعا منه تعالى حقيقة لا من غيره . فقال تعالى فيما أخبر به عن الأبوين : (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) (٢) .

وقال تعالى : (واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين) (٣) .

وقال تعالى : (هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى) (٤)

ونحو ذلك من الآيات المصرحة بنداء الله عز وجل .

أما السنة :

فمنها ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله تبارك وتعالى اذا أحب عبدا نادى جبريل ان الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى جبريل فى السماء ، ان الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول فى أهل الأرض) (٥) .

---

(١) جاء فى القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٩٧ (والنداء بالضم والكسر : الصوت ..) وقال الجرجانى فى التعريفات ص ١١٨ معرفا الصوت : (.. الصوت كيفية قائمة بالهواء يحملها الى الصماخ)

(٢) سورة الأعراف جزء من آية (٢٢)

(٣) سورة الشعراء آية (١٠)

(٤) سورة النازعات آية (١٥ ، ١٦)

(٥) صحيح البخارى ج ٩ ص ١٧٣ وأخرجه مسلم فى صحيحه ج ٤ ص ٢٠٣٠ الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥ هـ بلفظ (ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال ...)

وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم : (يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار) (١) .

وقال البخارى أيضا : (ويذكر عن جابر عن عبد الله بن انيس قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك أنا الديان) . (٢)

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة ان رسول الله قال : (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له .) (٣)

---

(١) صحيح البخارى ج ٩ ص ١٧٣ ..
وقال ابن حجر : (فينادى مظبوط للأكثر بكسر الدال وفى رواية أبى ذر بفتحها على البناء للمجهول ولا محذور) فتح البارى ج ١٣ ص ٤٦٠
وأخرج هذا الحديث مسلم فى صحيحه ج ١ ص ٢٠١

(٢) صحيح البخارى ج ٩ ص ١٧٢ . وانظر مختصر الصواعق لابن القيم ج ٢ ص ٢٧٩ - ٢٨١ وما ذكره من تصحيح هذا الحديث وان ما تكلموا به عن ابن عقيل أحد رواة الحديث لا يطعن فى صحته لكثرة شواهده اذ يقول : (.. واما اذا روى أحدهم ما شواهده أكثر من أن يحصر مثل هذا الحديث فلا ريب فى قبول حديثه) هذا وقد صحح ابن حجر أحاديث الصوت كما سيأتى نص ذلك عنه وهى تشهد بصحة هذا الحديث .

(٣) صحيح البخارى ج ٩ ص ١٧٥ وراجع صحيح مسلم ج ١ ص ٥٢٢

فان قيل: انه قد روى انه يأمر مناديا فينادى (١) فيكون النداء المضاف اليه تعالى مجازاكما يقال: نادى الأمير اذا أمر من ينادى

أجاب ابن تيمية بقوله : (قيل هذا ليس فى الصحيح فان صح أمكن الجمع بين الخبرين بأن ينادى هو ويأمر من ينادى، أما ان يعارض بهذا النقل الصحيح .. فلا يجوز) (٢) .

وقال ابن القيم : (لفظ النداء الالهى وقد تكرر فى الكتاب والسنة تكرارا مطردا فى محاله متنوعا يمتنع حمله على المجاز فاخبر تعالى أنه نادى الابوين فى الجنة ونادى كليمه وأنه ينادى عباده يوم القيامة ... ولا حاجة الى ان يقيد النداء بالصوت فانه بمعناه وحقيقته باتفاق أهل اللغة فاذا انتفى الصوت انتفى النداء قطعا .. والذى تعقله الأمم من النداء انما هو الصوت المسموع كما قال تعالى: (واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب) (٣) ، (٤) .

وقال أبو نصر السجزى: (.. والعرب لا تعرف نداء الا صوتا وقد جاء عن موسى تحقيق ذلك فان أنكروا الظاهر كفروا وان قالوا ان النداء غير صوت خالفوا لغات العرب ، وان قالوا نادى الأمير اذا أمر غيره بالنداء دفعوا فضيلة موسى عليه السلام المختصة به من تكليم الله اياه بذاته من غير واسطة ولا ترجمان) (٥) .

---

(١) راجع هذا الاعتراض مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ٣ ص ٢٦ - ٢٧

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٢٦ - ٢٧

(٣) سورة ق آية (٤١)

(٤) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ج ٢ ص ٢٧٧

(٥) انظر ما نقله ابن تيمية عن ابى نصر السجزى فى كتاب الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٥٧

وبهذه الآيات والاحاديث الصحيحة المصرحة بالصوت لله تعالى أو الدالة عليه يثبت أن كلام الله حروفا واصواتا اذ الصوت لا يكون كلاما الا بالحروف بالاتفاق قال ابن تيمية :

(والصوت لا يكون كلاما الا بالحروف باتفاق الناس واما الحروف فهل تكون كلاما بدون الصوت ؟ فيه نزاع .

والحرف قد يراد به الصوت المقطع ، وقد يراد به نهاية الصوت وحده ، وقد يراد بالحرف المداد ، وقد يراد بالحروف شكل المداد) (١) .

كذلك يستدل على أن كلام الله حروف وأصوات باجماع العقلاء الاوائل على ان الكلام لا يكون الا حرفا وصوتا .

قال ابن تيمية : (قال الحافظ أبو نصر السجزى فى رسالته المعروفة الى اهل زبيد فى الواجب من القول فى القرآن : اعلموا ارشدنا الله وإياكم انه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من اوائل الزمان الى الوقت الذى ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي والاشعري واقرانهم .. ان الكلام لا يكون الا حرفا وصوتا ذا تاليف واتساق وان اختلفت فيه اللغات . وعبر عن هذا المعنى الاوائل الذين تكلموا فى العقليات وقالوا : الكلام حروف متسقة وأصوات مقطعة ، وقالت يعنى علماء العربية : الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى .. فالاجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفا وصوتا ..) (٢) .

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٦٩

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٥١

وقد اجمع السلف على ان ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى ،

قال ابن حجر : (واجمع السلف على أن الذى بين الدفتين كلام الله ٠٠) (١) .

ومسمى الكلام عند الاطلاق يتناول اللفظ والمعنى عند السلف وجمهور الفقهاء ٠٠ (٢)

وكلام الله تعالى جاء في الكتاب والسنة مطلقا لم يقيد بانه معنى نفسى أو لفظي

وبهذا يشمل كلامه تعالى اللفظ والمعنى ، فيكون كلامه تعالى حروفا واصواتا .

وغاية من نفى ان يكون كلامه تعالى حروفا واصواتا تنزيه الله سبحانه عن مشابهة

كلام المخلوقين الذى عهد ان كلامهم يحتاج الى مخارج وادوات ، ولا يخفى ان

هذه الغاية تتحقق على مذهب السلف وائمة الدين رضى الله عنهم .

فيقولون صوت الله لا يشبه اصوات المخلوقين ، فصوت الله يسمعه من بعد كما يسمعه

من قرب ، وذلك لا يتحقق في اصوات المخلوقين .

قال البخارى : (٠٠ ان صوت الله لا يشبه اصوات المخلوقين لان صوت الله جل

ذكره يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، وان الملائكة يصعقون من صوته فاذا

تنادى الملائكة لم يصعقوا ، وقال عز وجل (فلا تجعلوا لله اندادا) (٣) .

فليس لصفة الله ند ولا مثل ، ولا يوجد شئ من صفاته في المخلوقين) (٤) .

---

(١) فتح البارى ١٣ ص ٤٩٣

(٢) راجع مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٣٥ ، ٦٧

(٣) سورة البقرة جزء من آية (٢٢)

(٤) خلق افعال العباد ص ٥٩

وقال ابن تيمية فيما نقله عن أبي نصر السجزى : (وليس فى وجود الصوت من الله تعالى تشبيه بمن يوجد الصوت منه من الخلق ٠٠) (١) ٠

ولا يقال ان الكلام لا يكون الا بادوات ومخارج فيلزم ان يكون كلام الله كذلك لانه ليس من ضرورة الكلام ان يكون بادوات ومخارج فقد ثبت كلام وهو حروف واصوات من غير ان يكون ذا مخارج وادوات ٠

قال الامام احمد ردا لقول الجهمية ان الكلام لا يكون الا من جوف وفم ولسان : (واما قولهم : ان الكلام لا يكون الا من جوف وفم وشفتين ولسان ، أليس قال الله للسموات والارض "ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) (٢) أتراها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات ، وقال (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) (٣) اتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين ، والجوارح اذا شهدت على الكافر : "فقالوا لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ (٤)) أتراها نطقت بجوف وفم ولسان ولكن الله أنطقها ٠٠

وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير ان نقول من جوف ولا فم ولا لسان ولا شفتين) (٥)

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٥٧

(٢) سورة فصلت جزء من آية (١١)

(٣) سورة الانبياء جزء من آية (٧٩)

(٤) سورة فصلت جزء من آية (٢١)

(٥) الرد على الجهمية والزنادقة للامام احمد بن حنبل ص ٢٣ ـ ٢٤ وذكر مثل ذلك ابن جرير الطبرى فى عقيدته انظر المجموعة العلمية السعودية تحقيق عبدالله بن حميد ص ٤٢

وقال الحافظ ابن حجر : (وهذا حاصل كلام من ينفي الحرف والصوت من الائمة ويلزم منه ان الله تعالى لم يسمع احدا من ملائكته ولا رسله كلامه ، بل الهمهم اياه .

وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع الى القياس على اصوات المخلوقين ، لانها التي عهد انها ذات مخارج ، ولا يخفى ما فيه ، اذ الصوت قد يكون من غير مخارج ..
وصفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوقين ، واذا ثبت ذكر الصوت بهذه الاحاديث الصحيحة وجب الايمان به .) (١)

فالسلف وأئمة الدين يقولون : الله يتكلم بحرف وصوت كما دلت على ذلك النصوص الصحيحة ، مع نفي مشابهة كلامه بكلام خلقه ، وان كيفية تكلمه بهذه الحروف والاصوات مجهول بل محجوب عن الخلق ، وبهذا لا يقال ان الله يتكلم بآلة أو بغير آلة بل يتكلم سبحانه وتعالى كيف يشاء فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ ، والقادر على ذلك لا يحتاج الى شئ من خلقه بل الله قائم بنفسه غني عما سواه .

كما يقال لمن نفى ان يكون كلامه تعالى حروفا وأصواتا مخافة التشبيه بكلام المخلوقين :
يقال لهم أولا : ان الاتفاق في أصل الحقيقة ليس بتشبيه ، كما أن اتفاق البصر في انه ادراك المبصرات ، والسمع في انه ادراك المسموعات ، والعلم في انه ادراك المعلومات ليس بتشبيه ، كذلك الكلام ...

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٣ ص ٤٥٨

ثانيا : انهم ان نفوا هذه الصفة لكون هذا تشبيها ، ينبغي ان ينفوا سائـر الصفات من الوجود ..

ثالثا : قولنا كلام الله حروف وأصوات حملناه على حقيقته كما دل على ذلك الكتاب والسنة وهم فسروه بما لم يرد به كتاب ولا سنة .

رابعا : ان من قال : ان كلام الله معنى قائم به تعالى - أى ليس بحرف ولا صوت - يلزمه التشبيه بالمعنى القائم بالانسان المخلوق .. (١)

قال أبو نصر السجزى فيما نقل عنه ابن تيمية : (.. وكيف وكلامه وكلام خلقه عنـد الأشعرى معنى قائم بذات المتكلم لا يختلف فهو المشبه لا محالة .) (٢)

الامر الثالث : (الادلة على ان كلام الله تعالى بقدرته ومشيئته) :

من الأدلة على ذلك ماجاء فى الكتاب والسنة من توقيت قوله تعالى وندائه بوقت دون وقت .

كقوله تعالى : (انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) . وقولـه : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ، حيث علق قوله تعالى " كن " وهو قسم من كلامه تعالى على ارادته لذلك الشئ الواقعة فى الاستقبال ، فيكون قوله "كن" بعد ارادته للشئ متأخرا عنها ، لكونها جزاء لاذا فيكون حادثـا

---

(١) من كلام الموفق ابن قدامه بتصرف قليل راجع ملحق الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير لابى البقاء محمد بن احمد الفتوح الحنبلى ص ٢٩

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٥٧-٥٨

والحادث لا يكون الا بالقدرة والمشيئة هذا ان جعلت اذا شرطية ،
اما ان جعلت ظرفية فهي ظرف زمان حاصل في المستقبل بحسب الوضع فيكون المعنى
انما قولنا لشيء حين اردناه في المستقبل ان نقول له "كن" ، فيكون قوله "كن" وهو
قسم من كلامه واقعا في الاستقبال والواقع في الاستقبال حادث . (١)
وكقوله تعالى : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس لم يكن من الساجدين) (٢) اذ امر الله الملائكة بالسجود بعد ان
خلق آدم وصوّره ولم يأمرهم قبل ذلك بالسجود لآدم .
وكقوله تعالى : (ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون) (٣) .
وقوله : (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) (٤) .
وقوله : (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام
الغيوب) .(٥)

ويوم ظرف زمان ، فيكون قوله الواقع في هذا الظرف مختص بزمان معين والمختص بزمان
معين حادث والحادث يمتنع ان يكون بغير القدرة والمشيئة .

---

(١) انظر المواقف للأيجي وشرحها للجرجاني ج ٨ ص ٩٧ — ٩٨
(٢) سورة الاعراف آية (١١)
(٣) سورة القصص آية (٦٢)
(٤) سورة القصص آية (٦٥)
(٥) سورة المائدة آية (١٠٩)

وكقوله تعالى : (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) (١) ؛

فهو سبحانه نادى الأبوين آدم وحواء بعد ان أكلا من الشجرة .

وقوله : (فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك) (٢) الآيات حيث نادى الله موسى لما اتى الشجرة ولم يناده قبل ذلك ، واذا كان هذا النداء في وقت مخصوص هو بعد ان اكل آدم وحواء من الشجرة ، وفي الآية الثانية هو وقت اتيان موسى الشجرة كان النداء حادثا ، والحادث لا يكون الا بالقدرة والمشيئة .

في الآية الاولى

واذا كان النداء هو نوع من أنواع الكلام بقدرته تعالى ومشيئته كان كلامه تعالى بقدرته ومشيئته .

وكقوله تعالى : لاهل الجنة (سلام قولا من رب رحيم) (٣)

فدلت الآية على ان الله يسلم على أهل الجنة ولم يأت بعد ذلك الوقت وانما يحدث ذلك السلام منه تعالى في وقته .

وأما ما جاء من السنة في ذلك : فمنها :

ما اخرجه البخاري في صحيحه عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال :

---

(١) سورة الاعراف جزء من آية (٢٢)

(٢) سورة طه آية (١١) وجزء من آية (١٢)

(٣) سورة يس جزء من آية (٥٨)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه .) (١)

فقوله " سيكلمه " يدل على ان الله يتكلم في المستقبل والواقع في الاستقبال حادث ، والحادث لا يكون الا بالقدرة والمشيئة .

وروى البخاري عن قتادة عن صفوان بن محرز ان رجلا سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى (قال : يدنوا احدكم من ربه حتى يضع كنفه (٢) عليه ، فيقول : اعملت كذا وكذا فيقول : نعم ، ويقول : اعملت كذا وكذا فيقول : نعم ، فيقرره ثم يقول اني سترت عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم) (٣) .

وروى البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ان الله يقول لأهل الجنة : يا اهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول : هل رضيتم ، فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك ، فيقول : الا اعطيكم أفضل من ذلك فيقولون : يارب واي شئ افضل من ذلك فيقول : احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا) (٤) .

---

(١) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٨١

(٢) قال البخاري : (قال ابن المبارك : كنفه يعني ستره) خلق افعال العباد ص ٤١

(٣) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٨١

(٤) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٨٥

كذلك ما قدمناه من الأحاديث التي فيها اضافة النداء اليه سبحانه بوقت معين يدل على أن كلامه تعالى بقدرته ومشيئته .

كقوله صلى الله عليه وسلم " اذا حب الله العبد نادى جبريل ..) الحديث حيث ذكر أن الله ينادى اذا احب العبد ، فيكون هذا النداء متأخرا عن حبه تعالى العبد الواقع في الاستقبال ، لكونه جزاء لاذا ، والمتأخر عن شئ خصوصا اذا كان ذلك الشئ واقعا في الاستقبال يكون حادثا ، والحادث لا يكون الا بقدرته تعالى ومشيئته .

وكقوله صلى الله عليه وسلم : " يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ..) الحديث .
حيث ذكر أنه تعالى ينادي آدم بعد قوله لبيك فدل ذلك على ان نداءه تعالى حادث ، والحادث متعلق بقدرته ومشيئته .

كذلك ما ثبت بالأدلة النقلية الصحيحة من أن الله يتكلم بصوت وحرف مسموع كما تقدم يدل على أن كلامه تعالى بقدرته ومشيئته ، اذ الحروف والأصوات لا توجد ولا تعقلها الأسماع الا متعاقبة شيئا بعد شئ ، والمتعاقب حادث ، والحادث يمتنع ان يكون بغير القدرة والمشيئة .

ومثل ذلك من الآيات والأحاديث كثير مما فيه توقيت أقواله تعالى وندائه بوقت معين، وانه يتكلم بحرف وصوت ، فهو اذا يتكلم اذا شاء بقدرته تعالى ، هذا من حيث افراد كلامه تعالى أما نوعه فقديم كما سبق بيانه من ان حدوث افراد الكلام لا يمنع ان يكون النوع قديما .

ويمكن ان يقال في الاستدلال على ان كلامه تعالى بقدرته ومشيئته من جهة العقل :
يقال : ايهما اكمل من يقدر على فعل الكلام شيئا فشيئا ام من لا يقدر على ذلك
فان من المعلوم بصريح العقل ان القادر على فعل الكلام شيئا فشيئا اكمل ممن
لا يقدر على ذلك .. فاذا لم يكن متكلما بقدرته ومشيئته تعالى كان عاجزا عن
الكلام ويكون من يتكلم بقدرته ومشيئته من المخلوقين اكمل منه ، وعجزه تعالى
عن الكلام بقدرته ومشيئته وكون المخلوق أكمل منه كل ذلك محال .

قال ابن تيمية : (وكونه لا يقدر على ان يتكلم ولا يتكلم بما شاء بل يلزمه
الكلام كما تلزمه الحياة مع كون تكليمه هو خلق مجرد الادراك يقتضي ان يكون
القادر على الكلام الذي يتكلم باختياره أكمل منه فانا اذا عرضنا على العقل من يتكلم
باختياره وقدرته ومن كلامه بغير اختياره وقدرته كان الأول أكمل فتعين ان يكون
متكلما بقدرته ومشيئته كلاما يقوم بذاته وكذلك في مجيئه واتيانه واستوائه وأمثال
ذلك ان قدرنا هذه امورا منفصلة عنه لزم ان لا يوصف بها ، وان قدرناها لازمة
لا تكون بمشيئته وقدرته لزم عجزه وتفضيل غيره عليه ، فيجب ان يوصف بالقدرة
على هذه الافعال القائمة به التي يفعلها بمشيئته وقدرته) . (١)

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٣٨
وانظر مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٢٤٢

الفصـــل الخامـــس

في : (القراءة أهي مخلوقة أو غير مخلوقة ، وحكم من توقف فلم يقل القرآن مخلوق ولم يقل غير مخلوق :

اختلف أهل الحديث في القول بان القراءة مخلوقة أو غير مخلوقة :
فقال بعضهم ان القراءة مخلوقة ، وقال آخرون ان القراءة غير مخلوقة ، ومنهـــم من قال القول بأن القراءة مخلوقة أو غير مخلوقة بدعة .

قال ابن قتيبة مشيرا الى ذلك : (فقال فريق منهم القراءة فعل محض وهى مخلوقـــة كسائر أفعال العباد والقرآن غيرها ..

وقالت فرقة هى القرآن بعينه ومن قال ان القراءة مخلوقة فقد قال بخلق القرآن .
وقالت فرقة هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها ..) (١)

(منشـــأ الخلاف وسببـــه)

قال ابن قتيبه فى تفصيل ذلك : (.. فاذا فكر أحدهم فى القراءة وجدهـــا قد تكون قرآنا لان السامع يسمع القراءة وسامع القراءة سامع القرآن ، قال عز وجل (فاستمعوا له) (٢) وقال : (حتى يسمع كلام الله) (٣) .

---

(١) الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبه ص٥٢ ـ ٥٣
(٢) سورة الأعراف جزء من آية (٢٠٤)
(٣) أول الآية (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ..) الآية

ووجدوا العرب تسمى القراءة قرآنـا قال الشاعر فى عثمان بن عفان رضى الله عنه :

ضحـوا بأشمط عنوان السجود به .. يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

أى تسبيحا وقراءة .

وقال أبو عبيد : يقال : قرأ قراءة وقرآنا ، بمعنى واحد فجعلهما مصدرين لقرأ

وقال تعالى : (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) (١) .

اى قراءة الفجر ، فيعتقدون من هذه الجهات ان القراءة هى القرآن غير مخلوق .

ويفكر آخر فى القراءة فيجدها عملا لان الثواب يقع على العمل .. فيعتقدون من هذه الجهة ان القراءة عمل وانها غير القرآن وان من قال القراءة غير مخلوقة فقد قال ان اعمال العباد غير مخلوقة) (٢)

فالذين قالوا : ان اللفظ بالقرآن غير مخلوق ارادوا ان اللفظ هو الملفوظ والتلاوة هى المتلو والقراءة هى المقروء .

والذين قالوا ان اللفظ بالقرآن مخلوق ارادوا ان اللفظ غير الملفوظ ، والتلاوة غير المتلو ، وان اللفظ والقراءة عمل القارئ وافعال العباد مخلوقة .

ولتوضيح ماتقدم يقول ابن تيمية : (فالذين قالوا التلاوة هى المتلو من أهل العلم والسنة قصدوا ان التلاوة هى القول والكلام المقترن بالحركة وهى الكلام المتلو

---

(١) سورة الاسراء جزء من آية (٧٨)

(٢) الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة ص٥٢ وانظر أيضا فى سبب الخلاف درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ج ١ ص ٢٦٤

وآخرون قالوا بل التلاوة غير المتلو والقراءة غير المقروء والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث ارادوا بذلك أن افعال العباد ليست هي كلام الله ولا اصوات العباد هي صوت الله وهذا الذي قصده البخاري(١) وهو مقصود صحيح .

وسبب ذلك ان لفظ التلاوة والقراءة واللفظ مجمل مشترك يراد به المصدر ويراد به المفعول فمن قال اللفظ ليس هو الملفوظ والقول ليس هو المقول واراد باللفظ والقول المصدر كان معنى كلامه ان الحركة ليست هي الكلام المسموع وهذا صحيح ومن قال اللفظ هو الملفوظ ، والقول هو نفس المقول واراد باللفظ والقول مسمى المصدر (٢) صار حقيقة مراده ان اللفظ والقول هو الكلام المقول الملفوظ وهذا صحيح .) (٣)

ومما تقدم يظهر ان كلا من الفريقين اراد بالقراءة واللفظ غير ما اراد به الآخر ، ولو فصل القول في ذلك لم يكن بينهما خلاف .

فالصواب في ان القراءة مخلوقة او غير مخلوقة التفصيل كما عليه السلف رضي الله عنهم في الالفاظ المجملة ،

لان اللفظ والقراءة كل منهما مجمل مشترك فقد يراد بهما المصدر وهو عمل وعمل الانسان مخلوق ،

---

(١) قال البخاري في خلق افعال العباد ص٣٨ : (وقد يقال فلان حسن القراءة ورديء القراءة ، ولا يقال حسن القرآن ورديء القرآن ، وانما نسب الى العباد القراءة لا القرآن ، لان القرآن كلام الرب جل ذكره والقراءة فعل العبد)

(٢) يعني بمسمى المصدر اسم المفعول وهو المقول والملفوظ

(٣) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢١١

وقد يراد بهما المفعول وهذا غير مخلوق ، وقد يراد بكل منهما المجموع المصدر والمفعول فلا يقال ان اللفظ والقراءة هي الملفوظ والمقروء ، ولا يقال ان اللفظ والقراءة غير الملفوظ والمقروء .

قال ابن قتيبة : (وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن ان القراءة لفظ واحد مشتمل على معنيين :
احدهما : عمل ، والآخر قرآن ..) (١)
وحاصل كلامه في ذلك ان لقراءة مصدر وهي عمل القارئ وعمله مخلوق ، ولكن القراءة قد يراد بها المقروء الذي هو كلام الله وهو غير مخلوق ، فالقراءة غير المقروء (٢)

واما من اراد باللفظ معنييه معا المصدر والمفعول فلا يقال ان اللفظ بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق .

واللفظ عند الاطلاق يتناول معنييه المصدر والمفعول
لذا انكرت ائمة السنة كاحمد بن حنبل وغيره ان يقال لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق ، وقالوا من قال انه مخلوق فهو جهمي ، ومن قال انه غير مخلوق فهو مبتدع .
اما كون من قال انه مخلوق جهميا فلان اللفظ شاع استعماله عندهم في الملفوظ وهو المراد باللفظ في اطلاقهم فقوله هذا يوقع الخلق على القرآن .

---

(١) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٦٣
(٢) انظر المرجع السابق ص ٦٣ – ٦٤

واما كون من قال ان لفظي بالقرآن غير مخلوق مبتدعا ، فلانه يدخل في قوله هذا المصدر الذي هو عمله وعمله مخلوق .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وقد كان طائفة من اهل الحديث والمنتسبين الى السنة تنازعوا في اللفظ بالقرآن هل يقال انه مخلوق ، ولما حدث الكلام في ذلك انكرت ائمة السنة كاحمد بن حنبل وغيره ان يقال لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق ، وقالوا من قال انه مخلوق فهو جهمي ، ومن قال انه غير مخلوق فهو مبتدع ، واما صوت العبد فلم يتنازعوا انه مخلوق ، ..

واللفظ في الاصل مصدر لفظ يلفظ لفظا وكذلك التلاوة والقراءة مصدران لكن شاع استعمال ذلك في نفس الكلام الملفوظ المقروء المتلو وهو المراد باللفظ في اطلاقهم ،

فاذا قيل لفظي او اللفظ بالقرآن مخلوق اشعر ان هذا القرآن الذي يقرؤه ويلفظ به مخلوق ،

واذا قيل لفظي غير مخلوق ، اشعر ان شيئا مما يضاف اليه غير مخلوق ، وصوته وحركته مخلوقان ، لكن كلام الله الذي يقرؤه غير مخلوق ،

والتلاوة قد يراد بها نفس الكلام الذي يتلى وقد يراد بها حركة العبد ، وقد يراد بها مجموعهما . فاذا اريد الكلام نفسه الذي يتلى فالتلاوة هي المتلو ، واذا اريد بها حركة العبد فالتلاوة ليست هي المتلو ، واذا اريد بها المجموع فهي متناولة

للفصل والكلام فلا يطلق عليها انها المتلو ولا انها غيره) (١)

اما حكم من توقف في القرآن فلم يقل مخلوق ولم يقل غير مخلوق فقد قال الامام احمد في ذلك : (والوقفية وهم الذين يزعمون ان القرآن كلامه عز وجل ولا يقولون غير مخلوق هم اشر الاصناف وأخبثها ..) (٢)

وما ذلك الا لانهم شكّاك والحق لا بد ان يكون في احد الأمرين اللذين وقف بينهما .

يبين ابن قتيبة ذلك بقوله : (.. وكل من ادعى شيئا او انتحل نحلة فهو يزعم ان الحق فيما ادعى وفيما انتحل خلا الواقف الشاك فانه يقر على نفسه بالخطأ لانه يعلم ان الحق في احد الأمرين اللذين وقف بينهما وانه ليس على واحد منهما ،..) (٣)

والحجة على هؤلاء الواقفة ما احتججنا به من كتاب الله ومن آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان القرآن كلام الله غير مخلوق (٤)

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٢٣ ـ ٢٤ وانظر الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢١٢

(٢) كتاب السنة لعبد الله بن احمد بن حنبل ص ٣٧ ـ ٣٨

(٣) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٦٢

(٤) انظر كتاب الرد على الجهمية للدارمي ص ٩١

الفصل السادس

(مبدأ القول بخلق القرآن ومن امتحن من العلماء فيه)

اول من عرف انه اظهر في الاسلام القول بخلق القرآن هو الجعد بن درهم في خلافة هشام بن عبد الملك ، وقتله خالد بن عبد الله القسرى(١) امير العراق على مقالته هذه بامر من الخليفة هشام .

قال ابن الاثير عند ذكر حوادث سنة خمس وعشرين ومائة : (قيل ان الجعد ابن درهم اظهر مقالته بخلق القرآن ايام هشام بن عبد الملك فأخذه هشام وارسله الى خالد القسرى - وهو امير العراق - وامره بقتله .. فلما صلى العيد يوم الأضحى قال فى آخر خطبته : انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم فاني اريد ان اضحى اليوم بالجعد بن درهم فانه يقول ما كلم الله موسى ولا اتخذ ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه .) (٢)

ثم أتى الجهم بن صفوان وأخذ هذا القول عن الجعد بن درهم واظهره وناظر عليه .

---

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد القسرى الدمشقى هلك سنة ١٢٦ هـ (العبر للذهبى ج ١ ص ١٦٢)

(٢) الكامل فى التاريخ لابن الاثير ج ٤ ص ٢٥٥
وروى البخارى هذه القصة فى خلق افعال العباد ص ٧ . وعثمان بن سعيد الدارمى فى كتابه الرد على الجهمية ص ١٠٠ . والقصة مشهورة فى كتب التاريخ . وقال ابن تيمية عن الجعد بن درهم : (وهذا الجعد قد ذكروا

قال البخاري: (قال قتيبة بلغني ان جهما كان يأخذ الكلام من الجعد ابن درهم) (١) .

وتبعه على هذه المقالة بشر بن غياث المريسي وقام بشر يناظر عليها ، وأوذي من أجلها في خلافة هارون الرشيد ، فكان يسترها حتى توفي الخليفة هارون الرشيد فاظهر مقالته ، ودعا الى ضلالته .

قال الذهبي عن بشر المريسي : (.. مبتدع ضال ، لا ينبغي ان يروى عنه ولا كرامه تفقه على ابي يوسف فبرع واتقن علم الكلام ، ثم جرد القول بخلق القرآن ، وناظر عليه ولم يدرك الجهم بن صفوان ، انما اخذ مقالته ، واحتج لها ، ودعا اليها ، وسمع من حماد بن سلمة وغيره وقال ابو النضر هشام بن القاسم كان والد بشر المريسي يهوديا قصابا صباغا في سويقة نصر بن مالك (٢) .

قلت وقد كان بشر اخذ في دولة الرشيد واوذي لاجل مقالته (٣) .

= انه كان من أهل حران وهو معلم مروان بن محمد .. وكانت حران اذ ذاك دار الصابئة الفلاسفة الباقين على ملة سلفهم اعداء ابراهيم الخليل) راجع الفتاوى الكبرى ج ٥ ص ٤٣)

(١) خلق افعال العباد ص ٧ وانظر خبر جهم ومقالته الضالة كتاب الرد على الجهمية والزنادقة لاحمد بن حنبل وسيأتي عن ابن تيمية ذكر مقالته في مذهبي الجهمية والمعتزلة . وقتل جهم وكان يكنى ابا محرز سنة ١٢٨ (انظر الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٤ ص ٢٩٣) وتاريخ الامم والملوك لابن جرير الطبري ج ٦ ص ٦

(٢) قال ابن الجوزي في مناقب الامام احمد ص ٣٩٨ (وسويقة نصر ببغداد منسوبة الى ابيه ..) اي الى ابي احمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٣٢٢ .

وروى ابن الجوزى عن هارون الرشيد انه يقول : (.. بلغنى ان بشر بن غياث يقول : القرآن مخلوق ، ولله علىّ ان اظفرنى به لأقتلنه قتلة ما قتلتها احدا) (١)

وقال ابن الجوزى : (قال احمد : فكان بشر متواريا ايام هارون نحوا من عشرين سنة حتى مات هارون ، فظهر ودعا الى الضلالة وكان من المحنة ما كان .) (٢)

وهكذا كانت هذه المقالة يتوارى دعاتها خوفا من حملة الحق ودعاته . ولم يزل الناس على مذهب السلف وقولهم ان القرآن كلام الله غير مخلوق حتى زمن هارون الرشيد ، فلما توفى الرشيد كان الامر كذلك فى زمن الأمين ، فلما تولى المأمون خالطه قوم من المعتزلة وحسنوا له القول بخلق القرآن فحمل الناس عليه . يقول ابن الجوزى فى ذلك : (.. لم يزل الناس على قانون السلف وقولهم ان القرآن كلام الله غير مخلوق ، حتى نبغت المعتزلة فقالت بخلق القرآن وكانت تستر ذلك .

وكان القانون محفوظا فى زمن الرشيد ، .. فلما توفى الرشيد كان الامر كذلك فى زمن الأمين ، فلما تولى المأمون خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن وكان يتردد فى حمل الناس على ذلك ، ويراقب بقايا الأشياخ ، ثم قوى عزمه على ذلك فحمل الناس عليه .) (٣)

---

(١) مناقب الامام احمد بن حنبل لابى الفرج ابن الجوزى ص ٣٠٨
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة
(٣) مناقب الامام احمد بن حنبل لابن الجوزى ص ٣٠٨ - ٣٠٩

وقال السبكى فى الطبقات : (وكان القاضى ابن ابى د وءاد (١) ممن نشـأ فى العلم وتضلع بعلم الكلام ، وصحب فيه هيّاج بن العلاء السلمى ، صاحب واصل بن عطاء احد روءوس المعتزلة . . وكان معظما عند المأمون امير الموءمنين . . فدس ابن ابى د وءاد له القول بخلق القرآن ، وحسنه عنده وصيره يعتقده حقا مبينا الى ان اجمع رأيه فى سنة ٢١٨ الى الدعاء اليه . .) (٢) .

وبعد ان اجمع المأمون رأيه وصار يعتقده مذهبا كتب الى نائبه على بغـــداد اسحاق بن ابراهيم الخزاعى يطلب منه ان يمتحن العلماء فى هذه المقالـــة ففعل وسجن من امتنع عن القول بخلق القرآن فأجاب القوم جميعا غير أربعـــة ثم اجاب منهم اثنان وبقى احمد بن حنبل ومحمد بن نوح فصبرا على هـذه المحنة حتى توفيا رحمهما الله والموءمنين أجمعين .

قال ابن كثير : (. . كتب المأمون الى نائبه ببغداد يأمره ان يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن وان يرسل اليه جماعة منهم ، وكتب اليه يستحثه فى كتاب مطول . .) (٣)

---

(١) احمد بن ابى د وءاد قاضى القضاة ابو عبدالله الايادى ، فصيحا مفوها شاعرا جوادا ، وهو الذى شغب على الامام احمد وافتـى بقتله وقد مرض بالفالج قبل موته بنحو اربع سنين . توفى سنة ٢٤٠ (العبر للذهبى ج ١ ص ٤٣١)

(٢) طبقات الشافعية للسبكى ج ٢ ص ٣٧ - ٣٨

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ٢٧٢

وقال ابن الجوزى : (قال صالح (١) ثم امتحن القوم فوجه بمن امتحن الى الحبس فاجاب القوم جميعا غير اربعة ابى ، ومحمد بن نوح ، وعبيد الله بن عمر القواريرى ، والحسن بن حماد سجاده ، ثم اجاب عبيد الله بن عمر ، والحسن ابن حماد ، وبقى ابى ومحمد بن نوح فى الحبس ، فمكثا اياما فى الحبس ثم ورد الكتاب من طرسوس (٢) بحملهما فحملا مقيدين زميلين .) (٣)

وفى الطريق بلغهم وفاة المأمون ثم توفى محمد بن نوح بعانات (٤) ورد احمد الى بغداد .

قال ابن الجوزى فيما رواه عن صالح بن احمد بن حنبل : (.. لما جاء نعى المأمون رد أبى ومحمد بن نوح فى اقياد هما الى الرقة ، .. فلما صارا بعانات توفى محمد بن نوح ودفن بها ، ثم رد ابى الى بغداد وهو مقيد ، فمكث

---

(١) صالح بن احمد بن حنبل كما نص عليه ابو الفرج قيل ذلك فى المناقب ص ٣١٠ . ولد صالح سنة ٢٠٣ وتوفى سنة ٢٦٥ باصفهان وقد تولى القضاء بها (انظر المناقب ص ٣٠٤)

(٢) وهى مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٨ لياقوت بن عبد الله الحموى

(٣) مناقب الامام احمد بن حنبل ص ٣١٠ - ٣١١ ، وقال الذهبى عند ذكر حوادث سنة ٢١٨ (وفيها امتحن المأمون العلماء بخلق القرآن وكتب فى ذلك الى نائبه ببغداد وبالغ فى ذلك .. فاجاب اكثر العلماء على سبيل الاكراه .. وعظمة المصيبة بذلك وهدد على ذلك بالقتل ولم يصب احد من علماء العراق الا الامام احمد ومحمد بن نوح : (العبر للذهبى ج ١ ص ٣٧٢ - ، ٣٧٣)

(٤) عانات : قرى بالفرات ، وجزائر . (راجع مراصد الاطلاع للبغدادى ج ٢ ص ١٩٢ الطبعة الاولى سنة ١٣٧٣ هـ

باليا سرية (١) أياما ثم صار الى الحبس فى دار اكتريت له عند دار عمارة ثم نقل بعد ذلك الى الحبس العامة فى درب الموصلى ، وفى رواية فى درب يعرف بالموصلية) . (٢)

ولما تولى المعتصم الخلافة بعد المأمون واصل ما بدأه المأمون من الدعاء الى القول بخلق القرآن واخذ احمد بن ابى دؤاد وشيعته يناظرون عليها ،

ومناظرات ابن ابى دؤاد وغيره لاحمد وغيره يطول ذكرها (٣) لا سيما واننا ذكرنا جانبا منها عند الاستدلال على ان القرآن غير مخلوق كما سيأتى ذكر لذلك ايضا عند رد احمد وغيره لأدلة المعتزلة على ان القرآن مخلوق .

واما خبر المحنة مع الواثق

فقال ابن الجوزى : (ولى الواثق ابو جعفر هارون بن المعتصم فى ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين ، وحسن له ابن ابى دؤاد امتحان الناس بخلق القرآن ففعل ذلك ولم يعرض لاحمد اما لما علم من صبره ، اولما خاف من تأثير عقوبته ، لكنه ارسل الى احمد بن حنبل : لا تساكنّى بارض . فاختفى احمد بقية حياة الواثق ، فما زال يتنقل فى الاماكن ثم عاد الى منزله بعد اشهر فاختفى فيه الى أن مات الواثق .) (٤)

---

(١) الياسرية قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى ، بينها وبين بغداد ميلان (راجع مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٤٧١) .

(٢) مناقب الامام احمد بن حنبل لابن الجوزى ص ٣١٧ ، وانظر ص ٣١٥ من هذا المرجع

(٣) انظر مناقب الامام احمد لابن الجوزى ص ٣١٩ - ١٤٠ - وطبقات الشافعية ج ٢ ص ٤٥ - ٥١

(٤) مناقب الامام احمد بن حنبل لابن الجوزى ص ٣٤٨ - ٣٤٩

وقال ايضا : (وقد روى ان الواثق ترك امتحان الناس بسبب مناظرات جرت بين يديه رأى بها ان الأولى به ترك الامتحان .) (١)

وأما خبر المحنة مع المتوكل :

فانه لما تولى بعد الواثق اطفأ نيران البدعة ، وكشف تلك الغمة ، وأوقد مصابيح السنة فشكره الناس على ما فعل .

قال ابو الفرج ابن الجوزى فى ذلك : (ولى المتوكل على الله بعد الواثق فى يوم الاربعاء لستّ بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وسنّه ست وعشرون سنة يومئذ فأظهر الله عز وجل به السنة ، وكشف تلك الغمة ، فشكره الناس على ما فعل) . (٢)

ومن هذه المحنة ندرك مدى قوة العلاقة بين الدين والدولة فى ذلك العصر وما كان يشغله الدين آنذاك من مكانة فى الخلافة الاسلامية ، وما حظى به ائمة الدين وفقهاؤهم من رعاية من جانب الخلفاء .

ولكن لا يخفى انه لو اتيح لهذه الحركة العقلية التى نهض بها المعتزلة الظهور لحملت المسلمين قسرا على نبذ السنة ، فمن الراجح ان يكون لمبدأ حرية الفكر الذى يدين بالعقل دون النقل أثر انحلالى يوهن من قوة الاسلام وتماسكه ، كما انه يجعل الاسلام أكثر قابلية للتأثر بما يطرأ عليه من خارجه

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥٠ . وانظر سبب رجوع الواثق عن الامتحان ص ٣٥٠ - ٣٦٠

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٦

من عوامل التعديل والاصلاح حتى انه لو حدث هذا لكنا نرى بعد انقضاء فترة من الزمان الوانا من العقائد وصورا من الحياة الدينية تخالف ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة .

بل لو كان العقل البشرى وحده كافيا ليحاكم ، وليكون هاديا الناس الى الحق ، لما انزل الله الكتب وبعث الرسل هداية للناس الى الخير ، وتحذيرا لهم من الشر .

فالابقاء على السنة وصيانتها ، قد أتى بخير النتائج وأعظمها فائدة .
ويمكن ان نتجاوز ذلك الى القول بان الاسلام اذا كان ينبغى المحافظة على جوهره وطابعه ليظل اسلاما فما من سبيل يبلغ به هذه الغاية ، أفضل من سبيل المحافظة على السنة والاستمساك بعراها .(١)

---

(١) انظر كتاب الامام احمد والمحنة ، للمؤلف ولتزم باتسون ص ٣٤ - ٣٥ ترجمة عبد العزيز عبد الحق . بتصرف قليل من حذف وزيادة

الفصـــــل السابـع

فى : (قيام الافعال الاختيارية بذاته تعالى)

افترق الناس فى هذه المسألة الى مثبتين ونفاة .

فالمثبتون لقيام الصفات بذاته تعالى الذاتية والفعلية هم السلف وجمهـــور الائمة من أهل الحديث ، والمتكلمون من الكرامية وغيرهم . .

أما النفاة فهم الجهمية والمعتزلة وابن كلاب ومن تبعه من الاشاعرة وغيرهـم وهوءلاء الكلابية والاشاعرة يثبتون قيام الصفات الذاتية بذاته تعالى وينفـون قيام الافعال الاختيارية بذاته تعالى .

أما الجهمية من المعتزلة فتنفى قيام الصفات بذاته تعالى مطلقا ذاتيـــــة أو فعلية .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وكان الناس قبل أبى محمد بن كلاب صنفين : فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والافعال التـى يشاوءها ، والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا فأثبت ابن كـــلاب الصفات اللازمة له تعالى ونفى ان يقوم به ما يتعلق بميشيئته وقدرته من الافعال وغيرها ، ووافقه على ذلك ابو العباس القلانسى وأبو الحسن الاشعـــــرى وغيرهما .) (١) .

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنـــة النبوية ج ٢ ص ٤ - ٥ . وذكر ابن تيمية ان الحارث المحاسبى من أصحاب ابن كلاب ذكر فى كتابه " فهم القرآن " عن أهل السنة فى هذه المسألة قولين ورجح قول ابن كلاب .
كما ذكر ابن تيمية ان احمد بن حنبل امر بهجر الحارث بسبب قوله هذا ، . . وانه يحذر من ابن كلاب واتباعه ، وأنه قيل ان الحارث رجع عن قوله هذا (انظر الموافقة على منهاج السنة ج ٢ ص ٥

وقال ابن تيمية : (اثبات قيام الحوادث هو المعروف عند أهل السنة والحديث كالبخارى وأبى زرعة وأبى حاتم ومحمد بن يحيى الذهلى وغيرهم من العلماء الذين أدركهم محمد بن اسحاق بن خزيمة ..) (١) ، (٢)

ثم ذكر ابن تيمية انه حدث نزاع بين محمد بن خزيمة وبين من وافق ابن كلاب فى قوله انه تعالى لا يوصف بانه يقدر على الكلام بمشيئته وقدرته ، وأن الناس صاروا حزبين فى ذلك فالجمهور من أهل السنة وأهل الحديث مع ابن خزيمة ومن وافق ابن كلاب معه ، حتى صار علماء نيسابور وغيرهم حزبين فالحاكم أبوعبدالله وأبوعبدالرحمن السلمى وأبوعثمان النيسابورى ويحى بن عمار السجستانى وأبوعبدالله ابن منده وأبو نصر السجزى وشيخ الاسلام الانصارى وسعد بن على الزنجابى وغيرهم معه .

وأما أبوذر الهروى وأبو بكر البيهقى وطائفة أخرى فهم مع ابن كلاب... (٣)

واستدل المثبتون لقيام الأفعال الاختيارية بذاته تعالى بأدلة سمعية وعقلية :

<u>أما السمعية</u> :

فمنها قوله تعالى : (ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) . (٤)

---

(١) محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر امام بمدينة نيسابور امامها ، مولده فى صفر سنة ٢٢٣ ، وروى عنه خلق من الكبار منهم البخارى ، ومسلم ... مات ابن خزيمة سنة ٣١١ هـ (راجع طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٨)

(٢) الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٦

(٣) انظر المرجع السابق ج ٢ ص ٦

(٤) سورة الأعراف جزء من آية (٥٤)

وقوله : (وجاء ربك والملك صفا صفا) (١) .

قال أبو سعيد الدارمي : (وهذا يوم القيامة اذا نزل الله ليحكم بين العباد) (٢)

وقوله : (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده) (٣)

وقوله : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) (٤) .

فدلت هذه الآيات على اتصاف البارى سبحانه بالأفعال الاختيارية من الاستواء على العرش ، والمجىء ، والطى ، والخلق ، والاحياء ، والاماتة ، ونحو ذلك من الآيات الدالة على أن الله يفعل بقدرته ومشيئته كثير والفعل يقوم بالفاعل سواء كان فعله مقتصرا عليه كالفعل اللازم أو متعديا الى غيره كالفعل المتعدى ، والفعل المتعدى لا يتعدى الى غيره حتى يقوم بفاعله .

قال ابن تيمية : (فان الله تعالى وصف نفسه بالأفعال اللازمة كالاستواء وبالأفعال المتعدية كالخلق ، والفعل المتعدى مستلزم للفعل اللازم فان الفعل لابد له من فاعل سواء كان متعديا الى مفعول أولم يكن والفاعل لابد له من فعل سواء كان فعله مقتصرا عليه أو متعديا الى غيره ، والفعل المتعدى الى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله ، اذ كان لابد من الفاعل وهذا معلوم سمعا وعقلا .

---

(١) سورة الفجر آية (٢٢)

(٢) الرد على الجهمية ص ٣١

(٣) سورة الأنبياء جزء من آية (١٠٤)

(٤) سورة البقرة آية (٢٨)

أما السمع : فان أهل اللغة العربية التى نزل بها القرآن متفقون على أن الانسان اذا قال : قام فلان وقعد وقال : أكل فلان الطعام وشرب الشراب فانه لا بد أن يكون فى الفعل المتعدى الى المفعول به ما فى الفعل اللازم وزيادة اذ كلتا الجملتين فعلية وكلتاهما فيها فعل وفاعل .

والثانية امتازت بزيادة المفعول .. ، ولو قال قائل الجملة الثانية ليس فيها فعل قائم بالفاعل لكان كلامه معلوم الفساد ،
بل يقال : هذا الفعل تعلق بالفاعل أولا كتعلق قام وقعد ثم تعدى الى المفعول ففيه ما فى الفعل اللازم وزيادة التعدى وهذا واضح لا يتنازع فيه اثنان من أهل اللسان .

فقوله تعالى : (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) تضمن فعلين أولهما متعد الى المفعول به والثانى مقتصر لا يتعدى فاذا كان الثانى وهو قوله تعالى (ثم استوى) فعلا متعلقا بالفاعل فقوله خلق كذلك بلا نزاع بين أهل العربية ولو قال قائل : خلق لم يتعلق بالفاعل بل نصب المفعول به ابتداء كان جاهلا بل فى " خلق " ضمير يعود الى الفاعل كما فى " استوى .. " (١)

وبهذا ثبت أن أفعاله تعالى تقوم به سبحانه من غير تشبيه له بأفعال خلقه .

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٢ - ٣

أما أدلة المثبتين العقلية :

فمنها ما ذكره ابن تيمية بقوله : (فان المثبتين يقولون كونه قادرا على الفعل بنفسه صفة كمال ، كما أن قدرته على المفعول المنفصل صفة كمال ، فانا اذا عرضنا على صريح العقل من يقدر على الفعل القائم به والمنفصل عنه ومن لا يقدر على احدهما علم ان الأول أكمل كما اذ عرضنا عليه من يعلم نفسه وغيره ومن لا يعلم الا احدهما وأمثال ذلك .

ويقول من يجوز دوام الحوادث وتسلسلها : اذا عرضنا على صريح العقل من يقدر على الأفعال المتعاقبة الدائمة ، ويفعلها دائمة متعاقبة ومن لا يقدر على الدائمة المتعاقبة كان الأول أكمل .

وكذلك اذا عرضنا على العقل من فعل الأفعال المتعاقبة مع حدوثها ومن لا يفعل حادثا أصلا لئلا يكون عدمه قبل وجوده عدم كمال شهد صريح العقل ان الأول أكمل .

فان الثانى ينفى قدرته وفعله للجميع ، لئلا يعدم البعض فى الأزل والأول يثبت قدرته وفعله للجميع مع عدم البعض فى الأزل فذاك ينفى الجميع حذار من فوت البعض والثانى يثبت ما يثبته من الكمال مع فوت البعض ففوت البعض لازم على التقديرين وامتاز الأول باثبات كمال فى قدرته وفعله لم يثبته الثانى) (١) .

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٣٦ - ١٣٧

واستدل ابن تيمية على اثبات قيام الأفعال الاختيارية بذاته تعالى بما استدل به من يثبت قيام الصفات اللازمة والزمهم بذلك فقال :

(فان ما به تثبت الصفات القائمة به تثبت الأفعال القائمة به التي تحصل بقدرته واختياره ونحو ذلك ، وذلك انه يقال : العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام ونحو ذلك صفات كمال ، فلو لم يتصف الرب بها اتصف بنقائضها كالجهل والعجز والصمم والبكم والخرس وهذه صفات نقص والله منزه عن ذلك فيجب اتصافه بصفات الكمال .

ويقال كل كمال يثبت لمخلوق من غير ان يكون فيه نقص بوجه من الوجوه فالخالق تعالى أولى به وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق سبحانه أولى بتنزيهه عنه بل كل كمال يكون للموجود لا يستلزم نقصا فالواجب الوجود أولى به من كل موجود ..) (١)

وقال أيضا : (.. فمن جوز ان يقوم بذات الله فعل لازم كالمجيء والاستواء ونحو ذلك لم يمكنه ان يمنع قيام فعل يتعلق بالمخلوق كالخلق والبعث والاماتة والاحياء كما أن من جوز ان تقوم به صفة لا تتعلق بالغير كالحياة لم يمكنه ان يمنع قيام الصفات المتعلقة بالغير كالعلم والقدرة والسمع والبصر ، ولهذا لم يقل أحد من العقلاء باثبات احد الضربين دون الآخر بل قد يثبت المتعدية القائمة به كالتخليق من ينازع في الأفعال اللازمة كالمجيء والاتيان ، وأما العكس فما علمت به قائلا واذا كان ذلك كذلك كان حدوث مايحدثه الله تعالى من المخلوقات تابعا لما يفعله من أفعاله الاختيارية القائمة بنفسه ..) (٢)

---

(١) الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٣٨ - ١٣٩

(٢) الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٣ - ٤

(أدلة نفاة قيام الحوادث بذاته تعالـــى)

قبل الشروع فى الاحتجاج نورد تحريرهم محل النزاع ، ونبين معنـــى الحادث والمتجدد فنقول :

فرق النفاة بين الحادث والمتجدد ، وقالوا يمتنع قيام الحادث بذاته تعالـى دون المتجدد .

أما الحادث فهو ما وجد بعد عدم ، والمتجدد ما لا وجود له وتجدد .

وهو ثلاثة أقسام بينها شارح المواقف بقوله :

(الاول الأحوال ولم يجوز تجددها) فى ذاته تعالى (الا ابوالحسين) من المعتزلة (فانه قال تتجدد العالمية فيه بتجدد المعلومات) هكـــذا ذكره الآمدى فى ابكار الافكار وقال الامام الرازى فى نهاية العقول : اختلفت المعتزلة فى تجويز تجدد الأحوال مثل المدركية والسامعية والمبصرية والمريديـــة والكارهية وأما أبو الحسين فانه أثبت تجدد العالميات فى ذاته تعالى (١)

(الثانى الاضافات) اى النسب (ويجوز تجددها اتفاقا من العقلاء حتى يقال انه تعالى موجود مع العالم بعد أن لم يكن معه .

(الثالث : السلوب ..) (٢) وقد بين هذا الثالث بما حاصله :

السلب ان كان سلبا لامر لا يليق اتصاف البارى به فهذا لا يجوز تجدده ، وان كـــان

---

(١) وذكر ذلك الرازى ايضا فى كتابه الاربعين فى اصول الدين ص ١١٨ وسيأتى حاصل ما ذكره .

(٢) المواقف بشرحها ج ٨ ص ٣١

سلبا لأمر لا يستحيل اتصاف الباري به جاز تجدده ، فانه تعالى موجود مع كل حادث فاذا عدم الحادث لم يكن معه ، فقد تجدد له صفة سلب بعد ان لم تكن . (١)

أما أدلتهم على نفي قيام الحوادث بذاته تعالى فليس معهم مايستدلون بـه من السمع الصحيح .

واستدلوا من العقل بأدلة أهمها :

أولا : انه لو صح اتصافه تعالى بالحوادث لم يخل منها ، لان القابل للشيء لا يخلو منه ومن ضده .

وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث (٢) ، لامتناع حوادث لا أول لها والله يستحيل ان يكون حادثا .

فهذا الدليل مبني على أن القابل للضدين يستحيل خلوه عنهما كما ذكر الرازي (٣) .

---

(١) انظر المرجع السابق ج ٨ ص ٣١

(٢) انظر هذا الدليل غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص ١٨٧ وشرح المواقف ج ٨ ص ٣٥ - ٣٦ .
وانظر حول هذا الدليل فيما ذكره ابن تيمية عن الرازي في موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٠٨ واشار ابن تيمية الى هذا الدليل ص ١٠٩

(٣) قال الرازي وهذه الدلالة مبنية على ان القابل للضدين يستحيل خلوه عنهما ..) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٨

ثانيا : قال الرازى : (ومن أصحابنا من أورد هذه الدلالة (١) على وجه لا يحتاج فى تقريرها الى البناء على ذلك الأصل (٢) وهو انه لو كان قابلا للحوادث لكان قابلا لها فى الأزل وكون الشىء قابلا للشىء فرع عن امكان وجود المقبول فيلزم صحة حدوث الحوادث فى الازل وهو محال) (٣) .

وبيان ذلك ان قابلية الشىء للشىء نسبة بين القابل والمقبول والنسبة بين الشيئين موقوفة عليهما . (٤)

فاذا كان الله قابلا للحوادث كانت هذه القابلية من لوازم ذاته ، والا بأن كان غير قابل للحوادث أزلا ثم أمكن اتصافه بها لزم الانقلاب من الامتناع الذاتى الى الامكان الذاتى ، وهذا باطل ،

---

(١) يريد بها ما عول عليه أصحابه فيما ذكره قبل ذلك بقوله : (والذى عول عليه اصحابنا انه لو صح اتصافه بالحوادث لوجب اتصافه بالحوادث او بأضدادها فى الأزل وذلك يسوجب اتصافه بالحوادث فى الازل : (راجع الموافقة على منهاج السنة ج ٢ ص ١٠٨)

(٢) الأصل هو ما ذكره بقوله : (وهذه الدلالة مبنية على ان القابل للضدين يستحيل خلوه عنهما) . انظر الموافقة على منهاج السنة ج ٢ ص ١٠٨

(٣) الموافقة على منهاج السنة ج ٢ ص ١٠٨ . كما نقله ابن تيمية عن الرازى . وانظر هذا الدليل فى الأربعين فى أصول الدين للرازى ص ١٢٠

(٤) انظر الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١١٥ وانظر دليل النسبة فى الأربعين للرازى ص ١٢٠

واذا كانت القابلية من لوازم ذاته امتنع انفكاكها عنه فتكون القابلية أزلية لأزلية الذات ، واذا كانت القابلية أزلية وهي موقوفة على تحقق القابل والمقبول يلزم اذا قبل الحوادث أزلا وجود الحوادث فى الأزل ووجود الحوادث فى الأزل محال .

ثالثا : لو قامت بذاته تعالى الحوادث لتغير ، والتغير على الله محال (١)

رابعا : وهو ما اعتمد عليه الرازى وتبعه عليه أبو الحسن الآمدى .

قال الرازى فى بيان هذا الدليل كما نقله ابن تيمية عنه : (والمعتمد ان نقول : كل ما صح قيامه بالبارى تعالى فاما ان يكون صفة كمال أو لا يكون فان كان صفة كمال استحال أن يكون حادثا والا كانت ذاته قبل اتصافه بتلك الصفة خالية عن صفة الكمال والخالى عن الكمال الذى هو ممكن الاتصاف به ناقص والنقص على الله محال باجماع الأمة وان لم يكن صفة كمال استحال اتصاف البارى بها لاجماع الأمة على أن صفات الله بأسرها صفات كمال فاثبات صفة لا من صفة الكمال خرق للاجماع وانه غير جائز .

قال وهذا ما نعول عليه وانه مركب من السمع والعقل ..) (٢) .

---

(١) انظر ما نقله ابن تيمية عن الرازى فى الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٠٨ . وراجع شرح المواقف ج ٨ ص ٣٤ حيث ذكر هذا الدليل

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٠٧ - ١٠٨ . وانظر ما ذكره الآمدى فى غاية المرام ص ١٩١ فبعد ان نقد أدلة النفاة بعد ذكرها عول على هذا الدليل

(مناقشة أدلة النفاة)

أما الدليل الأول : فهو مبني على ان القابل للضدين لا يخلو عنهما وعلى ان مالا يخلو من الحوادث فهو حادث .

والأصل الأول غير مسلم لهم : فقد نقده الرازي في الأربعين (١) وأورد الشهرستاني في نهاية الاقدام عن الفلاسفة أن هذا الأصل دعوى مجردة لا برهان عليها . (٢)

والآمدي لما ذكر الدليل الذي اعتمد على هذا الأصل بقوله : (لو جاز قيام الحوادث بذات الباري - تعالى - لاستحال خلوه عنها ، وما استحال خلوه عن الحوادث فهو حادث ، والباري مستحيل أن يكون حادثا . .

قال : واعلم ان هذا المسلك ضعيف جدا ، وذلك انه وان تسومح بتسليم أن ما لا يخلو عن الحوادث حادث لكن لا يلزم من كون الباري تعالى قابلا للحوادث ان لا يخلو عنها .) (٣)

فالآمدي لم يسلم بهذا الأصل في حق الباري تعالى .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في نقده لهذا الأصل : (. . أما الأولى وهي

---

(١) راجع الأربعين للرازي ص ١٧٠ - ١٧٢

(٢) راجع نهاية الاقدام للشهرستاني ص ٢٧٠

(٣) غاية المرام في علم الكلام ص ١٨٧ وانظر ص ٩٠ وما نقده من أن القابل الشيء لا يخلو عنه وعن ضده .

ان القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده فأكثر العقلاء على خلافهـا .(١)
والنزاع فيها بين طوائف الفقهاء والنظار ومن الفقهاء من اتباع الائمة الأربعة كأصحاب احمد ومالك والشافعي وابي حنيفة وغيرهم من قال ذلك والتزم ان يكون لكل جسم طعم ولون وريح وغير ذلك من أنواع الاعراض ولا دليل لاصحابهـا عليها ... (٢)

ومضمون ما اعتمد عليه من قال ان القابل للشئ لا يخلو منه ومن ضده ان الجسم لا يخلو عن الأكوان الأربعة الاجتماع والافتراق والحركة والسكون فتقاس بقية الاعراض عليها .

واحتجوا بأن القابل لا يخلو عنها وعن ضدها بعد الاتصاف كما سلمته الكرامية فكذلك قبل الاتصاف .

فاجابهم من خالفهم كالرازي وغيره بان الأولى قياس محض بغير جامع فاذا قدر ان الجسم يستلزم نوعا من أنواع الاعراض فمن ايـن يجب ان يستلزم بقية الانواع وايضا فان الذي يسلمونه لهم الحركة والسكون . والسكون هل هو وجودي أو عدمي

---

(١) قال ابن تيمية : فلا يلزم من عدم حب الشئ المعين بغضه وكراهته وما ذكروه من السواد والبياض قضية جزئية فلا يثبت بها دعوى كلية (الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٢٠ — ١٢١

(٢) ويؤكد ذلك ما جاء في المواقف بشرحها حينما قال : (وربما يقال : لو قام الحادث بذاته لم يخلو عنه وعن ضده وضد الحادث حادث وما لا يخلـو عن الحوادث فهو حادث وهذا) الاستدلال (ينبنـي على أربع مقدمات الاولى ان لكل صفة حادثة ضدا . الثانية ضـد الحادث حادث . الثالثة الذات لا تخلـو عن الشئ وضده والثالث الاول) الرابعة ما لا يخلو عن الحادث فهو حادث

فيه قولان معروفان واما الاجتماع والافتراق فهو مبني على مسألة الجوهر الفرد ومن قال ان الاجسام ليست مركبة من الجواهر الفردة وهم أكثر الطوائف لم يقل بان الجسم لا يخلو من الاجتماع والافتراق بل الجسم البسيط عنده واحد سواء قبل الافتراق او لم يقبله •

وكذلك اذا قدر ان فيه حقائق مختلفة متلازمة لم يلزم من ذلك ان يقبل الاجتماع والافتراق •

واما كونه لا يخلو عنهما بعد الاتصاف فاجابوا عنه بمنع ذلك في الاعراض التي لا تقبل البقاء كالحركات والاصوات •

واما ما يقبل البقاء فهو مبني على ان الباقي هل يفتقر زواله الى ضد ام لا • فمن قال : ان الباقي لا يفتقر زواله الى ضد امكنه ان يقول : يجوز الخلو عن الاتصاف بالحادث بعد قيامه بدون ضد يزيله • ومن قال : لا يزول الا بضد قال ان الحادث لا يزول الا بضد حادث فان الحادث بعد الحدوث لا يخلو المحل منه ومن ضده بناء على هذا الاصل •

فان كان الأصل (١) صحيحا ثبت الفرق (٢) وان كان باطلا منع الفرق

= من هذه المقدمات (مشكلة) اذ لا دليل على صحتها فلا يصح الاستدلال بها) ج ٨ ص ٣٥ — ٣٦

(١) الاصل هو ان الباقي بعد الحدوث لا يزول الا بضد حادث يزيله

(٢) الفرق بين القابل للشئ وضده قبل الاتصاف وبين القابل للشيء وضده بعد الاتصاف •

وتناقضهم (١) يدل على فساد احد قوليهم .

ثم القائلون بموجب هذا الاصل كثيرون بل اكثر الناس على هذا فلا يلزم من تناقض الكرامية (٢) تناقض غيرهم .) (٣)

واما الدعوى الثانية وهى ان ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

فان سلم ان القابل للشئ لا يخلو منه ومن ضده فلا يلزم حدوث القابل الا اذا كان لا يخلو عن جملة من الحوادث لها اول .

اما اذا كانت الحوادث لا اول لها بمعنى انه ما من حادث الا وقبله حادث لا الى أول فلا يلزم حينئذ حدوثه .

وبرهان التطبيق الذى أقاموه على امتناع حوادث لا اول لها لم يسلم من الطعن فبعد ان قرره ابن تيمية رد عليه فقال : (ومثال ذلك ان يقدروا الحوادث من زمن الهجرة مثلا الى ما لا يتناهى والحوادث من زمن الطوفان الى ما لا يتناهى ايضا ثم يوازنون بين الجملتين فيقولون : ان تساوتا لزم مساواة الزائد للناقص وهذا ممتنع .. وان تفاضلتا لزم ان يكون فيما لا يتناهى تفاضل وهو ممتنع .

والذين نازعوهم .. منعوا هذه المقدمة وقالوا لا نسلم ان حصول مثل هذا

---

(١) المراد بهم نفاة الحوادث

(٢) وجه تناقض الكرامية هو قولهم بجواز قيام الحوادث بذاته تعالى مع قولهم لا يوصف بها

(٣) الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١١٠ - ١١١

التفاضل في ذلك ممتنع بل نحن نعلم ان من الطوفان الى ما لا نهاية له في المستقبل أعظم من الهجرة الى ما لا نهاية له في المستقبل وكذلك من الهجرة الى ما لا نهاية له في الماضي أعظم من الطوفان الى ما لا بداية له في الماضي وان كان كل منهما لا بداية له فان ما لا نهاية له من هذا الطرف ليس امرا محصورا محدودا موجودا حتى يقال : هما متوازنان في المقدار فكيف يكون احدهما اكثر بل كونه لا يتناهى معناه انه يوجد شيئا بعد شيء دائما فليس هو مجتمعا محصورا والاشتراك في عدم التناهي لا يقتضي التساوي في المقدار الا اذا كان ما يقال عليه انه لا يتناهى قدرا محدودا ، وهذا باطل ، فان ما لا يتناهى ليس له حد محدود ولا مقدار معين بل هو بمنزلة العدد المضعف . فكما ان اشتراك الواحد والعشرة والمائة والالف في التضعيف الذي لا يتناهى لا يقتضي تساوي مقداريهما فكذلك هذا وايضا فان هذين هما متناهيان من احد الطرفين وهو الطرف المستقبل ، غير متناهيين من الطرف الآخر وهو الماضي وحينئذ فقول القائل للزم التفاضل فيما لا يتناهى غلط ، فانه انما حصل في المستقبل وهو الذي يلينا وهو مثناه ثم هما لا يتناهيان من الطرف الذي لا يلينا وهو الأزل .

وهما متفاضلان من الطرف الذي يلينا وهو طرف الابد فلا يصح ان يقال وقع التفاوت فيما لا يتناهى اذ هذا يشعر بان التفاوت حصل في الجانب الذي لا آخر له وليس كذلك بل انما حصل التفاضل من الجانب الذي له آخر فانه لم ينقض .) (١)

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية وبهامشه الموافقة ج ١ ص ١٦١

واما برهان التضايف الذى استدل به على ابطال التسلسل وحاصله : انه لو ذهبت سلسلة المتضايفين الى غير نهاية كالسابق والمسبوق مثلا لزم ان يكون عدد احد المتضايفين أزيد من عدد المضايف الآخر وهو محال .

اما لزوم الزيادة فبيانه : اننا لو اخذنا السلسلة من مبدأ معين وليكن مبدأ السلسلة ما يلينا ثم ذهبنا الى طرف المبدأ فكل واحد من أحاد السلسلة ما عدا هذا المبدأ المعين يتحقق فيه وصف السابقية على ما بعده ، ووصف المسبوقية من حيث سبقه ما هو قبله فكل واحد من الآحاد سابق ومسبوق ، اما مبدأ السلسلة المعين فهو مسبوق وليس بسابق ، اذ ليس تحته شئ فيكون عدد المسبوقيات اكثر من عدد السابقيات . واما كون زيادة عدد أحد المتضايفين على الآخر باطلة ، فلأن المتضايفين هما اللذان لا يعقل احدهما بدون الآخر فان تحقق احد المتضايفين من حيث انه مضاف فانما يكون مع تحقق الآخر ، وذلك ان التضايف نسبة بين متضايفين ولا تكون النسبة الا اذا وجد الطرفان فلا يزيد احد المتضايفين على الآخر .

واذا فلا بد من انقطاع السلسلة لتكون سابقية الأولى موازية لمسبوقية الأخير .

وهذا البرهان باطل ، لان السابقية والمسبوقية انما تحقق بين شيئين سابق ومسبوق وبين المسبوق الأخير وما قبله هذه النسبة ، وهكذا بين كل اثنين سابقية ومسبوقية . ولو ذهبت السلسلة الى غير نهاية فلا يزيد احد المتضايفين على الآخر . (١)

---

(١) انظر حاشية محمد عبده على شرح الجلال الدوانى للعقائد العضدية ص ٣٥ — ٣٦ المطبعة المنيرية سنة ١٣٢٢ هـ الطبعة الاولى

مناقشة الدليل الثاني

وهو ما اورده الرازى على وجه لا يحتاج فى تقريره الى البناء على اصل ان القابل للشئ لا يخلو منه ومن ضده .

نقول فى مناقشته : ان صاحب المواقف بعد ان استدل به على النفى قال فى مناقشته ما حاصله :

انه لا يلزم من أزلية الامكان امكان أزليه وجود الحادث كما فى الحوادث اليومية فان ازلية امكانها لا تستلزم امكان وجودها ازلا واللازم لكون القابلية من لوازم ذاته تعالى ازلية صحة وجود الحادث وهى ليست بباطلة .

ولا يلزم من أزلية صحة وجود الحادث صحة الازلية اى صحة ازلية وجود الحادث ففرق بين ازلية الامكان وامكان الازلية ، فالاول غير محال ، وانما المحال هو امكان الازلية اى امكان ازلية وجود الحادث .

ثم ذكر ما حاصله : انه لو صح هذا الدليل لصح ان يكون العالم ازليا . وبيان ذلك : ان الله قابل لان يوجد العالم وهذه القابلية لايجاد العالم والتأثير فيه ازلية ، فلو لزم من ازلية القابلية للاتصاف بالحادث امكان ازلية الحادث للزم من ازلية قابليته لايجاد العالم امكان وجود العالم ازلا فيصح ان يكون العالم ازليا .(١)

---

(١) انظر شرح المواقف ج ٨ ص ٣٤

كذلك قال الرازى فى معارضة هذا الدليل كما نقله ابن تيمية بقوله :
(.. الا ان ذلك معارض بان الله قادر فى الازل ولا يلزم من ازلية قادريته صحة ازلية المقدور فكذلك ههنا ..) (١) .

اى لا يلزم من ازلية قابليته ازلية المقبول .
لكن الرازى فى الأربعين اجاب عن هذه المعارضة بقوله : بان تقدم القدرة على المقدور واجب دون تقدم القابل على المقبول .(٢)

ورد هذا الجواب بان الحادث المقبول مقدور من المقدورات فاذا وجب تأخر المقدور عن القادر كان الامر كذلك بالنسبة للحادث المقبول .

يقول شيخ الاسلام فى بيان ذلك : (هذه الامور المقبولة هى من الحوادث المقدورة بخلاف الصفات اللازمة له فانها ليست مقدورة ، فالمقبولات تنقسم الى مقدور وغير مقدور ، كما ان المقدورات تنقسم الى مقبول وغير مقبول ، وما يقوم بالذات من الحوادث هو مقبول مقدور ، وحينئذ فاذا كان وجود المقدور فى الازل محالا كان وجود هذا المقبول فى الازل محالا ، لان هذا المقبول مقدور من المقدورات .

واذا كان وجود هذه الحوادث المقدورة المقبولة محالا فى الازل لم يلزم من ذلك

---

(١) الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص١٠٨ نقله ابن تيمية عن الرازى من كتابه نهاية العقول فى دراية الاصول .
(٢) راجع الاربعين فى اصول الدين ص ١٢١ — وما نقله ابن تيمية عنه فى الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٣٣

امتناع وجودها فيما لا يزال ، كسائر الحوادث ، ولم يلزم من كون الذات قابلة لها امكان وجودها في الازل ..) (١) .

وكيف يقال تقدم القدرة على المقدور واجب بخلاف تقدم القابل على المقبول مع ان الدليل قائم على ان القابلية نسبة بين شيئين فتقتضي تحققها معا في زمن واحد ، وهذا متحقق فيما عورض به الدليل فان القادرية نسبة بين قادر ومقدور فتقتضي اذا تحققهما معا في زمن واحد .

فاذا كان القادر ازليا لزم ازلية المقدور ، واذا فما هو جواب عن هذه المعارضة فهو جواب عن هذا الدليل المذكور .

قال ابن تيمية : (ان صح الفرق بين المقدور والمقبول كان هذا وحده دليلا على وجوب حصول الحادث في الازل ان كان قابلا له ، وحينئذ فلا حاجة الى ان يستدل على ذلك بما ذكره من النسبة ان كان الفرق صحيحا
وان لم يكن صحيحا صح النقض به .) (٢)

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١١٤
(٢) الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٣٤

مناقشة الدليل الثالث

وهـو انه تعالى : لو قامت بذاته الحوادث لتغير والتغير على الله محال :
هذا الدليل بعد ان اورده صاحب المواقف ضعفه .
فبعد ان بين لزوم التغير : بان قيام الحوادث به تعالى يلزم منه ان تكون ذاته متأثرة عن الغير متغيرة به قال ما حاصله :

ان أردت بتأثره عن غيره حصول الصفة بعد ان لم تكن كان بمنزلة قولك : لو حصلت له صفة بعد أن لم تكن وحينئذ فيكون قولك : بانه لا يتأثر عن غيره عين مدعاك فيكون مصادرة على المطلوب .

وان اردت بقولك : انه لا يتأثر عن غيره انه لا تحصل له صفة من غيره ، اجيب بانه لا يلزم من قيام الحوادث به حصول صفة له من غيره لجواز ان تقتضى ذاته حصولها على سبيل الترتيب والتلاحق ، أو ان يوجدها فى ذاته بالاختيار ، فكما اوجد سائر المحدثات فى اوقات مخصوصة يوجد الحادث فى ذاته . (١)

وكذلك الرازى فبعد ان اورد هذا الدليل قال : وهذا ضعيف ، لانه ان فسر التغير بقيام الحوادث به اتحد اللازم والملزوم . (٢)

---

(١) انظر المواقف بشرحها ج ٨ ص ٣٥

(٢) يبين ابن تيمية اتحاد اللازم والملزوم بقوله : (.. وقد اجاب الرازى وغيره عن ذلك بان لفظ التغير مجمل فان الشمس والقمر اذا تحركت أو تحركت الرياح .. فهل يسمى هذا تغيرا أو لا يسمى تغيرا ، فان سمى تغيرا كان المعنى انه اذا تحرك المتحرك فقد تحرك واذا تغير بهذا

وان فسر بغيره امتنع اثبات الشرطية ٠(١)

والآمدى لما ذكر ادلة النفاة لم يذكر هذا الدليل لضعفه اذ يقول :

(قد ذكر فى هذا الباب مسالك اخر فساد ها اظهر من ان يخفى ، فلذا آثرنا الاعراض عن ذكرها ٠) (٢)

وقال ابن تيمية فى مناقشة هذا الدليل ما حاصله :

انه لا يلزم من قيام الحوادث بذاته تعالى التغير المستحيل على الله وهو الاستحالة فى الصفات بان يتغير من صفة الى اخرى كما يقال تغير المريض ونحو ذلك ٠ لا يلزم هذا التغير المستحيل ، اذ لا دليل على انه يلزم من حركة المتحرك من الحوادث مثل هذا التغير ٠

فان الناس لا يقولون للشمس والقمر والكواكب اذا كانت جارية فى السماء ان هذا تغير او انها تغيرت ، ولا يقولون للانسان اذا كان يقرأ القرآن ويصلي الخمس انه كلما قرأ أو صلي قد تغير ٠

وانما يقولون ذلك لمن لم تكن عادته هذه الافعال اذا تغيرت صفته وعادته انه قد تغير ٠

فالتغير المعروف فى اللغة : التحول من حال الى حال كتغير المريض ، فلا يلزم

= التغير فقد تغير واذا قامت به الحوادث كالحركة ونحوها فقد قامت به الحوادث فهذا معنى قوله : ان فسر بذلك فقد اتحد اللازم والملزوم ٠٠) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١١٥ ـ ١١٦

(١) انظر الموافقة على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٠٨ فيما نقله ابن تيمية عن الرازى

(٢) غاية المرام فى علم الكلام للآمدى ص ١٩١

من قيام الحوادث بذاته تعالى التغير في صفاته وذلك ان صفاته من لوازم ذاته فهي لا تغير فيها .

فمن قال انه سبحانه لم يزل متكلما اذا شاء فعالا لما يشاء لم يسمّ افعاله تغيرا .. ولم يسمّ الفعل المعين صفة فالكلام المعين ليس صفة وان كان يوصف بجنسه .

ثم قال ابن تيمية : (مذهب السلف انهم لا يطلقون لفظ الغير على الصفات لا نفيا ولا اثباتا ، فلا يطلقون القول بانها غيره ولا بانها ليست غيره اذ اللفظ مجمل فان اراد المطلق بالغير المباين فليست غيرا ، وان اراد بالغير ما قد يعلم احدهما دون الآخر فهي غير وهكذا ما كان من هذا الباب .

واذا كان هذا كلامهم في لفظ الغير فلفظ التغير مشتق منه) (١) .

فان قيل : التغير مستحيل في حقه تعالى بدليل قول ابراهيم عليه السلام فيما أخبر به عنه تعالى بقوله : (لا أحب الآفلين) (٢) ، (٣) أجيب :

بان التغير لفظ مجمل كما سبق وان التغير المستحيل في حقه تعالى هو الاستحالة في الصفات كتغير المريض . والأفول لا يعد تغيرا بالمعنى اللغوي وهو التحول من حال الى حال .

---

(١) الموافقة على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١١٧

(٢) سورة الانعام جزء من آية ٧٦ وهي قوله تعالى : (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا احب الآفلين)

(٣) انظر هذا الوجه من الاستدلال الأربعين في اصول الدين ص ١٢١

فقد ذكر ابن تيمية ان الافول الوارد في الآية ليس بمعنى التغير بل هو المغيب والاحتجاب فقال : (.. ولقائل ان يقول ان كان الخليل صلى الله عليه وسلم احتج بالافول على نفي كونه رب العالمين لزم انه لم يكن ينفي عنه حلول الحوادث لان الافول هو المغيب والاحتجاب باتفاق اهل التفسير واللغة . (١)

وهو مما يعلم من اللغة اضطرارا وهو حين بزغ قال هذا ربي فان كان من حين بزوغه الى حال افوله لم ينف عنه الربوبية دل على انه لم يجعل حركته منافية لذلك وانما جعل المنافي الأفول .

وان كان الخليل صلى الله عليه وسلم انما احتج بالافول على انه لا يصلح ان يتخذ ربا ويشرك به ويدعى من دون الله فليس فيه تعرض لافعال الله تعالى . فقصة الخليل اما ان تكون حجة عليهم أو لا لهم ولا عليهم .) (٢)

---

(١) جاء في مختار الصحاح ص ١٩ قوله : (افل : غاب وبابه دخل وجلس)

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٣٤ ـ ١٣٥

مناقشة الدليل الرابـــع

هذا الدليل اورده صاحب المواقف واجاب عنه بقوله :

(و) يمكن الجواب (عن) الوجه (الثاني) بان يقال (لم لا يجوز ان يكون ثمة صفات كمال متلاحقة) غير متناهية (لا يمكن بقاؤها) واجتماعها (وكل لاحق منها مشروط بالسابق) على قياس الحركات الفلكية عند الحكماء (فلا ينتقل) حينئذ (عن الكمال الممكن له الا الى كمال آخر) يعاقبه (ولا يلزم الخلو عن الكمال المشترك) بين تلك الأمور المتلاحقة .

(واما الخلو عن كل واحد) منها (فاما لامتناع بقائه ولا نسلم امتناع الخلو عن مثله) مما يمتنع بقاؤه انما الممتنع هو الخلو عن كمال يمكن بقاؤه (واما لانه لو لم يخـل عنه لم يمكن حصول غيره فيلزم) حينئذ (فقد كمالات غير متناهية فكان فقده هو الكمـــال بالحقيقة) لا وجدانه مع فقدان تلك الكمالات الا ان هذا التصوير ينافيه برهان التطبيق على رأي المتكلم كما سيشير اليه المصنف) (١) .

يريد ان تلاحق الصفات بمعنى انه ما من صفة كمال الا وقبلها صفة كمال لا الى نهاية انما يتم اذا لم يمتنع حوادث لا اول لها ، اما اذا كان للحوادث أول على ما يدل عليه برهان التطبيق فان الجواب بتلاحق الصفات لا يكون تاما ، اذ في هذه الحالة تكون هذه الصفات المتلاحقة لها اول ، فيكون قبل الاتصاف بها خاليا عن كمـــال

---

(١) المواقف بشرحها ج ٨ ص ٣٤ ـ ٣٥

يمكن الاتصاف به وهذا نقص .

وان قيل : انه مقارن لهذه الحوادث التى لها اول لزم حدوثه ، وهو محال على الله تعالى ، لكن سبق بيان ان برهان التطبيق غير تام وبهذا يتم جواب صاحب المواقف .

هذا ويظهر من كلامه انه جعل افراد الحوادث القائمة بذاته تعالى صفات كمال لله تعالى ، وان هذه الصفات وان كانت لا توجد الا متلاحقة فان ذلك لا يؤدى الى خلوه عن الكمال المشترك بين تلك الامور المتلاحقة .

ويرد ابن تيمية على هذا فيقول : (... والمنازع لا يسمى ذلك (١) صفة وان وصف الموصوف بنوع ذلك فليس كل فرد من الافراد صفة كمال تستحق القدم بحيث يكون عدمها في الازل نقصا ، وما اقتضت حكمته حدوثه في وقت لم يكن عدمه قبل ذلك نقصا بل الكمال عدمه حيث لا تقتضي الحكمة وجود حدوثه .

ووجوده حيث اقتضت الحكمة وجوده كالحوادث المنفصلة فليس عدم كل شئ نقصا عما عدم عنه ، وايضا فالحوادث لا يمكن وجودها الا متعاقبة وقدمها ممتنع وما كان ممتنع الوجود لم يكن عدمه نقصا .

والتسلسل المذكور هو التسلسل في الآثار والشروط ونحوها وهذا فيه قولان مشهوران

---

(١) يعني الحادث المعين

فالمنازع قد يختار جوازه لا سيما من يقول ان الرب لم يزل فاعلا متكلما اذا شاء) (١)

ومن هنا يظهر ان ابن تيمية لا يجعل كل فرد من افراد الحوادث صفة كمال تستحق القدم ، فالفرد المعين لا يكون كمالا الا حيث اقتضت الحكمة وجوده ، وعدمه قبل ذلك لا يكون نقصا ، كما بين ان التسلسل في افعاله القائمة به تعالى ليس هو التسلسل الممتنع اذ هو تسلسل في الآثار والشروط .

ومع كون هذه الادلة التي اقاموها على امتناع قيام الحوادث بذاته تعالى لم تسلم من الطعن ، فقد ذكر الامام الرازي ان نفاة قيام الحوادث بذاته تعالى يلزمهم الاثبات وقال في بيان ذلك ما حاصله :

اما عن المعتزلة : فمذهب ابي علي وابي هاشم ومن تبعهما ان صفة المريدية والكراهية تحدث في ذات الله تعالى ، وان كان الله مريدا بارادة حادثة لا في محل ، وكارها بكراهة حادثة لا في محل ، وكذا المبصرية والسامعية تحدثان في ذاته تعالى اذا حضر المرئي والمسموع وهذا قول بحدوث الحوادث بذاته تعالى ومع ذلك لا يقولون حدثت وانما يقولون تجددت .

وأبو الحسين البصري اثبت علوما متجددة في ذاته تعالى بتجدد المعلومات .

واما عن الاشاعرة : فانهم يثبتون النسخ وهو رفع الحكم الثابت او انتهاؤه ،

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٣٢ — ١٣٣

وكلاهما عدم بعد الوجود وهذا اعتراف بوقوع التغير لان الذى ارتفع وانتهى فقد عدم بعد وجوده .

ويقولون بان تعلقات العلم والقدرة والارادة حادثة ، فقبل وقوع المعلوم يتعلق العلم بانه سيقع وبعده يزول هذا التعلق ويصير متعلقا بانه وقع والقدرة تتعلق بايجاد المعدوم ، واذا وجد انقطع ذلك التعلق لامتناع ايجاد الموجود ، وكذلك الارادة تتعلق بالترجيح وبعد ترجيحها لا يبقى هذا التعلق ، وهذا تصريح بوقوع التغير فى التعلقات .

وايضا يقولون بحدوث تعلق السمع والبصر بحدوث المسموع والمبصر وهذا اعتراف بحدوث المتعلقات .(١)

واما عن الفلاسفة فقال الرازى : اصل مذهبهم يقتضى القول بقيام الحوادث بذاته تعالى .

وذلك انهم يقولون بان الاضافات موجودة فى الاعيان ، فعلى هذا كل حادث يحدث فان الله تعالى يكون معه ، وكونه تعالى مع الحادث وصف اضافى حدث فى ذاته .

---

(١) راجع الاربعين فى اصول الدين للرازى ص ١١٨ - ١١٩
وقد ذكر الرازى ان التعلق فى القدرة مثلا اضافة مخصوصة بين القدرة وبين المقدور . وقال (اما وقوع التغير فى الاضافات فلا خلاص عنه) .
الاربعين فى اصول الدين ص ١٢٠

وصرح ابو البركات البغدادي من متأخريهم في كتابه (المعتبر) باثبات ارادات محدثة في ذات الله تعالى (١) وانه لا يتصور كونه تعالى الها لهذا العالم الا مع هذا المذهب .(٢)

ثم قال الرازي بعد ذلك : (فاذا حصل الوقوف على هذا التفصيل ظهر ان هذا المذهب قال به اكثر فرق العقلاء وان كانوا ينكرونه باللسان .) (٣)

وقال ابن تيمية عن الرازي : (قلت ابو عبدالله الرازي من أعظم الناس منازعة للكرامية .. وهذه المسألة من اشهر المسائل التي ينازعهم فيها ، ومع هذا قد ذكر ان قولهم يلزم اكثر الطوائف ، وذكر انه ليس لمخالفيهم عليهم حجة صحيحة الا الحجة التي احتج بها وهي من اضعف الحجج)(٤) .

كما ذكر ابو المعالي الجويني في الارشاد انه لا حجة للمعتزلة على استحالة قيام الحوادث بذاته تعالى ، اذ منهم من جوّز خلو الجوهر عن جملة الاعراض ابتداء وهو الصالحي .

ومنهم من جوز الخلو عن الاكوان وان منع العرو عن الالوان ، وهو الكعبي

---

(١) وزاد ابن تيمية عن ابي البركات انه قال باثبات علوم محدثة في ذاته تعالى . (انظر في ذلك الموافقة على منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٣٢) .

(٢) انظر الاربعين في اصول الدين للرازي ص ١١٨ — ١١٩

(٣) الاربعين في اصول الدين ص ١١٩

(٤) الموافقة على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٠٩

ومتبعوه ، والبصريون منهم منعوا العرو عن الاكوان وجوزوا الخلوعما عداها (١) .
فاذا جاز خلو الجوهر عن الاعراض مع قبوله لها جاز خلو الباري تعالى من الحوادث
ازلا مع قبوله لها فلا يلزم حدوثه .

قال ابوالمعالي الجويني : (فاذا جوز الخصم عرو الجوهر عن الحوادث مع قبوله
لها صحة وجوازا فلا يستقيم مع ذلك دليل على استحالة قبول الباري تعالى
للحوادث) . (٢)

وبهذا يتبين تناقض النفاة في هذه المسألة فقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية
عن ابي القاسم الانصاري شيخ الشهرستاني وتلميذ ابي المعالي الجويني انه قال :
اجود ما يتمسك به في مسألة قيام الحوادث تناقض الخصوم . ثم قال ابن تيمية :
(.. وهو كما قال فانه لم يجد لمن تبعه في ذلك مسلكا سديدا لا عقليا ولا سمعيا) (٣)

اقول وان تناقض الخصم فان السلف المثبتين لقيام الافعال الاختيارية بذاته
تعالى لم يتناقضوا ..

وان اعترض بعض النفاة على قول الرازي: ان اثبات قيام الحوادث بذاته تعالى يلزم
عامة الطوائف وان انكروها باللسان ..

ان اعترض على قول الرازي هذا بما ذكرناه عنهم من تحرير محل النزاع ، وذلك لأن

---

(١) راجع في ذلك الارشاد للجويني ص ٢٣ ــ ٢٤
(٢) الارشاد للجويني ص ٢٥
(٣) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية
ج ٢ ص ١١٨

المراد بالحادث هو الموجود بعد العدم ، ذاتا كان اوصفة اما ما لا يوصف بالوجود كالاعدام المتجددة ، والاحوال عند من يقول بها ، والاضافات عند من لا يقول انها وجودية فلا يصدق عليها اسم الحادث وان صدق عليها اسم المتجدد .

اذ يقول المعترض ما ذكره الرازي من الامور التي تلزم النفاة فانما هي امور متجددة لا محدثة ، والمتجدد اعم من الحادث ، فلا يلزم من وجود العام وجود الخاص وبهذا لا يلزم من تجدد الاضافات والاحوال في ذاته تعالى ان يكون محلا للحوادث.(١)

ان اعترض على الرازي بما ذكر فقد اجاب عنه ابن تيمية بعدم الفرق بين الحادث والمتجدد ، وان النزاع لفظي لا معنوي فقال : (قلت ولقائل ان يقول هذا ضعيف من وجوه :

احدها : ان الدليل الذي استدلوا به على نفي الحوادث ينفي المتجددات ايضا .. فاذا كان استدلالهم ينفي القسمين لزم اما فساده ، واما النقض ،

الوجه الثاني : ان يقال تسمية هذا متجددا وهذا حادثا فرق لفظي لا معنوي ولا ريب ان اهل السنة والحديث لا يطلقون عليه سبحانه وتعالى انه محل للحوادث ولا محل للاعراض ونحو ذلك من الالفاظ المبتدعة التي يفهم منها معنى باطل .

فان الناس يفهمون من هذا ان يحدث في ذاته مايسمونه حادثا كالعيوب والافات

---

(١) انظر هذا الاعتراض موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٤٨ - ١٤٩

والله منزه عن ذلك سبحانه وتعالى .. والمقصود ان تفرقة المفرق بين المتجدد والحادث امر لفظي لا معنى عقلي ولو عكسه عاكس فسمى هذا متجددا وهذا حادثا لكان كلامه من جنس كلامه .

الوجه الثالث : ان دعوى المدعي ان الجمهور انما يلزمهم تجدد الاضافات والاحوال والاعدام لا تجدد الحادث الذى وجد بعد العدم ذاتا كان او صفة دعوى ممنوعة لم يقم عليها دليلا ، بل الدليل يدل على ان اولئك الطوائف يلزمهم قيام امور وجودية حادثة بذاته مثال ذلك انه سبحانه وتعالى يسمع ويرى ما يخلقه من الاصوات والمرئيات ، وقد اخبر القرآن بحدوث ذلك فى مثل قوله : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) (١) ، وقوله تعالى : (ثم جعلناكم ~~خلفاء~~ خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) (٢) .

وقد اخبر بسمعه ورؤيته فى مواضع كثيرة كقوله لموسى وهارون : (اننى معكما اسمع وارى) (٣) وقوله : (الذى يراك حين تقوم . وتقلبك فى الساجدين) (٤) وقوله : (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) (٥) ..) (٦)

---

(١) سورة التوبة جزء من آية (١٠٥)
(٢) سورة يونس آية (١٤)
(٣) سورة طه جزء من آية (٤٦)
(٤) سورة الشعراء آية (٢١٨ ، ٢١٩)
(٥) سورة آل عمران جزء من آية (١٨١)
(٦) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٤٩ ـ ١٥٠

وقال ايضا : (وما سموه اضافات واحوالا وتعلقات وغير ذلك فيقال لهم : هذه امور موجودة أو ليست موجودة فان لم تكن موجودة فلا فرق بين حاله قبل ان يرى ويسمع وبعد ان يرى ويسمع فان العدم المستمر لا يوجب كونه رائيا سامعا .

وان قلتم بل هى امور وجودية فقد أقررتم بان رؤية الشئ المعين لم تكن حاصلة ثم صارت حاصلة بذاته وهى امر وجودى) .(١)

والحاصل انه اذا احدث المرئى فان حصل امر وجودى ، فهذا الامر الوجودى ان لم يقم به تعالى بل قام بغيره لزم ان يكون غيره هو الذى رآه ،
وان قام به تعالى فقد قام به رؤية لم تكن حاصلة هى رؤية هذا المعين موجودا وان لم يحصل امر وجودى لزم ان يكون حال الشئ بعد وجوده كحاله قبل وجوده فى نفى رؤيته موجودا ، فيكون الله لا يراه موجودا بعد وجوده كما كان لا يراه موجودا حال عدمه .

هذا وان كان نفاة قيام الحوادث بذاته تعالى فهموا ان حلول الحوادث بذاته تعالى حلول المخلوقات فلا ريب انه تعالى لا يجوز ان يحل فى ذاته شئ من مخلوقاته ولا يكون ناقصا فيزيد فيه شئ اذا خلقه تعالى الله عن ذلك .

ولكن تقوم بذاته تعالى أفعاله الاختيارية المتعلقة بقدرته ومشيئته ، ومع قيامها به تعالى فلا يقال قامت به الحوادث اذ قد يشعر هذا اللفظ بما يجب تنزيه الله عنه من النقائص والعيوب . (٢)

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥١

(٢) انظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ٣ ص ١١٩ وشرح الطحاوية ص ٦٣

الباب الثاني

بيان مذاهب المتكلمين في معنى كلام الله تعالى وأدلتهم على ذلك ومناقشتها

يحتوي هذا الباب على فصول سبعة :

الفصـــــل الأول

في بيان مذهب الجهمية والمعتزلة في معنى كلام الله تعالى

ويشتمل هذا الفصل على ستة مباحث :

الاول : في بيان مذهبهم في معنى كلام الله تعالى

الثاني : في ذكر اقوال انفرد بها بعض المعتزلة في كلام الله تعالى وردها

الثالث : دليل المعتزلة في أن المتكلم من فعل الكلام ومناقشته

الرابع : في ذكر ادلتهم على ان كلام الله مخلوق وردها

الخامس : في بيان ان القرآن المسموع والمكتوب والمحفوظ حكاية كلام الله ورده

السادس : في بيان فساد قولهم ان الله متكلم بما يخلقه في غيره من الكلام

المبحث الاول

قبل الشروع في بيان مذهب الجهمية والمعتزلة في معنى كلام الله تعالى نبين حقيقة مذهبهم في صفات الله تعالى فنقول :

اتفقت الجهمية والمعتزلة على نفي أن يكون لله تعالى صفات قائمة به ذاتية كانت أو فعلية .

وقد اخذ الجهم بن صفوان مؤسس الجهمية نفي الصفات من الجعد بن درهم ووافقت المعتزلة اصحاب عمرو بن عبيد (١) الجهم على ذلك .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

(وأخذ هذه المقالة عنه (٢) جهم بن صفوان ، .. واليه نسبت هذه المقالة التي تسمى مقالة الجهمية . وهي نفي صفات الله تعالى فانهم يقولون ان الله لا يرى في الآخرة ، ولا يكلم عباده ، وانه ليس له علم ولا حياة ولا قدرة ونحو ذلك من الصفات ، ويقولون القرآن مخلوق ..

ووافق الجهم على ذلك المعتزلة أصحاب عمرو بن عبيد ، وضموا اليها بدعا اخرى في

---

(١) ابو عثمان عمرو بن عبيد بن باب البصري القدري المعتزلي .
قال الذهبي في العبر ج ١ ص ١٩٣ : (.. مات سنة ١٤٢ هـ ..)

(٢) اي عن الجعد بن درهم كما نص عليه قبل هذا الكلام . هذا وسبق ذكر مقالة الجعد بن درهم في اول فتنة القول بخلق القرآن وهي قوله ان الله لم يكلم موسى ولم يتخذ ابراهيم خليلا

القدر وغيره ، لكن المعتزلة يقولون ان الله كلم موسى حقيقة، وتكلم حقيقة ، لكن حقيقة ذلك عندهم انه خلق كلاما في غيره ، اما في شجرة واما في هواء واما في غير ذلك ، من غير ان يقوم بذات الله عندهم كلام ولا علم ، ولا قدرة ولا رحمة ، ولا مشيئة ولا حياة ، ولا شئ من الصفات ٠٠) (١) ٠

وقال الامام احمد بن حنبل عن الجهم : (٠٠ وزعم ان من وصف الله بشئ مما وصف به نفسه في كتابه أو حدّث عنه رسوله كان كافرا وكان من المشبهة ، فأضل بكلامه بشرا كثيرا ٠٠ ووضع دين الجهمية) ٠(٢)

ونحن نقول لمن نفى قيام الصفات به تعالى : لا يلزم من قيام الصفات به تعالى ان تكون صفاته كصفات خلقه اذ الاشتراك في المعنى العام الذي لا وجود له في الخارج وانما يوجد في الذهن لا يوجب التماثل في الحقيقة ٠ فحقيقة ما ثبت للخالق لا يماثل ما ثبت للمخلوق ٠

كما لا يلزم ان تكون مثلا له تعالى فتكون الهـا كما تزعم المعتزلة الجهمية ، اذ الصفة لا تقوم بنفسها وتستقل عن الذات حتى تكون الها ، فليست صفاته تعالى واجبة الوجود بنفسها بل هي قديمة بقدم الذات ، ووجود ذات قديمة بصفاتها اللازمة لها ليس بمستحيل انما المستحيل هو وجود ذوات كل منها واجب الوجود بنفسها ٠

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥٠٣ ــ ٥٠٤

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة لاحمد بن حنبل ص ١١ ــ ١٢

هذا وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية انه يلزم الجهمية والمعتزلة فى نفى الصفات عنه تعالى ومنها الكلام تعطيل الرسالة ، فان الرسل انما بعثوا ليبلغوا كلام مرسلهم والكلام المخلوق فى غيره لا يكون كلامه ، بل قولهم يقتضى تعطيل التوحيد ، والعالم عن موجده .

فقال ابن تيمية : (ولما فهم السلف حقيقة مذهب هؤلاء ، وانه يقتضى تعطيل الرسالة فان الرسل انما بعثوا ليبلغوا كلام الله ، بل تقتضى تعطيل التوحيد ، فان من لا يتكلم ولا يقوم به علم ولا حياة هو كالموات ، بل من لا تقوم به الصفات فهو عدم محض اذ ذات لا صفة لها انما يمكن تقديرها فى الذهن لا فى الخارج كتقدير وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص ، فكان قول هؤلاء مضاهيا لقول المتفلسفة الدهرية الذين يجعلون وجود الرب وجودا مطلقا بشرط الاطلاق لا صفة له ، وقد علم ان المطلق بشرط الاطلاق لا يوجد الا فى الذهن .) (١)

أما بيان مذهب الجهمية والمعتزلة فى معنى كلام الله تعالى :

فنقول : عرفنا أن حقيقة مذهبهم فى صفات الله هو نفى قيامها بذاته تعالى .
لذا قالوا كلامه تعالى مخلوق فى غيره ، لكن المعتزلة تقول :
الله متكلم بما يخلقه فى غيره من الكلام ، خلافا للجهمية ، فتارة ينفون ان يكون الله متكلما ، وتارة يقرون باللفظ ويقرنونه بأنه خلق كلاما فى غيره ، فظهر ان الجهمية لا يسمون الله متكلم حقيقة (٢) .

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥١٦
(٢) راجع الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢١٢ حيث ذكر ان الجهمية لا يسمون الله متكلم

قال ابن تيمية بعد ان ذكر أن المعتزلة والجهمية ينفون الصفات :

(لكن المعتزلة يقولون ان الله كلم موسى حقيقة وتكلم حقيقة ، لكن حقيقة ذلك عندهم انه خلق كلاما في غيره اما في شجرة واما في هواء واما في غير ذلك ، من غير أن يقوم بذات الله عندهم كلام ..

والجهمية تارة يبوحون بحقيقة القول ، فيقولون ان الله لم يكلم موسى تكليما ، ولا يتكلم وتارة لا يظهرون هذا اللفظ ، لما فيه من الشناعة المخالفة لدين الاسلام واليهود والنصارى ، فيقرون باللفظ ، ولكن يقرنونه بانه خلق في غيره كلاما .) (١)

وما ذهبت اليه المعتزلة من أن القرآن مخلوق ، وان الله متكلم بما خلقه يبينه القاضي بقوله : (ولا خلاف بين جميع أهل العدل ان القرآن مخلوق محدث مفعول لم يكن ثم كان .. وأنه أحدثه بحسب مصالح العباد وهو قادر على أمثاله ، وأنه موصوف بأنه مخبر به وقائل وناه من حيث فعله وكلهم يقولون انه عز وجل متكلم به) (٢)

فقولهم ان الله متكلم بالكلام بمعنى انه فعله وأوجده من غير ان يقوم به ، بل اطلقوا المتكلم والخالق عليه باعتبار معنى حاصل في غيره .

قال في شرح المختصر العضدي في مسألة : لا يشتق اسم الفاعل لشئ باعتبار معنى

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥٠٣ - ٥٠٤

(٢) المغني في ابواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ج ٧ ص ٣

حاصل لغيره خلافا للمعتزلة قالوا : أطلق الخالق عليه تعالى باعتبار الخلق الذى هو حاصل للمخلوق . (١)

واذا كان كلام الله عندهم مفعولا لم يكن ثم كان فلا يصح على مذهبهم ان يقال ان الله متكلم فى الأزل .

قال القاضى عبد الجبار : (فكيف يصح ان يكون متكلما فيما لم يزل مع ان المتكلم ليس الا فاعل الكلام) (٢) أى يوجده منفصلا عنه لا قائم به .

وذهبت المعتزلة الى ان حقيقة كلام الله حروف منظومة ، وأصوات مقطعة من جنس الكلام المعقول فى الشاهد يشتمل على الأمر والنهى والخبر وغيرها من أقسام الكلام .

يقول القاضى مبينا ذلك : (والذى يذهب اليه شيوخنا ان كلام الله عز وجل من جنس الكلام المعقول فى الشاهد وهو حروف منظومة وأصوات مقطعة ، وهو عرض يخلقه الله سبحانه فى الاجسام على وجه يسمع ويفهم معناه ، ويشتمل على الأمر والنهى وسائر أقسام الكلام) (٣) .

وانما قالوا كلام الله مخلوق فى الاجسام لنفيهم ان يقوم كلامه تعالى بذاته ، ولأن الكلام لا يعقل ان يقوم بنفسه لانه عرض فيحتاج الى محل يقوم به ، فمحله عندهم ما يوجده الله فيه من الأجسام .

---

(١) انظر حاشية عبد الحكيم على الخيالى على شرح العقائد النسفية ص ٢٣٢
(٢) شرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٥٥٦
(٣) المغنى للقاضى عبد الجبار ج ٧ ص ٣

هذا وقول القاضي من المعتزلة : ان كلام الله عز وجل عرض ليس باتفاق من المعتزلة .
بل منهم من ذهب الى ان الكلام جسم كما يحكى عن الاصم (١) ،
وهو مذهب النظام وأصحابه ، وقالوا انما يفعل الانسان القراءة ، والقراءة الحركة
وهى غير المقروء .

وأحال النظام أن يكون كلام الله فى أماكن كثيرة أو فى مكانين فى حالة واحدة ،
بل قال : انه موجود فى محله الذى خلقه الله فيه . (٢)

نعم القائلون بأن كلام الله تعالى عرض هم أكثر المعتزلة :
وأصحاب هذا القول افترقوا الى فرقتين فى المحل الذى خلقه الله فيه ، أهو واحد
أم متعدد ؟ .

فذهبت فرقة منهم الى استحالة وجوده فى مكانين فى حالة واحدة ، وزعموا أنه موجود
فى المحل الذى خلقه الله فيه ، وانه يستحيل زواله وانتقاله من محله ، وهذا
قول جعفر بن حرب وأكثر البغداديين .(٣)

وقال أبو هاشم من البصريين يستحيل وجوده فى اماكن لان الكلام هو الصوت وهو
لا يبقى (٤) .

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٧٦
(٢) انظر مقالات الاسلاميين لابى الحسن الأشعرى ج ١ ص ٢٦٧ — ٢٦٨
(٣) انظر مقالات الاسلاميين للاشعرى ج ١ ص ٢٦٨
(٤) انظر المغنى لعبد الجبار ج ٧ ص ١٩١

وذهبت الفرقة الأخرى الى انه يوجد في اماكن كثيرة في وقت واحد وهذا قول الاسكافي(١) وهو مذهب أبي الهذيل واصحابه وقالوا : انه يوجد مع تلاوة كل تال وكذا مع كتابتـه وحفظه .(٢)

وذكر القاضي وجوها افسد بها قول من قال الكلام جسم :
منها قوله : (.. وكان يجب ان يجوز أن يحل في الكلام والصوت اعراض كما لو كـان جوهرا ، لأنا قد بيّنا ان الجوهر من حقه ان يحتمل الاعراض ويصح وجودها فيـه على الوجه الذي يصح وجودها عليه ، ولوجب ان يكون مقدورا للفناء كالجواهر ولوجب ان يدرك بالانتقال) . (٣)

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين للأشعري ج ١ ص ٢٦٩
(٢) انظر المرجع السابق ج ١ ص ٢٦٨ . وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٨٤ حيث ذكر ان هذا القول قال به أبو علي الجبائي وهو من أصحاب أبي الهذيل .
(٣) المغني لعبد الجبار ج ٧ ص ٢٥

المبحث الثاني

ذكر أقوال انفرد بها بعض المعتزلة في كلام الله تعالى وردها :

١ ـ ذهب أبو الهذيل العلاف الى أن بعض كلامه تعالى في محل وبعضه لا في محل .

قال الشهرستاني في ذكر فضائح أبي الهذيل : (الثالث : قال في كلام الباري تعالى : ان بعضه لا في محل وهو قوله "كن" وبعضه في محل كالأمر والنهي والخبر والاستخبار ، وكان امر التكوين عنده غير أمر التكليف) (١) .

وبهذا فرق بين عرضين من جنس واحد في حاجة احدهما الى محل واستغناء الآخر عن المحل . (٢)

والذي دفعه الى ذلك ان جميع المحال مخلوقة بكن والمخلوق بشيء متأخر عنه فلو كانت "كن" قائمة بمحل لوجب تقدم المحل عليها على حين أنه يجب تأخره عنها لخلقه بها . (٣)

ونقول: هذه الشبهة لا ترد على مذهب السلف ومن تبعهم ، ذلك أنهم

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ٣ ص ٥١ وانظر مقالات الاسلاميين للاشعري ج ١ ص ١٢٧

(٢) راجع الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٢٧

(٣) انظر حاشية السيالكوتي على شرح المواقف ج ٨ ص ٩٣

قائلون بأن الكلام قائم بذاته تعالى فليس المحل مخلوقا .

٢ — وذهب أبو علي الجبائي الى ان الكلام هو الحروف وهي غير الأصوات .
يقول القاضي في ذكر ذلك عنه : (ومن قول "أبي علي" رحمه الله : أن الحروف غير الأصوات ، وان الكلام هو الحروف فعلى طريقته الاقتصار في حده على انه الحروف أولى ، لان عنده أنها الكلام دون الأصوات) (١)

وقد رد القاضي ما ذهب اليه أبو علي الجبائي من ان الكلام هو الحروف وانها غير الأصوات فيما اجاب به على من قال ان الصوت قد يوجد ولا يكون كلاما . فقال :
(وليس لأحد أن يقول اذا جاز وجود الصوت على كل وجه ولا كلام ففي ذلك دلالة على انه غيره ، وذلك لأن الصوت على الوجه الذي اذا قطع كان حروفا يستحيل وجوده الا وهو كلام . ولم نقل ان الكلام هو الصوت مطلقا فيلزم ما ذكره ، وانما قلنا انها أصوات مقطعة ، فمتى وجد على هذا الوجه كان كلاما ومتى لم يوجد كذلك لم يكن كلاما . .) (٢)

٣ — وذهب معمر بن عباد السلمي الى أن القرآن فعل الجوهر الذي حل فيه ، وذلك لقوله : ان الله لم يخلق شيئا غير الاجسام ، فاما الاعراض فانها من اختراعات الاجسام اما طبعا كالنار التي تحدث الاحراق ، واما اختيارا كالحيوان يحدث الحركة .

---

(١) المغني لعبد الجبار ج ٧ ص ٧

(٢) المغني لعبد الجبار ج ٧ ص ٢٢

قال الخياط المعتزلي في كتابه الانتصار والرد على ابن الروندي :

(فان لزم معمرا قياسا على قوله في فعل الطبائع ان يزعم أن الله لم يفعل القرآن فهو ... لازم لصاحب الكتاب .) (١)

وبهذا القول نفى معمر ان يكون لله تعالى كلام وقال هو مكلم لا متكلم . (٢)

٤ - وذهب الاسكافي الى انه تعالى لا يجوز تسميته تعالى متكلما لان ذلك يوهم قيام الكلام به ولكن يسمى مكلما لان ذلك لا يوهم قيام الكلام به .

قال عبد القاهر البغدادي عن الاسكافي : (ومن تدقيقه في ضلالاته قوله : بانه يجوز ان يقال : ان الله يكلم العباد ، ولا يجوز ان يقال انه يتكلم ، وسماه مكلما ، ولم يسمه متكلما وزعم ان متكلما يوهم ان الكلام قام به ، ومكلما لا يوهم ذلك ، كما ان متحركا يقتضي قيام الحركة به (٣)

وقال في رد شبهته : (.. واما اسلافه القدرية فانهم يقولون له : اعتلالك هذا يوجب عندك ان يكون المتكلم من بدن الانسان لسانه فحسب لان الكلام عنده يحل فيه .) (٤)

---

(١) كتاب الانتصار والرد على ابن الروندي ص٤٨ . ويعني بصاحب الكتاب ابن الروندي . وانظر مقالات الاسلاميين للأشعري ج ٢ ص ٢٥٧ ، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٦٦ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٥١ - ١٥٢

(٢) انظر كتاب الانتصار والرد على ابن الروندي ص ١٣١

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٧٠

(٤) المرجع السابق ص ١٧٠

المبحث الثالث

في بيان دليلهم على ان المتكلم من فعل الكلام ومناقشته

قالت المعتزلة المتكلم من فعل الكلام ، لان المتكلم اما ان يكون من قام به الكلام أو من فعله .

وقالوا يستحيل ان يكون المتكلم من قام به الكلام، فلم يبق على وجه الحصر الا ان المتكلم من فعل الكلام .

يقول القاضي في تقرير هذا الدليل : (.. على انه قد علمنا ان للكلام تعلقا بالمتكلم يقتضي انه بأن يكون متكلما به أولى من غيره ، ولابد من كون ذلك التعلق معقولا ، فلا يخلو من ان يكون انما وصف به لانه حله ، او لانه حل بعضه ، او لانه أوجب له حالا ، أو لأنه فعله ، لان ما عدا هذه الوجوه من التعلق لا مدخل له في هذا الباب .

ولا يصح ان يكون الكلام كلاما لمحله ، لانه كان يجب ان يوصف به اللسان دون الانسان وكان يجب مثله في سائر أقسامه وضروبه حتى يكون هو المخبر والآمر والناهي . ولوجب ان يكون هو المذموم بالقبح والممدوح بالحسن .

ولا يجوز ان يكون المتكلم بالكلام من حل بعضه ، لأن ذلك يوجب ان يكون المتكلم هو اللسان لان الكلام يحل بعضه ، وكان لايكون الانسان بان يكون متكلما اولى من اللسان بل كان يجب كونه بهذه الصفة أحق لانه أخص بكون محله بعضا له ، ولوجب كون الصدى متكلما دون الانسان .

ولا يجوز ان يكون الكلام كلاما للمتكلم لانه أوجب له حالا كالعلم وغيره ، لما قدمناه من الوجوه .

فيجب ان يكون المتكلم متكلما لانه فعله على ما قدمناه .) (١)

ونقول في مناقشة هذا الدليل :

ان ماذكره القاضي من لزوم المحال على القول بان المتكلم من يقوم به الكلام فانما يلزم القائلين بان المتكلم من قام به الكلام فحسب ، أما من قال ان المتكلم من قام به الكلام وفعله بقدرته ومشيئته كما عليه السلف ومن تبعهم فلا يلزمهم المحال المذكور وهو ان يكون المتكلم هو اللسان لانه حل بعضه ، لان اللسان لا يفعل الكلام ، وكذلك الصدى .

واذا تبين ان اللسان لا يوصف بكونه متكلما ، لانه لا يتحقق فعل الكلام منه وجب ان يكون المتكلم من فعل الكلام وقام به ، لا من فعل الكلام في غيره .

فقوله : فاذا بطل ان المتكلم من قام به الكلام وجب ان يكون المتكلم من فعل الكلام ، انما يرد على الاشاعرة ومن تبعهم القائلين بان المتكلم من قام به الكلام لا من فعله . فاثبتوا كلام الله صفة لازمة له ، ولم يثبتوا الكلام متعلقا بقدرته ومشيئته .

وأما ما بنى عليه الاشاعرة مذهبهم في ان كلامه تعالى لا يتعلق بمشيئته وقدرته فقد سبق الرد عليه ، وبينا انه لا يلزم من كون افراد الكلام حادثه ، حدوث نوع الكلام ، وان يكون الله حادثا .

---

(١) المغني للقاضي عبد الجبار ج ٧ ص ٥٠ ــ ٥١

المبحث الرابع

أدلة المعتزلة على أن كلامه تعالى مخلوق وردها

استدلوا على ذلك بالعقل والنقل .

أما أدلتهم العقلية فهي :

الدليل الأول : قالوا : القرآن من أفعاله تعالى ، وافعاله مخلوقة ، فالقرآن مخلوق .

أما كون الكلام فعلا فقد سبق بيان دليله في قولهم المتكلم من فعل الكلام .

وأما دليلهم على ان افعاله تعالى مخلوقة :

فهو ان افعاله تعالى واقعة على سبيل التقدير ، وكل ما كان كذلك فهو مخلوق ،

وفي ذلك يقول القاضي من المعتزلة ما حاصله :

انه تعالى لا يفعل الأشياء الا مقدرة ، لانه تعالى يستحيل عليه ان يفعل الشئ على سبيل السهو ، فلا بد من أن يكون قاصدا الى ما فعله وموجدا له على الوجه الذي يكون عليه مصلحة ، واذا كانت افعاله مقدرة فهي مخلوقة .

ثم يقول في تقرير ذلك في القرآن : (فاذا كانت أفعاله توصف بانها مخلوقة فكذلك القول في القرآن ، لان الوجه الذي لاجله وصفت أفعاله أجمع بانها مخلوقة هو كونها واقعة على سبيل التقدير ، فالقرآن بهذه الصفة ، فيجب ان يوصف القرآن بانه مخلوق) . (١)

---

(١) المغني في ابواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ج ٧ ص ٢٠٨

الدليل الثاني :

قول القاضي : (والذي يدل على حدوث كلامه ، الذي ثبت انه كلام له ، ان الكلام على ما قدمناه لا يكون الا حروفا منظومة واصواتا مقطعة ، وقد ثبت فيما هذه حاله انه محدث .) (١)

أي لأن كل حرف ما لم ينقض الحرف الذي قبله لا يوجد ضرورة امتناع التكلم بالحرف الثاني بدون انقضاء الحرف الذي قبله ، وما وجد من الحروف بعد عدمه حادث ، اما الحرف الأول ، فهو حادث لعدمه بعد وجوده ، اذ القديم يستحيل عدمه ، ومعلوم ان المجموع المركب من الحادث ، يكون حادثا لا قديما .

الدليل الثالث :

قولهم : اما ان يكون القرآن هو الله او غيره ، ويستحيل ان يكون هو الله ، لانه يختص بصفات تستحيل على الله ، فاذا ثبت انه غيره فكل ما هو غيره فهو مخلوق .

يشير الى ذلك القاضي بقوله : (فاذا ثبت ان القرآن غير الله ، لانه يختص بصفات تستحيل على الله ، لانه متجزئ متبعض ، له ثلث وربع ، مدرك مسموع ومحكم ومفصل ، امر ونهي ووعد ووعيد .. وقد تعبدنا بتلاوته وحفظه ، وكل ذلك يستحيل عليه تعالى ، وما يصح على القديم سبحانه من كونه قادرا عالما سميعا بصيرا يستحيل عليه ، وذلك يوجب كونه مخالفا للقديم عز وجل فبأن يكون غير الله أولى . واذا صح ذلك فيه وجب كونه محدثا ..) (٢)

---

(١) المرجع السابق ج ٧ ص ٨٤

(٢) المغني للقاضي عبد الجبار ج ٧ ص ٨٦

الدليـــل الرابـــع :

قالوا : الكلام يستحيل قيامه بذاته تعالى ، والا كان الله حادثا ، لان المحل متحيز والمتحيز محدث ، فيستحيل ان يكون الله محلا لكلامه ، لانه قديم غيـر محدث ، ويستحيل ان يوجد الكلام لا في محل ، اذ الكلام يختص المحل ويستحيل وجوده الا فيه وثبوته في المحل يوجب حدوثه ، لان المحال حادثة ، والقديـم لا يحل المحدث .

فاستحالة ان يكون الكلام قائماً بذاته تعالى ، وان يكون الكلام لا في محل توجب ان يكون كلامه قائماً بغيره وثبوته قائماً بغيره توجب حدوثه .

يبين ذلك القاضي بقوله : (ان هذا الكلام الذي أثبتوه قائما بذات البارى اما أن يثبتوه حالا في الله تعالى ، فالله يستحيل ان يكون محلا ، لان المحـل متحيز والمتحيز محدث ، وقد ثبت قدمه ، واما ان يثبتوه موجودا لا في محل ، وذلك ايضا محال ، فان حكم الكلام مقصور على محله ، منه يسمع وعليه يضـاد ضده ، فلو وجد لا في محل لانقلب جنسه وذلك محال ..
واما ان يثبتوه موجودا في غيره وذلك يقتضي حدوثه ، لان القديم لا يحل المحدث ومحله اذا وجد .) (١)

ويبين القاضي في موضع آخر أن ثبوت الكلام موجودا في غيره تعالى يقتضي حدوثـه ، وذلك لحدوث المحال .. فيقول : (على اننّا قد بينا فيما قبل ان الكلام يختـص

---

(١) شرح الاصول الخمسة لعبد الجبار ج ٧ ص ٨٤

المحل ويستحيل وجوده الا فيه وثبوت ذلك فيه يحيل كونه قديما ، لان المحال قد ثبت حدوثها فما يحتاج في الوجود اليها يكون محدثا أولى .) (١)

الدليل الخامس :

قولهم : الأمر والخبر في الازل ولا مأمور ولا سامع فيه سفه فكيف يتصور ثبوته لله تعالى ازلا .(٢)

الدليل السادس :

قولهم : لو كان كلامه تعالى قديما لتعلق بجميع ما يصح تعلق الكلام به ، اذ يكون تعلقه بمتعلقاته لذاته فتستوي نسبته الى جميع المتعلقات فيتعلق بكل ما يصح تعلقه به ، واذا فيتعلق امره ونهيه بكل فعل لان الحسن والقبح عندكم ايها الأشاعرة شرعيان لا عقليان ، واذا تعلق الأمر والنهي بكل فعل لزم من ذلك ان يكون كل فعل مأمورا به منهيا عنه وهذا باطل .

وللجواب عن أدلتهم العقلية نقول :

ان ما استدلوا به اولا وثانيا على ان كلامه تعالى حادث ، فالسلف وأئمة الدين يقولون بان كلامه تعالى حروف واصوات حادثة لكن حدوث الكلام المعين

---

(١) المغني لعبد الجبار ج ٧ ص ٨٤
(٢) انظر المواقف بشرحها ج ٨ ص ٩٦

لا يدل على حدوث نوعه كما سبق بيانه . فالحروف والأصوات المعينة هذه افراد للكلام لا نوع له .

والمعتزلة لا تفرق بين نوع الفعل والكلام وبين عينيهما كما لم تفرق بينهما الاشاعرة والكرامية .

وكون فعله تعالى المعين حادثا لا يلزم منه ان يكون مخلوقا كما اشرنا اليه في عدة مواضع من انه ليس كل حادث مخلوقا ، ومن هنا يفترق السلف عن المعتزلة حيث يقول السلف كلامه المعين حادث غير مخلوق .

وأما ما استدلوا به ثالثا : فنقول : كلام الله صفة له ومذهب السلف انهم لا يطلقون لفظ الغير على الصفات لا نفيا ولا اثبات ، فلا يطلقون القول بانها غيره ولا بانها ليست غيره ، اذ اللفظ مجمل فان اراد المطلق بالغير المباين فليست غيرا ، وان اراد بالغير ما قد يعلم احدهما دون الآخر فهي غير وهكذا ما كان من هذا الباب. (١)

على ان الترديد بين ان يقال كلام الله هو الله أو غيره يقول فيه الامام احمد ابن حنبل : (والجواب للجهمي اذا سأل فقال : اخبرونا عن القرآن هو الله أو غير الله قيل له : ان الله جل ثناؤه لم يقل في القرآن ان القرآن أنا ، ولم يقل غيري ، وقال هو كلامي فسميناه باسم سماه الله به فقلنا كلام الله ، فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين ، ومن سماه باسم من غيره كان من الضالين .) (٢)

---

(١) راجع الموافقة على منهاج السنة ج ٢ ص ١١٧

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٤ ـ ١٥

كمانقول : انكم بنيتم امتناع قيام الكلام به تعالى على ان الكلام حروف منظومة واصوات مقطعة فيكون حادثا ، والله يستحيل قيام الحوادث بذاته تعالى ، لان ما قام به الحادث فهو حادث .

وقد سبق الكلام في هذه المسألة وبينا عن الجويني انه ليس لهم حجة على النفي . وذكرنا عن الرازي ان الاثبات لازم لهم كما بينا انه لا يلزم من قيام الحوادث به حدوثه .

واما ما استدلوا به رابعا :
فنحن نسلم ان الكلام يجب ان يكون قائما بمحل ، ولكن لا نسلم ان جميع المحال حادثة ، وان استدلالهم على ذلك بان المحل متحيز فهو حادث مردود بان الله موجود بالاتفاق ، وكل موجود في جهة ، فالله موجود في جهة العلو بائن عن خلقه ولا يلزم من ذلك ان شيئا يحوزه .

ويستدل ابن تيمية على ان الله في جهة العلو بالرؤية فيقول : (اذا ثبت رؤيته فمعلوم ان المرئي القائم بنفسه لا يكون الا بجهة من الرائي وهذه الرؤية التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال (سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر (١)

---

(١) روى البخاري عن ابي هريرة ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا قال فهل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يارسول الله قال : فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ، قالوا : لا يارسول الله قال : فانكم ترونه كذلك) .. الحديث صحيح البخاري ج ٩ ص ١٥٦

فأخبر أن رؤيته كرؤية الشمس والقمر (١) وهما أعظم المرئيات ظهورا في الدنيا وانما يراهما الناس فوقهم بجهة منهم) (٢) .

وأما ما استدلوا به خامسا :

فنقول : كلامه تعالى نوعان خطاب تكوين وخطاب تكليف ، فخطاب التكوين لا يلزم منه وجود المخاطب في الخارج وقت الخطاب لان المراد منه ايجاد المخاطب وتكوينه ، فلو وجد وقت الخطاب لكان تحصيلا لحاصل وهذا هو السفه بعينه .

وأما خطاب التكليف فيشترط فيه وجود المخاطب ولو تبعا ليتحقق التكليف .

والسلف لا يقولون بان الخبر المعين ازلي .

وسبق الكلام في هذا الموضوع في مذهب السلف . وسيأتي عن الأشاعرة ما اجابوا به عن ذلك ايضا .

وأما دليلهم السادس :

فالسلف لا يقولون ان الله يصح ان يأمر بكل فعل وينهى عنه ، بل انما يأمر بما هو حسن في نفسه ، وينهى عما هو قبيح في نفسه .

فهذا الدليل كما ظهر في توجيهه انما هو في مواجهة الأشاعرة .

---

(١) المراد بالتشبيه هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي

(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ج ١ ص ٣٥٩

أما أدلة المعتزلة النقلية على ان كلام الله مخلوق:

فاستدلوا على ذلك من الكتاب بآيات كثيرة نذكر منها :

أولا : قوله تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) (١) .

قال القاضي من المعتزلة في بيان وجه دلالة الآية على أن القرآن مخلوق :

(يدل على حدوث القرآن ، لانه تعالى قد نص على ان الذكر محدث وبين بغير آية ان الذكر هو القرآن ، بقوله : (ان هذا الا ذكر وقرآن مبين) (٢) .

وقوله : (وهذا ذكر مبارك أنزلناه" (٣) فاذا صح انه ذكر وثبت بهذه الآية حدوث الذكر فقد وجب القول بحدوث القرآن) (٤) .

واجيب عن هذا الاستدلال بوجوه : ويمكن حصرها في وجهين :

الأول : ان الذكر منه محدث ومنه ما ليس بمحدث كما دلت عليه الآية .

يقول ابن تيمية في بيان ذلك : (وان احتج بقوله : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) قيل له : هذه الآية حجة عليك ، فانه لما قال (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) علم ان الذكر منه محدث ومنه ما ليس بمحدث ، لان النكرة

---

(١) سورة الأنبياء آية (٢)

(٢) سورة يس جزء من آية (٦٩)

(٣) سورة الأنبياء جزء من آية (٥٠)

(٤) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ج ٢ ص ٤٩٦

اذا وصفت ميز بها بين الموصوف وغيره ، كما لو قال : ما يأتيني رجل مسلم الا أكرمته ، وما آكل الا طعاما حلالا ونحو ذلك .) (١)

والمراد بالذكر هو تذكير الرسول فالمعنى ما يأتيهم من وعظ من النبي صلى الله عليه وسلم وتخويف الا استمعوه وهم يلعبون . فوعظ النبي وتخويفه ذكر قال تعالى : (فذكر انما أنت مذكّر) (٢) .

يقول الامام احمد مبينا ان الذكر المحدث هو ذكر الرسول : (اعلم ان الشيئين اذا اجتمعا في اسم يجمعهما فكان أحدهما أعلى من الآخر ثم جرى عليهما اسم مدح فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه ، وان جرى عليهما اسم ذم أو اسم دني فأدناهما اولى به . ومن ذلك قول الله في كتابه : (ان الله بالناس لرؤوف رحيم) (٣) . (عينا يشرب بها عباد الله) (٤) يعني الابرار دون الفجار . وفرعون حين قال موسى : (ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا) (٥) .

فلما اجتمعوا في اسم واحد فجرى عليهم اسم البغي كان الكافر أولى به كما ان

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥٢١ - ٥٢٢
وقال ابو بكر الباقلاني : (ان الآية حجة عليهم لانها تدل على ان من الذكر ما ليس بمحدث ، لانه لم يقل ما يأتيهم من ذكر الا كان محدثا)
الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٧٤

(٢) سورة الغاشية آية (٢١)
(٣) سورة البقرة جزء من آية (١٤٣)
(٤) سورة الانسان جزء من آية (٦)
(٥) سورة يونس جزء من آية (٨٨)

المؤمن أولى بالمدح فلما قال الله تبارك وتعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) فجمع بين ذكرين ذكر الله وذكر نبيه ... فلما اجتمعوا في اسم الذكر جرى عليهم اسم الحدث ، وذكر النبي اذا انفرد وقع عليه اسم خلق وكان اولى بالحدث من ذكر الله الذي اذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق ولا حدث ، فوجدنا دلالة من قوله تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) الى النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فعلمه الله فلما علمه الله كان ذلك محدثا الى النبي صلى الله عليه وسلم .) (١)

فالحاصل من كلام الامام احمد : ان ذكر الله عند الانفراد لا يطلق عليه أنه محدث ولا مخلوق ، وان ذكر الرسول عند الانفراد يوصف بانه محدث ومخلوق والذكرين لما اجتمعا يكون اسم الحدث لأدنى الذكرين وهو ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا لأعظمهما ، وذكر الرسول اضيف الى الله لانه تعالى علّمه اياه وقد كان لا يعلمه فلما علمه اياه كان محدثا اليه ، وكذلك الصحابة كانوا لا يعلمونه فلما ذكرهم به الرسول وتلاه عليهم علموه فكان محدثا اليهم .

وذهب الامام الطبري الى ان الذكر وصف بكونه محدثا باعتبار اتيانه ونزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم والمبلغين به فانهم كانوا لا يعرفونه من قبل نزوله . يبين ذلك بقوله : (يقول تعالى ذكره : ما يحدث لهم من تنزيل شئ من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم .

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة لاحمد بن حنبل ص ١٩ - ٢٠

وبنحو الذى قلنا قال اهل التأويل ..

عن قتادة قوله : مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث) الآية . يقول ما ينزل عليهم من شىء من القرآن الا استمعوه وهم يلعبون) (١)

وبه قال البخارى حيث قال : ردا على استدلال الجهمية بهذه الآيـــة على ان القرآن مخلوق : (وأما تحريفهم " من ذكر من ربهم محدث " فانما حدث عند النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه) (٢) .

ولأهل السنة وأئمة الحديث فى هذه الآية أكثر من قول أشار اليها ابن حجر بقوله : (فالذكر الموصوف فى الآية بانه محدث هو الرسول لان الله تعالى قد سماه ذكرا فى قوله تعالى (قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا) (٣) فيكون المعنى ما يأتيهم من رسول محدث ، ويحتمل ان يكون المراد بالذكر هنا وعظ الرسول اياهم وتحذيره من المعاصى فسماه ذكرا وأضافه اليه اذ هو فاعله ..

وقال بعضهم فى هذه الآية ان مرجع الاحداث الى الاتيان لا الى الذكر القديم لان نزول القرآن على الرسول كان ينزل شيئا بعد شىء فكان نزوله يحدث حينا بعد حين) (٤) .

<u>الوجه الثانـــى</u> :ان استدلال المعتزلة الجهمية بهذه الآية على ان القرآن

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ج ١٧ ص ٢

(٢) خلق أفعال العباد للبخارى ص١٦

(٣) سورة الطلاق جزء من آية (١٠)

(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٣ ص٤٩٧

مخلوق انما يتم على القول بانه محدث بمعنى مخلوق وليس كذلك .

قال ابن تيمية : (.. ويعلم أن المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذى يقوله الجهمي ولكنه الذى أنزل جديدا ، فان الله كان ينزل القرآن شيئا بعد شيء فالمنزل أولا هو قديم بالنسبة الى المنزل آخرا .

وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب كما قال (كالعرجون القديم) (١) وقال : (تالله انك لفي ضلالك القديم) (٢) ، (٣)

والذى يظهر من جواب الامام والطبرى الآنف الذكر أن محدث يأتي بمعنى غير مخلوق كالحادث .

فقول الطبرى : (ما يحدث لهم ..) ليس معناه ما يخلق لهم كما هو ظاهر كلام البخارى عند قوله "وان حدثه لا يشبه حدث المخلوقين" ، فأثبت كونه محدثا ونفى أن يكون مخلوقا .

قال ابن حجر : (وقال الداودى الذكر في هذه الآية هو القرآن وهو محدث عندنا وهو من صفاته تعالى ، ولم يزل سبحانه وتعالى بجميع صفاته ،

قال ابن التين : وهذا منه -أي من الداودى- عظيم ، واستدلاله يرد عليه فانه اذا كان لم يزل بجميع صفاته وهو قديم فكيف تكون صفته محدثة وهو لم يزل بها الا أن يريد أن المحدث غير المخلوق كما يقول البلخي ومن تبعه ، وهو

---

(١) سورة يس جزء من آية (٣٩)

(٢) سورة يوسف جزء من آية (٩٥)

(٣) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥٢٢ . وانظر مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٨١

ظاهر كلام البخارى حيث قال : وان حدثه لا يشبه حدث المخلوقين فثبت أنه محدث انتهى ..) (١) .

وقال ابن كثير : (فان القائلين بأن الله تعالى تقوم به الأفعال الاختيارية لا يقولون بأن فعله تعالى القائم بذاته المقدسة مخلوق ، بل لم يكن مخلوقا بل يقولون هو محدث وليس بمخلوق ، بل هو كلام الله القائم بذاته المقدسة وما كان قائما بذاته لا يكون مخلوقا وقد قال تعالى " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث " وقال تعالى " ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم " فالأمر بالسجود صدر منه بعد خلق آدم ، فالكلام القائم بالذات ليس مخلوقا ،) (٢)

<u>الدليل الثاني</u> : قوله تعالى : (الله خالق كل شيء) (٣) :

قال القاضي من المعتزلة في بيان وجه الدلالة من الآية :

(يدل على حدوث القرآن وأنه تعالى خلقه بعموم الآية) (٤)

أى أن القرآن شيء فيدخل في عموم كل .

والجواب عن هذا الاستدلال من وجهين :

الأول : أن الله تعالى لم يسم كلامه شيئا ، وانما سمى الذى كان بأمره شيئا

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٣ ص ٤٩٨

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ٢٧٢ مطبعة السعادة

(٣) سورة الزمر جزء من آية (٦٢)

(٤) المغنى للقاضي عبد الجبار ج ٧ ص ٩٤

قال الامام احمد : (فقلنا ان الله سبحانه لم يسم كلامه فى القرآن شيئا انما سمى شيئا الذى كان يقوله . ألم تسمع الى قوله تبارك وتعالى " انما قولنا لشىء " ، فالشىء ليس هو قوله انما الشىء الذى كان بقوله) (١) .

الثانى : على تسليم أن القرآن شىء فهو ليس داخلا فى عموم كل لأن العموم فى كل موضع بحسبه فقوله : (الله خالق كل شىء) يريد به أنه خالق كل شىء يقع الخلق عليه .

قال الامام احمد : (ومن الأعلام والدلالات أنه لا يعنى كلامه مع الأشياء المخلوقة (قول) (٢) الله تعالى للريح التى أرسلها على عاد (تدمر كل شىء بأمر ربها) (٣) وقد أتت الريح على أشياء لم تدمرها منازلهم ومساكنهم والجبال التى بحضرتهم فأتت عليها تلك الريح ولم تدمرها وقد قال (تدمر كل شىء) فكذلك اذا قال : (خالق كل شىء) لا يعنى نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة ،

وقال فى ملكة سبأ : (وأوتيت من كل شىء) (٤) وقد كان ملك سليمان شيئا ولم تؤته .) (٥) .

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة لاحمد بن حنبل ص ١٦

(٢) هى فى الكتاب بلفظ قال الله تعالى

(٣) سورة الاحقاف جزء من آية (٢٥)

(٤) سورة النمل جزء من آية (٢٣)

(٥) الرد على الجهمية والزنادقة لاحمد بن حنبل ص ١٦ - ١٧

الدليـــل الثالـــث :

قوله تعالى : (انا جعلناه قرآنا عربيا) (١) :

قالت الجهمية الجعل هو الخلق فيكون القرآن مخلوقا . (٢)

وبه استدلت المعتزلة ايضا ، فقال القاضي عبد الجبار في بيان وجه دلالة الآية على أن القرآن مخلوق : (يوجب حدوثه لأن الجعل والفعل سواء في الحقيقة وكل ذلك وما شاكله يدل على حدث القرآن) (٣) .

والجواب عن هذا الاستدلال :

أن الجعل من الله قد يكون فعلا ليس بخلق فاذا تعدى الى مفعول واحد كان بمعنى الخلق كما في قوله تعالى : (وجعل الظلمات والنور) (٤) .

وأما اذا تعدى الى مفعولين كما في هذه الآية لم يكن بمعنى الخلق .

قال ابن قتيبة : (فان الجعل يكون بمعنيين ، أحدهما خلق والآخر غير خلق فأما الموضع الذي يكون فيه خلق فاذا رأيته متعديا الى مفعول واحد لا يجاوزه كقول الله : (خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) فهـــذا بمعنى خلق وكذلك (وجعل منها زوجها) (٥) .

وأما الموضع الذي يكون فيه غير الخلق ، فاذا رأيته متعديا الى مفعولين كقوله :

---

(١) سورة الحديد آية (٣)

(٢) استدل بذلك بشر المريسي كما سيأتي بيانه عن عبد العزيز الكناني في مناظرته له .

(٣) المغني لعبد الجبار ج ٧ ص ٩٤

(٤) سورة الأنعام جزء من آية (١)

(٥) سورة النساء جزء من آية (١)

(وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) (١) أى صيرتم . وكقوله : (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها) (٢) ، وكقول القائل : جعل فلان أمر امرأته فى يديها .
فان هم وجدوا فى القرآن كله جعل متعدية الى القرآن وحده ليقضوا عليه بالخلق فنحن نتابعهم ..) (٣) .

وقال عبد العزيز الكنانى فى مناظرته لبشر المريسى : (فقلت : قال الله عز وجل : (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) فزعم بشر ، يا أمير المؤمنين ، ان معنى (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) وقد خلقتم الله عليكم كفيلا لا معنى لذلك عنده وعند من قال بقوله ، غير هذا .. فقلت : قال الله عز وجل : (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) فزعم بشر يا أمير المؤمنين أن بنى آدم يخلقون لله البنات) (٤)

الدليل الرابع :

قوله تعالى : (وكان أمر الله مفعولا) (٥) وقوله (وكان أمر الله قدرا مقدورا) (٦)
وجه استدلالهم أن أمر الله كلامه ، وذكر انه مفعول ومقدور من جهته تعالى ، وكل مفعول ومقدور محدث مخلوق .

---

(١) سورة النحل جزء من آية (٩١)
(٢) سورة البقرة جزء من آية (٦٦)
(٣) الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة فى ضمن عقائد السلف لعلى سامى النشار ص ٢٣٤ . وانظر كتاب الرد على الجهمية والزنادقة لاحمد ابن حنبل ص ١٣ - ١٤
(٤) كتاب الحيدة لعبد العزيز الكنانى المكى ص ٩١
(٥) سورة الأحزاب جزء من آية (٣٧)
(٦) " " " (٣٨)

قال القاضي عبد الجبار في بيان ذلك : (وقد نص تعالى أن أمره مفعول والمفعول لابد أن يكون محدثا .. وقوله تعالى من بعد (وكان أمر الله قدرا مقدورا) يدل على ذلك أيضا ، لان المقدور هو الذى يصح من القادر أن يفعله ويوجده ، وانما يوصف الموجود بأنه مقدور من حيث كان هذا حاله من قبل ، وذلك يقتضى حدث الأوامر على ما ذكرناه) (١)

والجواب عن هذا الوجه من الاستدلال :

أولا : ان كلامه تعالى وان كان فعلا له قادرعليه الا أنه لا يقوم بغيره ، فينفصل عن ذاته حتى يكون مخلوقا .

ثانيا : أن أمر الله تعالى في الآيتين ليس المراد به واحد الأوامر حتى يكون بمعنى كلامه تعالى وانما يراد به واحد الأمور التى شاءها الله وأرادها .

ولفظ الأمر فى القرآن له عدة معان قال البيهقى : (والأمر فى القرآن ينصرف وجهه الى ثلاثة عشر وجها ، منها : الأمر بمعنى القول ... ومنها الأمر بمعنى القضاء ..) (٢) .

والذى يدل على أن الأمر في الآيتين ليس هو كلامه تعالى وانما هو بمعنى الشيء الذى قضاه الله قول الطبرى فى تفسير الآيتين حيث قال فى الآية الأولى :

(وكان أمر الله مفعولا) (يقول وكان ما قضى الله من قضاء مفعولا أى كائنا كان لا محالة . وانما يعنى بذلك أن قضاء الله فى زينب ان يتزوجها رسول الله

---

(١) متشابه القرآن لعبد الجبار ج ٢ ص ٥٦٦

(٢) الأسماء والصفات للبيهقى ص ٢٢٧

صلى الله عليه وسلم ، كان ماضيا مفعولا كائنا . وقوله (وكان أمر الله قدرا مقدورا) يقول وكان أمر الله قضاء مقضيا .) (١)

وانما سمي واحد الأمور أمرا لأن كل شيء يكون فانما يكون بأمر الله عز وجل ، فسميت الأشياء أمورا لأن الأمر سببها . (٢)

الدليل الخامس :

قوله تعالى : (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) (٣)

قال البخارى فى بيان توجيه الجهمية لهذه الآية : (قالوا : فأنتم قلتم يقول النصارى لأن المسيح كلمة الله وهو خلق ، فقلتم : ان كلام الله ليس بمخلوق وعيسى من كلام الله .) (٤)

وقال البخارى مبطلا استدلال الجهمية بالآية : (وانما خلق الله عيسى بالكلمة ألا تسمع الى قوله (وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) يعنى جبريل عليه السلام كما قال فى آية أخرى (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) (٥) ، وقال : (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) (٦)

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٢ ص ١٤ - ١٥
(٢) راجع الأسماء والصفات للبيهقى ص ٢٢٨
(٣) سورة النساء جزء من آية (١٧١)
(٤) خلق أفعال العباد ص ١٥
(٥) سورة مريم جزء من آية (١٧)
(٦) سورة آل عمران آية (٥٩)

فخلق عيسى وآدم بقوله "كن" وليس بين هاتين الآيتين خلاف) . (١)

وبذلك قال الامام احمد وزاد قوله : (عيسى تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على القرآن لأنه يسميه مولودا وطفلا وصبيا وغلاما يأكل ويشرب ، وهو مخاطب بالأمر والنهى يجرى عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد ، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم ، ولا يحل لنا أن نقول فى القرآن ما نقول فى عيسى ..) (٢)

واستدلوا من السنة ~~بروايات~~ بأحاديث

منها ما ذكره القاضى من المعتزلة بقوله : (وروى عن رسول الله انه قال : كان الله ولا شىء ثم خلق الذكر ، وما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسى .

وروى سيف بن عمر فى المغازى عنه عليه السلام أنه قال : ان الله خلق القرآن عربيا فى كلامه ، وذلك سمع يبين جواز وصفه بذلك) (٣) .

والجواب عن هذه الروايات الثلاث :

أما الأولى : وهى عن عمران بن حصين فالصحيح المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو : (كان الله ولا شىء ثم كتب الذكر) .

قال الامام احمد : (فقال بعضهم فما تقول وذكر حديث عمران بن حصين "ان الله كتب الذكر" قال ان الله خلق الذكر ، فقلت خطأ حدثناه غير واحد

---

(١) خلق أفعال العباد ص ١٥ - ١٦

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص ٢٠ - ٢١

(٣) المغنى لعبد الجبار ج ٧ ص ٢١٥

(ان الله كتب الذكر) (١) .

وأما الرواية الثانية وهى عن عبد الله بن مسعود : ماخلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسى ، هكذا أخرجها الترمذى وقال فى تفسيرها : (قال سفيان (٢) : لأن آية الكرسى هو كلام الله وكلام الله أعظم من خلق الله من السماء والأرض) . (٣)

فكون آية الكرسى أعظم من المخلوقات لا يدل على أنها منها .

وأما الرواية الثالثة التى رواها سيف بن عمر فى المغازى أن الله خلق القرآن عربيا فى كلامه :

فسيف بن عمر ضعيف لا يستدل بروايته .

قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب : (سيف بن عمر التميمى البرجى ويقال السعدى ويقال الضبعى ويقال الأسدى الكوفى صاحب كتاب الردة والفتوح ، قال ابن معين ضعيف الحديث .. وقال ابو حاتم متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدى .

وقال أبو داود ليس بشىء . وقال النسائى والدارقطنى : ضعيف .. وقال

---

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم الاصبهانى ج ٩ ص ١٩٧
وروى احمد فى مسنده : (.. عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله " اقبلوا البشرى يابنى تميم قال : قالوا : قد بشرتنا فأعطنا قال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن قال : قلنا : قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان قال : كان الله تبارك وتعالى قبل كل شىء وكان عرشه على الماء وكتب فى اللوح ذكر كل شىء ..)
الحديث مسند الامام احمد على هامشه منتخب كنز العمال ج ٤ ص ٤٣١

(٢) هو سفيان بن عيينه (٣) سنن الترمذى ج ٤ ص ٢٣٦

الحاكم : اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط) (١) .

ومن الروايات التي استدلوا بها ما ذكره القاضي عبد الجبار بقوله :

(وقد روى رواية ظاهرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : ان الله خلق التوراة بيده ، والقرآن كالتوراة في هذا الباب) (٢) .

والجواب عن هذه الرواية ، أن الروايات الصحيحة عنه صلى الله عليه وسلم لم تنص على أن التوراة مخلوقة .

فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون آدم ... (الى أن قال) ائتوا عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة ..) الحديث (٣) .

وفي رواية لعثمان بن سعيد الدارمي عن أبي هريرة في حجاج آدم وموسى " وآتاك التوراة بيده " (٤)

وذكر البيهقي عن طاوس أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (احتج آدم وموسى عليه السلام ... (الى أن قال) وخط لك التوراة ، أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني ؟ قال فحج آدم موسى) ورواه البخاري في الصحيح عن علي ورواه مسلم عن محمد بن حاتم وغيره وكلهم عن سفيان) . (٥)

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٤ ص ٢٩٥ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥ هـ

(٢) المغني ج ٧ ص ٢٢٣

(٣) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢١

(٤) الرد على الجهمية ص ٧٥

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي ص ١٨٩ - ١٩٠

ومن الروايات التى استدلوا بها أيضا :

ما ذكره ابن قتيبة عن الجهمية بقوله : (قالوا رويتم " قلب القرآن يس ، وسنام القرآن البقرة ، وتجىء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان (١) ، أو غيابتان (٢) ، أو فرقان من طير صواف ..) (٣) ، (٤)

ثم ذكر ابن قتيبة وجه استدلالهم بهذه الروايات فيقول : (ولا يجوز أن يكون ماله قلب ، وسنام وما كان غمامة ، أو غيابة ، غير مخلوق) (٥) .

والجواب عن هذه الروايات :

أما الرواية الأولى فأخرجها الترمذى فى سننه حيث قال : (عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لكل شىء قلبا وقلب القرآن يس ..) الحديث .

قال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث حميد بن عبد الرحمن (٦)

---

(١) الغمام السحاب ، الواحدة غمامة (راجع مختار الصحاح ص ٤٨٢)

(٢) غيابة البئر تعرها مثل الغيابة ، وهى أيضا كل شىء أظلك فوق رأسك كالسحابة والغبرة بالغم والظلمة ونحوها . وفى الحديث تجىء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان " والغاية مدى الشىء والجمع غاى كساعة وساع) . مختار الصحاح ص ٤٨٨

(٣) الفرقان والخرقان قطيعان وجماعتان ، وصواف اى باسطة أجنحتها فى الهواء (انظر التعليق على صحيح مسلم ج ١ ص ٥٥٣)

(٤) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢٥٧ - ٢٥٨

(٥) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢٥٧ - ٢٥٨

(٦) سنن الترمذى ج ٤ ص ٢٢٧

وسيأتى جواب ابن قتيبة عن هذه الرواية .

وأما الرواية الثانية : فان حكيما تكلم فيه علماء الحديث .

قال الترمذى فى سننه : (عن حكيم بن جبير عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل شىء سنام وان سنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هى سيدة آى القرآن . آية الكرسى .

قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حكيم بن جبير وقد تكلم فيه شعبة وضعفه) (١) .

وقال ابن حجر عن حكيم بن جبير الأسدى : (قال احمد : ضعيف الحديث مضطرب ، وقال ابن معين : ليس بشىء ..) (٢)

وذكر أن شعبة ضعفه وكذا أبو حاتم وغيرهم ..

وأما الرواية الثالثة : فقد أخرجها مسلم فى صحيحه قال : (عن أبى امامة الباهلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اقرأوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أوكأنهما غيابتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ..) الحديث (٣)

---

(١) سنن الترمذى ج ٤ ص ٢٣٢

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ج ٤ ص ٤٤٥ - ٤٤٦

(٣) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٥٣

وروى الترمذى فى سننه (عن نواس بن سمعان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يأتى القرآن وأهله الذين يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران قال نواس : وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال : يأتيان كأنهما غيابتان ..) الحديث . (١)

ثم قال الترمذى : (هذا حديث حسن غريب ، ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجىء ثواب قراءته ، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث ، وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجىء ثواب قراءة القرآن .) (٢)

وبعد أن عرفنا الصحيح والضعيف من هذه الروايات وما أجاب به الترمذى عن بعضها ، فقد قال ابن قتيبة فى الجواب عن الاستدلال بهذه الروايات ما حاصله :

القرآن لا يكون جسما ولا ذا حدود وأقطار ، وانما أراد بقوله : " سنام القرآن البقرة" أعلاه كما أن السنام من البعير أعلاه ، وأراد بقوله "قلب القرآن يس" انها من القرآن كمحل القلب من البدن ،

وأراد بقوله : (تجىء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان) أى ثوابهما يأتى قارئهما حتى يظله يوم القيامه .) (٣)

---

(١) سنن الترمذى ج ٤ ص ٢٣٥

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٣٥

(٣) انظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢٥٨

المبحث الخامس

(بيان أن القرآن المسموع والمكتوب حكاية كلام الله تعالى ورده)

اختلفت المعتزلة فى ذلك :

فذهب الجعفران جعفر بن حرب ، وجعفر بن مبشر الهمذانى الى أن القرآن المسموع من القارىء حكاية كلام الله ، وأن الحكاية مثل المحكى (١)

قال الشهرستانى : (وحكى الكعبى عن الجعفرين أنهما قالا : ان الله تعالى خلق القرآن فى اللوح المحفوظ ولا يجوز أن ينتقل اذ يستحيل وجود الشىء فى مكانين فى حالة واحدة ، وما نقروءه فهو حكاية عن المكتوب الأول فى اللوح المحفوظ وذلك فعلنا وخلقنا .) (٢) .

وهو مذهب ابى هاشم وبه يقول أبو جعفر الاسكافى .

يقول القاضى فى ذكر ذلك : (فاما الذى كان يقوله شيخنا أبو هاشم رحمه الله وكان يذهب اليه الجعفران ومن تبعهما وبه يقول أبو جعفر الاسكافى ، فهو

---

(١) قال ابن تيمية : (.. لفظ الحكاية اذا اطلق يراد به انه أتى بكلام يشبه كلامه ، كما يقال : هذا يحاكى هذا ، وهذا حكى هذا ، لكن قد يقال : فلان قد حكى هذا الكلام عن فلان . كما يقال : رواه عنه وبلغه عنه ، ونقله عنه ، وحدث به عنه ..) .
مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥٤٣
وحاصل كلامه ان معنى الحكاية فى الاصل المماثلة وقد تأتى بمعنى تبليغ الكلام ونقله وروايته ، فتكون الحكاية هى نفس المحكى لا مثله .

(٢) الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٦٨ وانظر مقالات الاسلاميين للاشعرى ج ٢ ص ٢٦٨ - ٢٦٩

أن القارئ لا يسمع منه الا ما فعله ، والقراءة هى المقروء ، .) (١)
فاذا كانت القراءة هى المقروء والكلام لا ينتقل لاستحالة وجود الشيء فى مكانين فى حالة واحدة كان ما يقرؤه القارئ مماثل لكلام الله الذى خلقه فى اللوح المحفوظ .
واليه يذهب القاضى عبد الجبار لقوله : (على انه عز وجل متكلم بالقرآن الذى هو المسموع أو الذى المسموع حكاية له .) (٢)
وقوله : (.. الحكاية عندنا غير المحكى) (٣) .
فيكون القرآن على قول هؤلاء مثل كلام الله لا نفسه ، ومن المعتزلة كأبى على الجبائى من ذهب الى ان القرآن المسموع وكذا المكتوب والمحفوظ نفس كلام الله لا مثله ، وأن الحكاية هى المحكى .

قال القاضى عبد الجبار : (.. فكان شيخنا أبو على - رحمه الله - يذهب الى أن الحكاية هى المحكى ، ويقول فيمن تلا كتاب الله تعالى أن المسموع منه هو كلام الله فى الحقيقة وكذلك قوله فيمن حفظه وكتبه ان كلامه تعالى هو الموجود فى الحقيقة) (٤)

ومعنى ذلك على أصل مذهبه ان الله يخلق القرآن عند قراءة كل قارئ وعند كتابته وحفظه .

---

(١) المغنى للقاضى عبد الجبار ج ٧ ص ١٩١
(٢) المرجع السابق ج ٧ ص ٦١
(٣) المرجع السابق ج ٧ ص ٦٠
(٤) المغنى لعبد الجبار ج ٧ ص ١٨٧

ويبين القاضي ما كان يعتمد عليه أبو علي في قوله ان المسموع من القارئ هو نفس كلام الله فيقول : (وكان يعتمد في ذلك على أن القارئ لكلام غيره لو كان ذلك فعله لامكنه فعل مثله ، . . . ويقول : لا خلاف بين الأمة أن الذي يتلى في المحاريب هو كلامه جل وعز فوجب القول بصحته . وقوله تعالى (فأجـــره حتى يسمع كلام الله) الى غير ذلك ، يدل أيضا على ما قلناه .
ولولا أن ذلك كذلك لم يكن الذي تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنـــا ، ولا كلاما له جل وعز في الحقيقة .

ويقول قد ثبت أن القرآن ليس بقبيح ، ولا يجوز كونه قبيحا ، وقراءة القرآن قد تقبح من الجنب ، فيجب ان تكون القراءة غير المقروء . ويقول لو كان ما يسمع من القارئ فعله لكان قد أتى بمثل القرآن وهذا يوجب ألا يكون معجزا ، وألا يصح التحدي به . . .) (١) .

وبعد أن ذكر القاضي هذه الوجوه التي اعتمد عليها أبو علي في قوله ان القرآن المسموع نفس كلام الله ، ذكر ما أجاب به شيخه أبو هاشم عليها ليتم لهم القول بأن القرآن المسموع مثل كلام الله لا نفسه وحاصل الجواب :
أن الذي اعتمده من أن من فعل شيئا يتأتى منه فعل مثله فغلط ، وذلك أن الفاعل قد يفعل الشيء على وجه الاحتذاء ، وان لم يتمكن من فعل مثله على وجه الابتداء .
وقوله لو كان من فعل القارئ لما صح التحدي به ولخرج عن كونه معجزا ، فليس

---

(١) المرجع السابق ج ٧ ص ١٨٧ - ١٨٨

كذلك ، لأن الوجه الذى عليه وقع التحدى ليس انه لا يمكن الحاكى ان يفعل مثله ، وانما تحداهم بأن يأتوا بمثله فى فصاحته وبلاغته على جهة الابتداء .

وأما تعلقه بالاجماع والآية فليس فيه أكثر من أن مايسمع من القارئ كلام الله ، .. لأن الدليل فى قولنا انه كلام فلان ، أنه فعله وأحدثه ، فقد صار بالتعارف مستعملا فيما يورد على سبيل الحكاية .

وأما قوله ان القرآن حسن وقراءة القرآن قد تقبح من الجنب فيجب أن تكون القراءة غير المقروء ، فيقال القرآن حسن ليس بقبيح ، بمعنى أن نفس ما أنزله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة ، ولا يمتنع من ذلك ان يختلف التعبد بتلاوته ، فتقبح تلاوته فى بعض الأحوال . (١)

ونحن لا نسلم للمعتزلة أن القرآن حكاية كلام الله تعالى ، وأن القارئ يأتى بكلام مماثل لكلامه تعالى ، اذ تحدى الله البشر أن يأتوا بمثله ، والتحدى بالشئ فرع معرفته ، فلا يعقل أن يتحداهم أن يأتوا بمثله ابتداء ، والله قد فعله ، فلا يتحداهم الله بمستحيل عليهم ، وانما تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن فى نظمه وبلاغته بعد ما سمعوه من الرسول ، ولن يأتوا بمثله ابدا كما قال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٢) . وقال (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار) (٣)

---

(١) راجع المغنى للقاضى عبد الجبار ج ٧ ص ١٨٩ - ١٩١

(٢) سورة الاسراء آية (٨٨)

(٣) سورة البقرة آية (٢٣) وجزء من آية (٢٤)

فقوله : (ولن تفعلوا) يبين انهم لا يفعلون مثله ابدا .

وبهذين النصين لا يصح القول بأن القرآن حكاية مماثلة لكلام الله ، وأن القارئ يأتي بكلام يماثل به كلام الله ، بل الكلام كلام من فعله ابتداء وقام به وليس كلام من بلغه وأداه كما سمعه .

وأما قول أبي على الجبائي ان الله يخلق نفس القرآن عند قراءة كل قارئ ، وكذا عند كتابته وحفظه حيث جوز وجود الكلام في مكانين في حالة واحدة ، فجوابه : استحالة وجود الشيء الواحد في مكانين في وقت واحد كما ذكره الجعفران من المعتزلة فيما حكاه الكعبي عنهما كما سبق .

كذلك ذكر الشهرستاني أن أبا على التزم هذا المحال وهو أن الله يحدث لنفسه كلاما في محل القراءة عند قراءة كل قارئ فأثبت كلامين في محل واحد (١)

ويقال لاصحاب القولين أيضا :

انهما مبنيان على أن الله متكلم بمعنى أنه فعل الكلام في غيره ، وقد سبق ابطال دليلهم على ذلك ، كما سيأتي عن السلف ابطال قولهم انه تعالى متكلم بما يخلقه في غيره من الكلام وما يلزمهم في ذلك .

---

(١) راجع الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨١

المبحث السادس

بيان فساد قول الجهمية والمعتزلة ان الله متكلم بما يخلقه فيغيره من الكلام بين السلف وائمة الدين فساد قولهم هذا بوجوه :

منها : انه ثبت بالاتفاق من المسلمين ان الله تعالى متكلم ، والمتكلم من قام به الكلام لا من خلق الكلام فيغيره .

لان ثبوت المشتق بحسب اللغة يدل على ثبوت مأخذ الاشتقاق وهو التكلم وثبوته يستلزم ثبوت الكلام له تعالى فيكون كلامه قائما به .

ولو جاز أن يكون متكلما بكلام يقوم بغيره لكان متحركا بحركة يخلقها في غيره وهذا باطل .

فان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل ، فالمتحرك من قامت به الحركة كما أن العالم من قام به العلم .

فلو كان كلامه تعالى مايقوم بغيره لوجب أن يكون ما انطق الله به بعض المخلوقات كلاما له تعالى ، ولم يكن هناك فرق بين أن ينطق هو وبين ان ينطق غيره من المخلوقات وهذا ظاهر الفساد قال تعالى : (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شىء) فقالت الجلود أنطقنا ولم تقل نطق الله .

قال ابن تيمية : (وقد بين السلف والائمة وأتباعهم فساد قول الجهمية وأتباعهم الذين يقولون كلامه مخلوق بوجوه كثيرة مثل قولهم : لو كان مخلوقا

فى غيره لكان صفة لذلك المحل ولا شتق لذلك المحل منه اسم كما فى سائر الصفات مثل العلم والقدرة والسمع والحياة ، وكما فى الحركة والسكون ، والسواد والبياض وسائر الصفات التى تشترط لها الحياة فانها اذا قامت بمحل كانت صفة لذلك المحل دون غيره ، واشتق لذلك المحل منها اسم دون غيره ، فان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره ، وسمى بالاسم المشتق منها ذلك المحل دون غيره . . .

على أنه لو كان كلام الله مخلوقا فى محل لكان ذلك المحل هو المتكلم به ، وكانت الشجرة مثلا هى القائلة لموسى : "اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى" (١) ، ولوجب أن يكون ما أنطق الله به بعض مخلوقاته كلاما له وقد قال تعالى " وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء" . . . فلو كان مايخلقه من النطق والكلام كلاما له لكان ذلك كلام الله كما أن القرآن كلام ، وكان لا فرق بين أن ينطق هو وبين أن ينطق غيره من المخلوقات وهذا ظاهر الفساد . .) (٢) .

وجاء فى شرح الطحاوية : (ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره لصح أن يقال للبصير أعمى ، وللأعمى بصير ، لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره ولصح أن يوصف الله تعالى بالصفات التى خلقها فى غيره ، من الالوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك . .) (٣) .

---

(١) سورة طه جزء من آية (١٤)

(٢) شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٧ وانظر ص ٦٢ - ٦٣ من هذا المرجع . وانظر شرح الطحاوية ص ١١٠ - ١١١

(٣) شرح الطحاوية لابن أبى العز الحنفى ص ١١٠

كذلك لو كان كلامه تعالى مخلوقا في غيره لم يكن تكليمه تعالى لموسى حقيقة ، ويندفع بذلك اختصاص موسى بتكليم الله اياه . ولكان وحي الله الى الانبياء أفضل من الوحي الى موسى وهذا باطل .

فقد أكد الله تكليمه لموسى بالمصدر في قوله تعالى " وكلم الله موسى تكليما " وهذا ينفي المجاز .

قال ابن حجر : (هذه الآية أقوى ما ورد في الرد على المعتزلة ، قال النحاس : أجمع النحويون على أن الفعل اذا أكد بالمصدر لم يكن مجازا فاذا قال " تكليما " وجب أن يكون كلاما على الحقيقة التي تعقل ، وأجاب بعضهم بانه كلام على الحقيقة لكن محل الخلاف هل سمعه موسى من الله تعالى حقيقة أو من الشجرة ؟
فالتأكيد دفع المجاز عن كونه غير كلام أما المتكلم به فمسكوت عنه ، ورد بانه لا بد من مراعاة المحدث عنه فهو لرفع المجاز عن النسبة لانه قد نسب الكلام فيها الى الله فهو المتكلم حقيقة ، ويؤكده قوله في سورة الأعراف (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) ، وأجمع السلف والخلف من أهل السنة وغيرهم على أن " كلم " هنا من الكلام ...) (١) .

وقال ابن تيمية :(.الرابع أن الله أكد تكليمه موسى بالمصدر فقال : " تكليما " قال غير واحد من العلماء : التوكيد بالمصدر ينفي المجاز ، لئلا يظن أنه أرسل اليه رسولا أو كتب اليه كتابا بل كلمه منه اليه .

والخامس أن الله فضل موسى بتكليمه اياه على غيره ممن لم يكلمه وقال :

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٣ ص ٤٧٩

(وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا .) الآية فكان تكليم موسى من وراء الحجاب ، وقال : " يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى " وقال : " انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده - الى قوله - وكلم الله موسى تكليما " .

والوحى هو ما نزله الله على قلوب الأنبياء بلا واسطة ، فلو كان تكليمه لموسى انما هو صوت خلقه فى الهواء لكان وحى الأنبياء أفضل منه ، لان أولئك عرفوا المعنى المقصود بلا واسطة ، وموسى انما عرفه بواسطة ، ولهذا كان غلاة الجهمية من الاتحادية ونحوهم يدعون ان ما حصل لهم من الالهام أفضل مما حصل لموسى بن عمران ، وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين ..) (١) .

كذلك لو كان الله متكلم بما يخلقه فى غيره من الأجسام كما تقوله الجهمية المعتزلة للزم أن يكون جبريل لم يسمع كلام الله من الله حقيقة ، ولم ينزل به من الله بل من بعض المخلوقات وهذا باطل :

يقول شيخ الاسلام فى بيان بطلان قول الجهمية هذا (.. فانهم زعموا أن القرآن خلقه الله فى غيره فيكون قد ابتدأ وخرج من ذلك المحل الذى خلق فيه لا من الله ، كما يقولون : كلامه لموسى خرج من الشجرة فبين السلف والأئمة أن القرآن من الله بدأ وخرج ، وذكروا قوله " ولكن حق القول منى " (٢) فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات .

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥١٤ - ٥١٥

(٢) سورة السجدة جزء من آية (١٣)

و" من " هي لابتداء الغاية فان كان المجرور بها عينا يقوم بنفسه لم يكن صفة لله كقوله : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) (١) وقوله في المسيح (وروح منه) ، وكذلك مايقوم بالأعيان كقوله : (وما بكم من نعمة فمن الله) (٢) .

وأما اذا كان المجرور بها صفة ولم يذكر لها محل كان صفة لله كقوله : (ولكن حق القول مني) .

وكذلك قد أخبر في غير موضع من القرآن أن القرآن نزل منه وأنه نزل به جبريل منه .... قال تعالى (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا ؟ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) (٣) وقال تعالى (قل أنزله روح القدس من ربك بالحق) (٤) وروح القدس هو جبريل .. فبين ان جبريل أنزله من الله لا من هواء ولا من لوح ولا غير ذلك .

وكذلك سائر آيات القرآن كقوله (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) (٥) فقد بين في غير موضع أنه منزل من الله .

فمن قال : انه منزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء فهو مفتر على الله ،

---

(١) سورة الجاثية جزء من آية (١٣)
(٢) سورة النحل جزء من آية (٥٣)
(٣) سورة الأنعام آية (١١٤)
(٤) سورة النحل جزء من آية (١٠٢)
(٥) سورة الزمر آية (١)

مكذب لكتاب الله ، متبع لغير سبيل المؤمنين ، ألا ترى أن الله فرق بين ما نزل منه وما نزل من بعض المخلوقات كالمطر بأن قال : (أنزل من السماء ماء) (١) فذكر المطر في غير موضع وأخبر أنه نزله من السماء ، والقرآن أخبر أنه منزل منه ، وأخبر بتنزيل مطلق في مثل قوله : (وأنزلنا الحديد) (٢) لأن الحديد ينزل من رؤوس الجبال لا ينزل من السماء . .

ولو كان جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ لكان اليهود أكرم على الله من أمة محمد ، لأنه قد ثبت بالنقل الصحيح أن الله كتب لموسى التوراة بيده وأنزلها مكتوبة .

فيكون بنو اسرائيل قد قرأوا الألواح التي كتبها الله ، وأما المسلمون فأخذوه عن محمد صلى الله عليه وسلم ، ومحمد اخذه عن جبريل وجبريل من اللوح فيكون بنوا اسرائيل بمنزلة جبريل ، وتكون منزلة بني اسرائيل أرفع من منزلة محمد صلى الله عليه وسلم على قول هؤلاء الجهمية .) (٣)

وذكر ابن تيمية في موضع آخر أن كون القرآن نزل به جبريل من الله تعالى وسمعه منه لا ينافي ما جاء في الآثار أن القرآن نزل جملة واحدة الى بيت العزة ، ولا ينافي كونه مكتوبا في اللوح المحفوظ .

فقال : " وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله : (انا أنزلناه في ليلة القدر) (٤) أنه أنزله الى بيت العزة في

---

(١) سورة البقرة جزء من آية (٢٢)

(٢) سورة الحديد جزء من آية (٢٥)

(٣) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥١٨ - ٥٢١

(٤) سورة القدر آية (١)

السماء الدنيا ، ثم أنزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث ، ولا ينافى أنه مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل نزوله ، كما قال تعالى (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) (١) .. وقال تعالى : (كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره ، فى صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدى سفرة كرام بررة) (٢) .. فان كونه مكتوبا فى اللوح المحفوظ ، وفى صحف مطهرة بأيدى الملائكة لا ينافى أن يكون جبريل نزل به من الله ، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك ، واذا كان أنزله مكتوبا الى بيت العزة جملة واحدة فى ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله) (٣) .

واذا كان كلامه تعالى لا يقوم بغيره - ولا يقوم لا بمحل فهذا باطل بداهة - كان كلامه تعالى قائما به صفة له غير مخلوق ،

فقولهم كلامه تعالى مخلوق ليس صفة له ، بل لا تقوم به الصفات مطلقا ، فهو سبحانه ذات مجردة عن الصفات ، غير متصور ، اذ لا توجد ذات مجردة عن صفاتها اللازمة لها وسبق بيان ذلك عن ابن تيمية .

وقد ألزم عبد العزيز الكنانى بشرا المريسى فى مناظرته له فى خلق القرآن ألزمه أن القرآن غير مخلوق ، وذلك أنه لو كان مخلوقا فاما أن يخلقه فى ذاته تعالى أو يخلقه لا فى محل ، أو يخلقه قائما بغيره ، وكل ذلك محال .

---

(١) سورة البروج آية (٢١ - ٢٢)

(٢) سورة عبس آية (١١ - ١٦)

(٣) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ١٢٦ - ١٢٧

قال عبد العزيز مبينا ذلك : (.. فان قال : ان الله خلق كلامه فى نفسه فهذا محال ،.. لان الله تبارك وتعالى لا يكون مكانا للحوادث (١) ، ولا يكون فيه شيء مخلوق ، ولا يكون ناقصا ، فيزيد فيه شيء اذا خلقه تعالى الله عن ذلك ... وان قال : خلقه فى غيره ، يلزمه فى النظر والقياس ، ان كل كلام خلقه فى غيره ، فهو كلام الله لا يقدر أن يفرق بينهما ، فيجعل الشعر كلام الله .. (٢)

وان قال : خلقه قائما بنفسه وذاته فهذا هو المحال الباطل ،.. لأنه لا يكون الكلام الا من متكلم كما لا تكون الارادة الا من مريد ، ولا العلم الا من عالم ، ولا القدرة الا من قادر ، ولا رئى ولا يرى كلام قط قائما بنفسه متكلم بذاته ، وهذا ما لا يعقل .) (٣) .

فان عارضت المعتزلة الجهمية قيام التكلم به تعالى بالصفات الفعلية فقالوا : كما أنه خالق وعادل بخلق وعدل لا يقوم به بل موجود فى غيره ، فكذلك هو متكلم بكلام موجود فى غيره .

قال لهم السلف : الأفعال تقوم به تعالى كما تقوم به الصفات اللازمة له وانما الاعتراض وارد على من سلم لهم من الكلابية ومن تبعهم أن أفعاله تعالى لا تقوم به . (٤)

---

(١) لا يفهم من قوله هذا أنه ينفى قيام الأفعال الاختيارية بذاته تعالى لقوله بعد ذلك ولا يكون فيه شيء مخلوق فنسر الحادث بالمخلوق ، كذلك هو يرد على بشر لقوله بخلق القرآن كما ذكر ذلك ابن تيمية راجع موافقة صحيح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٦١

(٢) هذا القول يلزم بشرا لقوله بأن أفعال العباد مخلوقة لله ، ومن قال به

(٣) كتاب الحيدة لعبد العزيز الكنانى ص ١٢٨

(٤) انظر هذا الاعتراض وجوابه شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٦٣

الفصـل الثانـــي

بيـان مذهب ابـن كـــــلاب

قال أبو الحسن الأشعرى مبينا مذهب عبدالله بن سعيد بن كلاب في معنى كلام الله تعالى (قال عبدالله بن كلاب : ان الله سبحانه لم يـزل متكلما ، وان كلامه سبحانه صفة قائمة به ، وانه قديم بكلامه ، وان كلامه قائم به كما أن العلم قائم به والقدرة قائمة به .. وان الكلام ليس بحرف ولا صوت ، ولا ينقسم ، ولا يتجزأ ، ولا يتبعض ، ولا يتغاير ، وانه معنى واحد بالله عز وجـل وان الرسم هو الحروف المتغايرة ، وان العبارات عن كلام الله تختلف وتتغايـر وكلام الله سبحانه ليس بمختلف ولا متغاير كما أن ذكرنا لله عز وجل يختلف ويتغاير والمذكور لا يختلف ولا يتغاير وانما سمى كلام الله عربيا لان الرسم الذى هو العبارة عنه وهو قراءته عربى فسمى عربيا لعلة ، وكذلك سمى عبرانيا لعلة ، وهى ان الرسم الذى هو عبارة عنه عبرانى ، وكذلك سمى امرا لعلة ونهيا لعلة ، وخبرا لعلة ، ولم يزل الله متكلما قبل ان يسمى كلامه أمرا ، وقبل وجود العلة التى لها سمى كلامه امرا ، وكذلك القول فى تسمية كلامه نهيا وخبرا ، وانكر أن يكون البارى لم يزل مخبرا ولم يزل ناهيا ، وقال ان الله لا يخلق شيئا الا قال له كن ، ويستحيل ان يكون قوله " كن" مخلوقا) (١) .

وحاصل رأى ابن كلاب :

ان الله تعالى متصف بالكلام ازلا فليس كلامه صفة حادثة ، والا لزم خلوه ازلا عن

---

(١) مقالات الاسلاميين لأبى الحسن الأشعرى ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨

الكمال وهذا نقص يستحيل في حقه تعالى ولما كان المتكلم من قام به الكلام ، وكان الكلام المؤلف من الحروف والاصوات حادثا ، ويستحيل قيام الحوادث بذاته تعالى - ذهب الى أن كلامه معنى قائم بذاته تعالى قديم ، ليس بحرف ولا صوت ، فلا يتعلق بقدرته تعالى ومشيئته ، وانه معنى واحد لا تكثر فيه ، وان انقسامه الى الامر والنهي والخبر .. ليس بحسب ذات الكلام ، اذ ليست هذه أقساما حقيقية للكلام ، وانما هي اقسام اعتبارية بحسب التعلقات الحادثة بحدوث المتعلقات (١) ، فلا يتصف بكونه أمرا ونهيا وخبرا ونحو ذلك من أقسام الكلام الا عند وجود المخاطبين .

فهو ينكر ان يكون الله في الازل آمرا ناهيا مخبرا ، والذى دفعه الى ذلك نفي العبث عنه تعالى ، وذلك أن الامر قبل وجود المأمور والخبر قبل وجود المخاطب سفه وعبث لا يليق بالله سبحانه وتعالى .

قال أبو المعالي الجويني : (ذهب عبد الله بن سعيد بن كلاب من أصحابنا الى أن الكلام الازلي لا يتصف بكونه أمرا ، نهيا ، خبرا الا عند وجود المخاطبين ..) (٢) .

ويرى السبكي في الطبقات أن ابن كلاب وصاحبه أبا العباس القلانسي زادا

---

(١) الصفة المتعلقة : هي التي تقتضي امرا زائدا على القيام بمحلها ، فالعلم بعد قيامه بمحله يطلب امرا يعلم به وكذا القدرة والارادة ونحوها (راجع حاشية الدسوقي على أم البراهين ص ١٠٩)

(٢) الارشاد الى قواطع الادلة وأصول الاعتقاد لابي المعالي الجويني ص ١١٩

على الاشاعرةفي كلام الله ذهبا الى أن كلامه تعالى لا يتصف بالأمر والنهي والخبر في الازل لحدوث هذه الأمور وقدم الكلام النفسي ، وانما يتصف بذلك فيما لا يزال . (١) .

وعنى السبكي بالاشاعرة أبا الحسن الاشعرى وموافقيه ، وذلك لما سيأتى من أن عبد الله بن سعيد من الاشاعرة وأكثر المتقدمين ذهبوا الى ما ذهب اليــه ابن كلاب .

ومع كون كلامه تعالى لا يختلف ولا يتغاير ولا يتبعض ولا يتجزأ ، فالعبارات عنه تختلف وتتغاير ، وكلام الله لا يسمى عربيا أوعبرانيا الا باعتبار أن العبارة عنه عربية أو عبرانية ، فهي تسمية مجازية من تسمية المدلول باسم الدال ، أما هو في نفسه فليس عربيا ولا عبرانيا ، بل ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا ، واذا كانت تسميته عربيا أوعبرانيا لعلة وهي أن العبارة عنه عربية أو عبرانية كان كلامه في الازل غير عربي ولا عبراني اذ العبارة عنه حادثة .

ويستدل ابن كلاب على أن كلام الله غير مخلوق بأن الله لا يخلق شيئا الا قال له " كن " فلو كان كلامه مخلوقا لكان مخلوقا بقوله " كن " وقوله " كن " كلام له فيكون مخلوقا بكن أخرى وهكذا فيلزم التسلسل المحال .

والقرآن عند ابن كلاب اسم لذلك المعنى القديم القائم بذاته تعالى فهــــو غير مخلوق . (٢)

---

(١) انظر طبقات الشافعية ج ٢ ص ٥١

(٢) انظر مقالات الاسلاميين لابى الحسن الاشعرى ج ٢ ص ٢٥٩
ومختصر الصواعق لابن القيم ج ٢ ص ٢٩٠

وليس بجسم ولا عرض . (١)

وهو أول من عرف عنه القول بأن القرآن قديم (٢) وذهب الى أن القرآن العربى لم يتكلم الله به ، وليس كلام جبريل ، وان قال انه مخلوق .

ولما كان كلام الله عند ابن كلاب معنى قائما بذاته ليس من جنس الحروف والاصوات ، ذهب الى أن معنى سماع الخلق له هو فهمه ، أو سماع التاليين يتلون ما عبر به عنه .

قال أبو الحسن الاشعرى : (وزعم عبد الله بن كلاب أن ما نسمع التاليين يتلونه هو عبارة عن كلام الله عز وجل ، وأن موسى عليه السلام سمع الله متكلما بكلامه ، وأن معنى قوله (فأجره حتى يسمع كلام الله) معناه حتى يفهم كلام الله ، ويحتمل على مذهبه أن يكون معناه حتى يسمع التالين يتلونه .) (٣)

أما قول ابن كلاب ان موسى سمع الله متكلما بكلامه كما حكاه الاشعرى عنه فمعناه أن الله خلق فى موسى ادراكا لكلامه القديم ، وبذلك فهم كلام الله وسمعه حين ناجاه عند الشجرة ، لا انه حينئذ نودى بصوت مسموع منه تعالى

قال ابن تيمية مشيرا الى ذلك : (.. كان الكلابية ومن وافقهم من أصحاب الائمة الاربعة يقولون انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، بل الكلام المعين لازم لذاته كلزوم الحياة لذاته ...

---

(١) انظر نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام لعلى سامى النشار ج ١ ص ٢٦٩

(٢) انظر المرجع السابق نفس الجزء والصفحة ، ومجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ٣ ص ٢٠

(٣) مقالات الاسلاميين للاشعرى ج ٢ ص ٢٥٨

وكل هؤلاء يقولون ان التكليم والنداء ليس الا مجرد خلق ادراك (فى) (١) المخلوق ، بحيث يسمع ما لم يزل ولا يزال لا أنه يكون هناك كلام يتكلم الله به بمشيئته وقدرته ، ولا تكليم ... فعندهم لما جاء موسى لميقات ربه سمع النداء القديم لا انه حينئذ نودى ..) (٢) .

---

(١) ليست فى نص الكتاب ولكن المعنى يقتضيه

(٢) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ١٣١ - ١٣٢

الفصل الثالث

بيان مذهب الاشاعرة فى معنى كلام الله تعالى

ذهبت الاشاعرة فى معنى كلام الله تعالى الى ما ذهب اليه ابن كلاب من القول بأن حقيقة كلام الله تعالى معنى قائم بذاته تعالى ، ليس من جنس الحروف والاصوات ، بل لازم له تعالى كلزوم الحياة فلا يتعلق بقدرته تعالى ومشيئته ، وانه غير العلم ، والارادة ، وغير العبارات الدالة عليه ، فهذه مختلفة وكلام الله معنى واحد لا يختلف ، وان انقسامه الى الأمر والنهى والخبر ونحو ذلك بحسب التعلق .

لكن من الاشاعرة من خالف ابن كلاب فى بعض المسائل الفرعية كما يتبين من تفصيل مذهبهم ، ويحتوى على مباحث :

الاول : فى بيان حقيقة كلام الله وأدلتهم على ذلك .

الثانى : فى بيان أدلتهم على مغايرة المعنى النفسى للعلم والارادة والالفاظ الدالة عليه .

الثالث : فى بيان أن كلام الله واحد ودليله .

الرابع : فى بيان تعلق الكلام وتكثره بحسبه .

الخامس : فى بيان أن المعنى النفسى مدلول الكلام اللفظى .

السادس : فى تسمية القرآن العربى بكلام الله حقيقة أم مجازا .

السابع : فى معنى انزال القرآن .

الثامن : فى معنى سماع كلام الله .

التاسع : فى بيان المعجز من القرآن .

العاشر : فى بيان كلام الله عند الاشعرى على ما فهمه بعض المحققين .

١

المبحث الأول

حقيقة كلام الله تعالى ودليل ذلك

ونزيد ما قدمناه بيانا فنقول : الاشاعرة قسموا الكلام الى قسمين :

أ - كلام نفسى قديم ، وهو المعنى القائم بالذات ، المغاير للعلم والارادة والذى يدل عليه بالعبارة .

ب - وكلام لفظى حادث ، وهو الحروف والأصوات الدالة على كلامه تعالى القديم ، وقالوا : يستحيل أن يكون كلامه تعالى القائم به ، لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى ، لذا قالوا حقيقة كلامه تعالى القائم بذاته هو المعنى النفسى وهو غير العلم والارادة وغير الألفاظ الدالة عليه .

أما اللفظى الحادث فيسمى كلامه تعالى مجازا ، أو حقيقة لغوية كما سيأتى بيانه .

قال أبو الحسن الأشعرى فى عقيدة له : (وحقيقة الكلام هو المعنى القائم بالذات المعبر عنه بالعبارات المختلفات المباين لجنس الحروف والأصوات ، المنزه عن البعض والكل والتقديم والتأخير والتجديد وسائر التغييرات المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات) (١) .

---

(١) عقيدة الأشعرى لأبى الحسن الأشعرى ص ٥ (مخطوط تحت رقم ١١٥ - المكتبة الازهرية مكونة من خمس صفحات) ويوجد منه صورة ميكروفيلم فى مركز البحث العلمى بمكة المكرمة جامعة الملك عبد العزيز

وقال أبو بكر الباقلاني : (ويجب أن يعلم أن الكلام الحقيقي هو المعنى الموجود في النفس لكن جعل عليه امارات تدل عليه ، فتارة تكون قــــولا باللسان ...) (١) .

وقال الامام الغزالي : (فان الكلام هو كلام النفس تحقيقا ولكن الالفــاظ لدلالتها عليه تسمى كلاما كما تسمى علوما ..) (٢) .

وجاء في المواقف بشرحها : (.. " وهذا " الذى قالته المعتزلة " لا ننكره " نحن بل نقول به ونسميه كلاما لفظيا ونعترف بحدوثه وعدم قيامه بذاته تعالى (لكنا نثبت أمرا وراء ذلك وهو المعنى القائم بالنفس) الذى يعبرعنـــــه بالالفاظ ونقول هو كلام حقيقة وهو قديم قائم بذاته تعالى .) (٣) .

وقد استدلوا على قدم كلامه تعالى وكونه معنى نفسيا لا حسيا بوجوه فاستدلوا على أن كلامه تعالى قديم بالقياس فقالوا : (كلامه تعالى صفة له وكل ما هو صفة له فهو قديم فكلامه تعالى قديم) (٤) .

---

(١) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني ص ١٠٦
وانظر غاية المرام في علم الكلام للآمدى ص ١٠٧

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٦٥

(٣) شرح المواقف ج ٨ ص ٩٣

(٤) شرح المواقف ج ٨ ص ٩١

أما كون الكلام صفة له ، فلأن الله تعالى متكلم بالاجماع وتواتر النقل عن الانبياء ، والمتكلم من قام به الكلام ، لا من أوجد الكلام في غيره للقطع بأن المتحرك من قامت به الحركة لا من أوجدها في غيره .

قال سعد الدين التفتازاني : (والدليل على ثبوت صفة الكلام اجماع الأمة وتواتر النقل عن الأنبياء عليهم السلام انه تعالى متكلم مع القطع باستحالة المتكلم من غير ثبوت صفة الكلام .) (١)

ذلك أن اثبات المشتق للشيء يقتضي ثبوت ما اشتق منه لذلك الشيء ، فاذا كان الله متكلما قام به التكلم الذي هو مأخذ الاشتقاق ، وقيام التكلم به يستلزم قيام الكلام به .

وأما كون كلامه تعالى الذي هو صفة له قديما ، فلاستحالة قيام الحوادث بذاته تعالى . يقول الشهرستاني : (.. فلا يخلو اما أن يكون آمرا بأمر قديم أو بأمر محدث .

وان كان محدثا فلا يخلو اما أن يحدثه في ذاته ، أو في محل أو لا في محل ، ويستحيل ان يحدثه في ذاته ، لانه يؤدي الى أن يكون محلا للحوادث وذلك محال ، ويستحيل ان يحدثه في محل ، لانه يوجب ان يكون المحل به موصوفا ، ويستحيل أن يحدثه لا في محل لان ذلك غير معقول فتعين انه قديم قائم به صفة له .) (٢) .

---

(١) شرح العقائد النسفية ص ٨٨

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٩٥ وانظر الاربعين في اصول الدين للرازي ص ١٧٩ وانظر هذا الدليل في اللمع لابي الحسن الاشعري ص ٤٣ - ٤٤ . وشرح المقاصد ج ٢ ص ٧٤ ، والعقيدة النظامية للجويني ص ١٩ ونهاية الاقدام للشهرستاني ص ٢٦٩

واذا كان كلامه تعالى صفة له قديما ليس من جنس الحروف والأصوات لانها حادثة ويستحيل قيام الحوادث بذاته تعالى تعين ان يكون معنى نفسيا اذ لا ثالث يطلق عليه اسم الكلام .

قال التفتازاني مبينا ذلك ومثبتا للمعنى النفسي وانه يسمى كلاما ، قال :
(استدل على قدم كلام الله وكونه نفسيا لا حسيا بوجهين :

الاول : ان المتكلم من قام به الكلام لا من أوجد الكلام ولو في محل آخر للقطع بأن موجد الحركة في جسم آخر لا يسمى متحركا ، وأن الله لا يسمى بخلق الاصوات مصوتا وانا اذا سمعنا قائلا يقول : أنا قائم نسميه متكلما وان لم نعلم انه الموجد لهذا الكلام بل وان علمنا ان موجده هو الله كما هو رأى أهل الحق وحينئذ فالكلام القائم بذات البارى لا يجوز ان يكون هو الحسي أعني المنتظم من الحروف المسموعة لانه حادث ضرورة ان له ابتداء وانتهاء ... والحادث يمتنع قيامه بذات البارى تعالى لما سبق فتعين ان يكون هو المعنى اذ لا ثالث يطلق عليه اسم الكلام وان يكون قديما لما عرفت ..

الثاني : ان من يورد صيغة أمر أو نهى أو نداء أو اخبار أو استخبار أو غير ذلك يجد في نفسه معاني ثم يعبر عنها بالالفاظ التي نسميها بالكلام الحسي ...

ثم شاع بين أهل اللسان اطلاق اسم الكلام والقول على المعنى القائم

بالنفس يقولون فى نفسى كلام وزورت فى نفسى مقالة .

وقال الاخطل : ان الكلام لفى الفؤاد وانما .. جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وفى التنزيل (يقولون فى أنفسهم) ..) (١) ، (٢) .

كذلك استدل أبوبكر الباقلانى على أن حقيقة الكلام هو المعنى النفسى بقوله تعالى : (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) ..) (٣) ، (٤)

وقال ابو بكر الباقلانى فى بيان وجه دلالة قول عمر رضى الله عنه " زورت فى نفسى مقالة" على ان المعنى القائم بالنفس كلام قال : (فاثبت ان الكلام فى النفس من غير نطق باللسان .) (٥) .

وقال فى بيان وجه دلالة قول الاخطل : (فاخبر ان الكلام فى النفس يكون ، وان عبر عنه باللسان .) (٦) .

وقال فى بيان وجه دلالة قوله تعالى : (يقولون فى أنفسهم) (فأخبر تعالى أن القول بالنفس قائم وان لم ينطق به اللسان والقول هو الكلام ، والكلام هو القول .) (٧)

---

(١) سورة المجادلة جزء من آية (٨)

(٢) شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٥

(٣) سورة المنافقون آية (١)

(٤) الانصاف لابى بكر الباقلانى ص ١٠٩

(٥) المصدر السابق ص ١١٠

(٦) الانصاف ص ١١٠

(٧) المصدر السابق ص ١٠٩

وقال فى بيان وجه دلالة قوله تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا . .) الآية :

(ونحن نعلم وكل عاقل انه تعالى ما أكذب المنافقين فى ألفاظهم وانما أكذبهم فيما تكنه ضمائرهم وتكنه سرائرهم .) (١)

---

(١) الانصاف ص ١٠٩

المبحث الثانـــي

في بيان أدلتهم على (مغايرة المعنى النفسي للعلم والارادة والالفـاظ الدالة عليه) :

ولما كان المعتزلة لا يثبتون معنى نفسيا يقوم بالمتكلم وراء العلم والارادة فلا يثبتون كلام النفس المغاير لسائر الصفات بل ينكرونه ، كان الخلاف بينهم وبين الاشاعرة منحصرا في اثبات كلام النفس ونفيه فنفاه المعتزلة وأثبته الاشاعرة ، وقالوا في اثبات ذلك كما جاء في شرح المواقف :

(و) نزعم (انه) اى المعنى النفسي الذى هو الخبر (غير العلم اذ قد يخبر الرجل عما لا يعلمه بل يعلم خلافه أو يشك فيه) وان المعنى النفسي الذى هو الامر (غير الارادة لانه قد يأمر الرجل بما لا يريده كالمختبر لعبده هل يطيعه ام لا) فان مقصوده مجرد الاختبار دون الاتيان بالمأمور بـه (وكالمعتذر من ضرب عبده عند من يلومه ..) (١) .

واستدل الرازى على مغايرة المعنى النفسي للارادة بانه تعالى أمر بايمان من يعلم انه لا يؤمن كأبى جهل وهو سبحانه لا يريد منه الايمان ، اذ لو أراد منه الايمان لوقع ، فوجد الامر بدون الارادة .

يقول في ذلك : (وانما قلنا : انه لا يجوز ان يكون عبارة عن الارادة لوجوه :

---

(١) شرح المواقف ج ٨ ص ٩٤ وانظر غاية المرام للامدى ص ٩٧ - ٩٨ كذلك تقدم في شرح المواقف قوله (لكنا نثبت امرا وراء ذلك وهو المعنى القائم بالنفس ..) المواقف بشرحها ج ٨ ص ٩٣ ، بمعنى ان المعتزلة تنكر هذا المعنى النفسي .

الحجة الاولى : انه لا نزاع انه تعالى أمر بايمان من يعلم انه لا يؤمن ويمتنع ان يقال انه يريد الايمان منه لانه تعالى عالم الغيب فان خلاف المعلوم ممتنع الوقوع وكل ما كان ممتنع الوقوع لا يكون مراد الوقوع فلما تحقق الأمر والطلب مع عدم الارادة علمنا ان ماهية هذا الطلب مغاير لماهية الارادة ..) (١)

فالأمر تعبير عن الحالة التي تحصل في ذهن الآمر عند قصد الأمر أي الاقتضاء على سبيل الاستعلاء سواء اراد المأمور او لم يرده بل اراد عدم وقوعه .

قال الخيالي : (والحق ان الأمر تعبير عن الحالة الذهنية والانكار مكابرة .) (٢) .

ويستدلون على ان المعنى النفسي غير الالفاظ الدالة عليه بوجوه حصرها الرازي في أربعة فقال : (اعلم أن الانسان اذا اراد أن يقول اسقني الماء فانه قبل أن يتلفظ بهذا اللفظ يجد في نفسه طلبا واقتضاء لذلك الفعل ، وماهية ذلك الطلب مغايرة لذلك اللفظ والذي يدل عليه وجوه :

الاول : ان ماهية ذلك الطلب لا تتبدل باختلاف الازمنة والامكنة . (٣) والالفاظ الدالة على هذا المعنى تختلف باختلاف الازمنة والامكنة (٤) .

---

(١) الاربعين في اصول الدين للرازي ص ١٧٤ - ١٧٥ وانظر حاشية شرح المواقف للسيالكوتي ج ٨ ص ٩٤ - ٩٥

(٢) حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية ص ٦٥ - ٦٦

(٣) انظر هذا الدليل الاول في شرح المواقف ج ٨ ص ٩٣ - ٩٤)

(٤) واذا كان المعنى القائم لا يتغير بتغير العبارات ومدلولاتها اللغوية المتغيرة بتغيرها فان غير المتغير لا يكون هو المتغير فالمعنى الذي نجده في أنفسنا غير العبارات الدالة عليه وغير مدلولاتها اللغوية المسماة في الاصطلاح معاني اول بل كما يدل

=

الثاني : ان جميع العقلاء يعلمون بالضرورة ان قول القائل افعل دليل على ذلك الطلب القائم بالقلب ، ولا شك ان الدليل مغاير للمدلول . (١)

الثالث : ان جميع العقلاء يعلمون بالضرورة ان قول القائل افعل لا يكون طلبا وامرا الا عند اصطلاح الناس على هذا الموضوع ، وأما كون ذلك المعنى القائم بالقلب طلبا فانه امر ذاتي حقيقي لا يحتاج فيه الى الوضع والاصطلاح . (٢)

الرابع : وهو انهم قالوا : ان قولنا : ضرب يضرب اخبار ، وقولنا : اضرب لا تضرب ، امر ونهي ، ولو ان الواضعين قلبوا الأمر وقالوا : ان قولنا : ضرب يضرب امر ونهي ، وقولنا : اضرب لا تضرب اخبار لكان ذلك ممكنا جائزا .
أما لو قالوا : حقيقة الطلب يمكن ان تقلب خبرا لكان ذلك محالا فهذه الوجوه الظاهرة دالة على أن حقيقة الطلب وحقيقة الخبر أمر مغاير لهذه الالفاظ وهذه العبارات) (٣) .

= على ذلك المعنى بالعبارة يدل عليه بالاشارة والكتابة . .
انظر في ذلك حاشية عبد الحكيم على الخيالي على العقائد النسفية ص ٢٠٨

(١) نص الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد على هذا الدليل ص ٦١

(٢) اشار الى هذا الدليل الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد ص ٦١

(٣) الاربعين في اصول الدين ص ١٧٤

المبحث الثالث
(فى أن كلام الله واحد ودليله)

ذهبت الاشاعرة الى أن كلامه تعالى واحد لا تكثر فيه فى نفسه وانما تكثره بحسب التعلق فى الازل ، أو فيما لا يزال على قولين . واستدلوا على أن كلامه تعالى واحد بالسمع ، اذ لم يرد بالتعدد .

جاء فى المقاصد : (المذهب ان كلامه الازلى واحد يتكثر بحسب التعلق لا على انه انما يتكثر فيما لا يزال كما زعم عبد الله بن سعيد ولا على أنه خبر ومرجع البواقى اليه كما زعم الامام الرازى ، بل على انه انما ثبت بالسمع ولم يرد بالتعدد ولم يمتنع التكلم بالأمر والنهى والخبر وغيرها بكلام واحد كما فى العلم والقدرة .) (١) .

والاستدلال بالسمع على وحدة الكلام ذهب اليه أبو المعالى الجوينى اذ يقول : (كلامه تعالى واحد وهو متعلق بجميع متعلقاته وكذا القول فى سائر صفاته . . . فان قال قائل : لئن استمر لكم ما ذكرتموه فى العلم والقدرة فما وجه تقريره فى الارادة والكلام ؟ قلنا الغرض أن نوضح انعقاد الاجماع الواجب الاتباع على نفى كلام ثان قديم .) (٢) .

ويقول سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد : (ولا قرب ما ذكره امام

---

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٨

(٢) الارشاد للجوينى ص ١٢٦

الحرمين وهو أن ثبوت الكلام انما هو بالسمع دون العقل ولم يرد بالتعدد بل انعقد الاجماع على نفى كلام ثان قديم .) (١) .

وقد يستدلون على ان كلام الله واحد بما استدلوا به على وحدة القدرة يبين هذا شارح المواقف فيقول : كلامه تعالى واحد عندنا لما مر في القدرة) من أنها لو تعددت لاستندت الى الذات اما بالاختيار أو بالايجاب وهما باطلان أما الأول فلأن القديم لا يستند الى المختار وأما الثاني فلأن نسبة الموجب الى جميع الاعداد سواء فيلزم وجود قدر لا تتناهى .) (٢)

مع أن ما حصره الوجود يجب أن يكون متناهيا واذا كان متناهيا فليس بعض الأعداد أولى من بعض .

ويقول الشهرستاني : (.. وذلك انه لو كان كثيرا لم يخل اما أن يكون أعدادا لا تتناهى واما أن يكون أعدادا متناهية فان كان أعدادا لا تتناهى فهو محال لأن ما حصره الوجود من العدد فهو متناه وان اقتصر على عدد دون عدد فاختصاصه بالبعض دون البعض يستدعي مخصصا والقديم لا اختصاص له ، والصفة الازلية اذا كانت متعلقة وجب عموم تعلقها بجميع المتعلقات لأن نسبتها الى الكل والى كل واحد نسبة واحدة فلئن تعلقت بواحدة تعلقت بالكل) وان تخلفت عن واحدة تخلفت عن الكل .) (٣) .

---

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ٨٧

(٢) شرح المواقف ج ٨ ص ٩٩

(٣) نهاية الاقدام للشهرستاني ص ٢٨٨

وأما ما ذهب اليه الامام الرازي من أن كلامه تعالى واحد حيث ارجع أقسام الكلام الى الخبر ويبينه بقوله : (أما المقام الرابع - وهو أن كلام الله تعالى واحد ومع كونه واحدا فهو أمر ونهى وخبر ، فتحقيق الكلام فيه يرجع الى حرف واحد وهو أن الكلام كله خبر لان الأمر عبارة عن تعريف الغير انه لو فعله لصار مستحقا للمدح ولوتركه صار مستحقا للذم ، وكذا القول في النهى واذا كان المرجع بالكل الى شئ واحد وهو الخبر صح قولنا ان كلام الله تعالى واحد .) (١)

فقد رد بأنا نعلم اختلاف هذه المعانى بالضرورة واستلزام البعض للبعض لا يوجب اتحاد المفاهيم والا لزم الاتحاد بين كل أمرين بينهما تلازم وذلك بديهى البطلان .

ولو سلم أن الاستلزام يوجب الاتحاد فليس جعل الكل راجعا الى الخبر أولى من العكس اذ لا شك فى وجود الاستلزام بين الكل فالخبر يستلزم الأمر بالعلم بمضمونه ، والنهى عن العلم بخلافه ، وطلب الاقبال عليه كما لا يخفى . (٢)

---

(١) الاربعين فى اصول الدين ص ١٨٠

(٢) انظر شرح العقائد النسفية بحاشية الخيالى وعبدالحكيم ص ٢١٥

المبحث الرابع

(تعلق الكلام : نوعه - عمومه - تكثر الكلام بحسبه)

قالت الأشاعرة : الكلام والعلم متساويان فى المتعلق مختلفان فى التعلق ، فتعلق العلم تعلق انكشاف وتعلق الكلام تعلق دلالة ، فيدل كلامه تعالى على الواجب وعلى المستحيل وعلى الجائز . وكذلك العلم متعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات . (١)

فان قيل : ان العلم أعم من الكلام فى المتعلق ، بدليل أن الشىء الذى أمر الله به وعلم بوقوعه تعلق كل من الأمر والعلم بوقوعه وما نهى عنه وعلم عدم وقوعه تعلق كل من العلم والنهى بعدم وقوعه ، وأما ما أمر به وعلم عدم وقوعه كايمان أبى لهب فقد تعلق العلم بعدم وقوعه دون الأمر فيكون عدم الوقوع فى هذه الحالة متعلقا للعلم دون الامر وحينئذ فبعض متعلق العلم ليس متعلقا للكلام .

فالجواب عن هذا : ان الكلام الازلى له تعلقات كثيرة لما علمت من تنوعه ، فليس تعلقه منحصرا فى تعلق الأمر فكلامه تعالى وان كان لم يتعلق بعدم وقوع ذلك المأمور به باعتبار كونه أمرا لكنه قد تعلق به باعتبار كونه خبرا ، وحينئذ فلا يمكن أن ينفرد العلم الأزلى بمتعلق لا يكون متعلقا للكلام الازلى بوجه من وجوه تعلقاته .

---

(١) انظر حاشية الدسوقى على أم البراهين ص ١١٢

ومنشأ الغلط حصر تعلق الكلام فى تعلق الأمر والحال ان تعلق الكلام أعم من تعلق الأمر . (١)

وأما انقسام الكلام بحسب التعلق فهو وان كان موضع اتفاق بين الأشاعرة الا أنهم اختلفوا فى هذا الانقسام أهو حاصل فى الأزل أولا على قولين :

الأول : أن الانقسام الى الأمر والنهى والخبر وغيرها من أقسام الكلام بحسب التعلق الازلى وهو مذهب الامام أبى الحسن الأشعرى وبعض المتأخرين كأبى المعالى الجوينى .

الثانى : أنه فى الأزل واحد لا انقسام فيه أصلا وانما انقسامه الى الأمر والنهى والخبر وغيرها بحسب التعلق فيما لا يزال .
وهو مذهب عبد الله بن سعيد من الأشاعرة وأكثر المتقدمين .

قال سيف الدين الآمدى فى ابكار الافكار : (.. لكن اختلفوا فى وصف كلامه تعالى فى الازل بكونه أمرا ونهيا مخاطبة تكلما فاثبت ذلك الشيخ أبو الحسن الأشعرى ونفاه عبد الله بن سعيد وطائفة كثيرة من القدماء مع اتفاقهم على وصفه بذلك فيما لا يزال .) (٢)

ووجه هذا الاتفاق : أن القائلين بأن تعلق الكلام أزلى ، يقولون بأن المعدوم

---

(١) راجع هذا الاعتراض وجوابه حاشية الدسوقى على أم البراهين ص ١١٢ - ١١٣

(٢) أبكار الافكار ج ١ ص ٨٢/ ب (مخطوط فى جامعة الدول العربية) ويوجد صورة ميكروفلم فى مركز البحث العلمى بمكة المكرمة جامعة الملك عبد العزيز

المتعلق به الكلام أزلا على تقدير وجوده اذا تحقق وجوده فيما لا يزال تعلق الكلام به تعلقا تنجيزيا حادثا .

يقول في ذلك الجويني : (فانا نجوز كون المعدوم مأمورا على تقدير الوجود ، واذا وجد تحقق كونه مأمورا) . (١) .

وجاء في حاشية البيجوري : (.. وأثبت له بعضهم تعلقا صلاحيا قديما وتنجيزيا حادثا نظرا للقول بأنه يشترط للأمر مثلا بالفعل وجود المأمور فالتعلق قبله صلوحي قديم وبعده تنجيزي حادث) (٢) .

وفرق الدسوقي بين الأمر والنهي وبين غيرهما من أقسام الكلام من حيث التعلق فقال : (.. فاعلم أن للكلام تعلقا باعتبار كونه ليس أمرا ولا نهيا بل خبرا أو استخبارا أو وعدا ووعيدا تعلقا تنجيزيا قديما وهو دلالته في الأزل على معنى مطابق للواقع وعلى طلب العلم وعلى ثواب مستقبل وعلى توقع عذاب كما تقدم .

وأما تعلقه باعتبار كونه أمرا ونهيا فله تعلق تنجيزي حادث عند وجود المأمور والمنهي وهو طلب الفعل من الأول وطلب الترك من الثاني وصلوحي قديم وهو صلاحيته في الأزل للدلالة على طلب الفعل والترك ممن سيوجد .) (٣)

---

(١) الارشاد للجويني ص ١٢١

(٢) حاشية ابراهيم البيجوري ص ٥٤ . وسيأتي عن سعد الدين التفتازاني الاشارة الى هذين القولين وهما ما ذكره البيجوري وما ذكره الجويني قبله . فيما ذكره سعد عن الجمهور

(٣) حاشية الدسوقي على أم البراهين ص ١١٢

فان قيل : الأمر والنهى والخبر حيث لا مخاطب ولا سامع سفه وعبث يتنزه الله عنه ، والاخبار بطريق المضى كذب محض يجب تنزيه الله عنه . (١)

ان قيل هذا اعتراضا على القول بأن كلام الله ينقسم أزلا الى الأمر والنهى والخبر وغيرها بحسب التعلق :

يقول سعد الدين فى الجواب على ذلك :

(وأجيب بوجوه احدها لعبد الله بن سعيد القطان : وهو أن كلامه فى الازل ليس بأمر ولا نهى ولا خبر وغير ذلك وانما يصير أحد الأقسام فيما لا يزال .

وثانيها : ان وجود المخاطب انما يلزم فى الكلام الحسى واما النفسى فيكفيه وجوده العقلى .

وثالثها : أن السفه والعبث انما يلزم لو خوطب المعدوم وأمر فى عدمه (٢) واما على تقدير وجوده بان يكون طلبا للفعل ممن سيكون فلا كما فى طلب الرجل تعلم ولده الذى اخبره صادق بأنه سيولد ، وكما فى خطاب النبى عليه الصلاة والسلام بأوامره ونواهيه كل مكلف يولد الى يوم القيامة ... واعلم ان هذا الجواب هو المشهور بين الجمهور وكلامهم متردد فى أن معناه أن المعدوم مأمور فى الازل بأن يمتثل ويأتى بالفعل على تقدير الوجود أو المعدوم ليس بمأمور فى الازل لكن لما استمر الامر الازلى الى زمان وجوده صار بعد الوجود مأمورا ..) (٣)

---

(١) انظر شرح العقائد النسفية ص ٩٠ - (٢) اى وامر بتحصيل الفعل فى عدمه

(٣) شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٨

وجواب الجمهور بأن المعدوم مأمور بالأمر الأزلي على تقدير وجوده هو ما ذهب اليه الامام أبوالحسن الأشعري .

يقول الشهرستاني في ذكر ذلك : (وعند أبي الحسن الأشعري كلام الله تعالى لم يزل متصفا بكونه أمرا ونهيا وخبرا ، والمعدوم على أصله مأمور بالأمر الازلي على تقدير الوجود .

ثم قال في دفع السؤال (١) : اذا لم يبعد أن يكون المأمور به معدوما لم يبعد أن يكون المأمور معدوما وعضد ذلك باننا في وقتنا مأمورون بأمر الله تعالى الذي توجه على المأمورين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا لم يبعد أن يتأخر وجود المأمور عن الأمر نسبة لم يبعد أن يتأخر عنه بأكثر ..) (٢) .

وأما دفع كون الاخبار في الازل بطريق المضي كذبا فاجاب عنه التفتازاني بقوله : (والاخبار بالنسبة الى الازل لا يتصف بشيء من الازمنة اذ لا ماضي ولا مستقبل ولا حال بالنسبة الى الله تعالى لتنزهه عن الزمان كما أن علمه أزلي لا يتغير بتغير الزمان .) (٣)

هذا واعترض على القول بأن الكلام واحد في نفسه وانما ينقسم بحسب التعلق . فقيل :

---

(١) وهو أن أمر المعدوم غير جائز

(٢) نهاية الاقدام ص ٣٠٤

(٣) شرح العقائد النسفية ص ٩١

هذه أقسام للكلام لا يعقل وجوده بدونها اذ الجنس لا يوجد الا في ضمن شيء من أنواعه .

وأجيب عنه : بأن هذه ليست أنواعا حقيقية له حتى يلزم ماذكرتم بل هي أنواع اعتبارية تحصل له بحسب تعلقه بالأشياء فجاز أن يوجد جنسها بدونها .. (١) .

نعم هذا الاعتراض وارد على ابن سعيد القائل بأن تعلقات الكلام حادثة ولكنه لا يختص بمذهبه .. (٢) .

قال سعد الدين التفتازاني (... فان قيل وجود الجنس من غير أحد الأنواع ليس بمعقول وأيضا التغير على القديم محال قلنا : هو ... أمر واحد يعرض له التنوع بحسب التعلقات الحادثة من غير أن يتغير في نفسه ..) (٣) .

---

(١) انظر شرح المواقف ج ٨ ص ١٠٠

(٢) انظر حاشية الخيالي وعبد الحكيم على العقائد النسفية ص ٢١٢

(٣) شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٨

المبحث الخامس

في (بيان ان المعنى النفسي مدلول الكلام اللفظى)

نص الرازى على أن المعنى النفسي مدلول الكلام اللفظى فقال :
(.. ثبت أنه تعالى موصوف بمعنى حقيقي هو مدلول قوله افعل وهو مغاير لارادته وأنه تعالى موصوف بمعنى حقيقي هو مدلول قوله الحمد لله وهو مغاير لعلمه ونحن نسمى ذلك المعنى بالأمر الحقيقي والخبر الحقيقي وهو المطلوب .) (١)

كذلك سيف الدين الآمدى نص هو الآخر على ذلك فقال : (.. أن المعنى بكونه متكلما قيام صفة نفسية به ، هى غير العلم والقدرة والارادة وهى مدلول العبارات والمعنى بالاشارات .) (٢) .

وهذا هو المشهور في مذهب الاشاعرة ، وذلك انهم يقولون ليس اطلاق كلام الله على هذا المنتظم من الحروف الا بمعنى أنه دال على كلامه القديم فيكون الكلام القديم مدلول الكلام اللفظى .

قال التفتازانى : (المشهور في كلام الاصحاب ان ليس اطلاق كلام الله على هذا المنتظم من الحروف المسموعة الا بمعنى أنه دال على كلامه القديم حتى ولو كان مخترع هذه الالفاظ غير الله لكان هذا الاطلاق بحاله) (٣) .

---

(١) الاربعين في اصول الدين ص ١٧٨
(٢) غاية المرام في علم الكلام ص ١٠٣
(٣) شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٦

والمتبادر من قولهم : ان المعنى النفسى مدلول الكلام اللفظى أنه مدلوله بطريق الوضع يشير الى هذا السيالكوتى فى حاشية شرح المواقف فيقـــول : (قوله يعبر عنه بالالفاظ المتبادر منه ان الكلام النفسى هو المدلول الوضعى للالفاظ..) (١)

لكن كيف يقولون بانه مدلول الكلام اللفظى بطريق الوضع ويقولون مع ذلك انه واحد مع أن المدلولات الوضعية للالفاظ متعددة متغيرة بتغير الالفاظ، واذا كانت متغيرة لزم أن تقوم بذاته تعالى الحوادث وهم يمنعون ذلك .

لما رأت الاشاعرة ذلك قالوا : ان المعنى النفسى وان كان هو مدلول الكلام اللفظى لكن ليس هو مدلوله الحقيقى فيكون وضعيا ، بل التعبير عن المعنى النفسى بالالفاظ من قبيل التعبير بالأثر عن المؤثر .

قال الآمدى : (.. وهذه المعانى هى التى يدل عليها بالاشارات وهـى مغـايرة للعبارات اذ هى مدلولها والدال غير المدلول وانها لا تتبـدل وان تبدلت العبارات الدالة عليها وانها غير وضعية ودلائلها وضعية) (٢) .

وقال السيالكوتى فى حاشية شرح المواقف : (" قوله يعبر عنه بالالفـــاظ" المتبادر منه هو أن الكلام النفسى هو المدلول الوضعى للالفاظ ، الا أنــه لا نزاع فى أنه أنواع مختلفة وأكثرها معان حادثة ، فلذا قيل : المراد بالتعبير

---

(١) حاشية شرح المواقف ج ٨ ص ٩٣ وانظر حاشية الدسوقى على أم البراهين ص ١١٣

(٢) ابكار الافكار للامدى ج ١ ص ٩٥ / ١ (مخطوط)

عن المعنى النفسي بالالفاظ هو التعبير بالأثر فان الصفة الازلية لما تعلقت بمتعلقاتها حصل منها معان مخصوصة عبر عنها بالالفاظ،..) (١)

وقال الدسوقي : (وأجيب بأن النظم الطبيعي لما كان دالا على ما تدل عليه الصفة القديمة صار النظم المذكور دالا على الصفة دلالة عرفية اذ قد تعورف أن الدال على شيء دال على ما دل عليه ذلك الشيء فان أريد الدلالة العقلية قدّر مضاف في الكلام فقوله وهو الذي عبر عنه أي عن مدلوله .) (٢)

بمعنى أن النظم دال على مدلول كلام الله ومدلول كلام الله ليس وضعيا . فدلالة النظم على الصفة ليست دلالة حقيقية فلا يلزم أن يكون المدلول وضعيا .

جاء في حاشية البيجوري : (وليست هذه الالفاظ الشريفة دالة على الصفة القديمة بمعنى أن الصفة القديمة تفهم منها ،بل مايفهم من هذه الالفاظ مساو لمايفهم من الصفة القديمة لو كشف عنها الحجاب وسمعناها فحاصله أن الالفاظ هذه تدل على معنى وهذا المعنى مساو لمايفهم من الكلام القديم القائم بذاته تعالى .) (٣)

واذا كانت دلالة الالفاظ على الصفة القديمة ليست بطريق الوضع لم يلزم التعدد في الصفة كما لا يلزم تغير الصفة بتغير الالفاظ ومدلولاتها حتى يقال يلزم أن تقوم بذاته تعالى الحوادث .

---

(١) حاشية شرح المواقف ج ٨ ص ٩٣

(٢) حاشية الدسوقي على أم البراهين ص ١١٣

(٣) حاشية البيجوري ص ٥٢

المبحث السادس

(تسمية القرآن العربى بكلام الله حقيقة أم مجاز)

سبق أن بينا أن حقيقة كلام الله عند الاشاعرة هو المعنى القائم بالنفس ، أما المنتظم من الحروف وهو القرآن العربى فهو عندهم كلامه تعالى مجازا من باب تسمية الدال باسم المدلول ، وهذا القول اعترض عليه بأن القرآن اللفظى لو كان كلامه تعالى مجازا لصح نفيه ، ولم يقع التحدى بكلام الله ، ولم يكن الذى بين دفتى المصحف كلام الله حقيقة ، ونحو ذلك .

وقد أجابوا عنه فقالوا : بأن كلام الله مشترك لفظى يطلق على الصفة القديمة وعلى النظم المؤلف من السور والآيات اطلاقا حقيقيا لوضعه له فى اللغة .

قال الدسوقى فى حاشية أم البراهين : (" قوله حقيقة لغوية " أى فكلام الله مشترك اشتراكا لفظيا يطلق على كل من النظم والصفة اطلاقا حقيقيا لوضعه له فى اللغة .) (١)

وقال التفتازانى مبينا الاعتراض وجوابه : (فان قيل : لو كان كلام الله تعالى حقيقة فى المعنى القديم مجازا فى النظم المؤلف لصح نفيه عنه بأن يقال ليس النظم المنزل المعجز المفصل الى السور والآيات كلام الله تعالى

---

(١) حاشية الدسوقى على أم البراهين ص ١١٤

والاجماع خلافه وأيضا المعجز المتحدى به هو كلام الله تعالى مع القطع بأن ذلك انما يتصور فى النظم المؤلف من السور والآيات ، اذ لا معنى لمعارضة الصفة القديمة .

قلنا : التحقيق ان كلام الله تعالى اسم مشترك بين الكلام النفسى القديم ، ومعنى الاضافة كونه صفة لله تعالى وبين اللفظى الحادث المؤلف من السور والآيات ومعنى الاضافة انه مخلوق لله تعالى ليس من تأليفات المخلوقين فلا يصح النفى اصلا ولا يكون الاعجاز والتحدى الا فى كلام الله تعالى ، وما وقع فى عبارة بعض المشايخ من أنه مجاز فليس معناه انه غير موضوع للنظم المؤلف بل معناه أن الكلام فى التحقيق وبالذات اسم للمعنى القائم بالنفس وتسمية اللفظ به ووضعه لذلك انما هو باعتبار دلالته على المعنى فلا نزاع لهم فى الوضع والتسمية .) (١) .

وأشار الى هذا الجواب أبو المعالى الجوينى فى الارشاد فقال :

(.. قلنا الطريقة المرضية عندنا ان العبارات تسمى كلاما على الحقيقة والكلام القائم بالنفس كلام ، وفى الجمع بينهما ما يدرأ تشغيب المخالفين) (٢) ولا يقال ان اعتبار العلاقة فى تسمية النظم المعجز كلام الله يشعر بكونه منقولا لا مشتركا ، لان المشترك ما تعدد معناه ولم يتخلل بينهما النقل واذا كان منقولا يلزم أن يكون مجازا فى المعنى المنقول عنه وهو الكلام النفسى بالنسبة

---

(١) شرح العقائد النسفية ص ٩٤ - ٩٥ وانظر شرح المقاصد ص ٧٥

(٢) الارشاد للجوينى ص ١٠٨

للناقل حتى يصح أن يقال ليس المعنى القائم بالذات كلام الله وهذا باطل عند الاشاعرة لا يقال ذلك لجواز وضع اللفظ لمعنيين بينهما علاقة فاعتبار العلاقة لا يقتضى أن يكون المعنى الأول مهجورا ومع عدم هجر المعنى الاول لا يقال انه منقول وأن استعماله فى المعنى الاول يكون مجازا . (١)
وقالوا إن وجود كلام الله فى النظم بحسب الدلالة لا بحسب الحلول فى
وذلك لان وجود الشيء فى الشيء اما أن يكون بحسب حلوله فيه كوجود زيد فى المسجد واما أن يكون بحسب دلالته عليه كوجود المعنى فى اللفظ فمعنى وجود الصفة فى النظم انه دال عليها أوعلى ما تدل عليه لا انها حالة فيه لان القديم لا يحل المكان والا لزم حدوث كلامه القائم بذاته .

وقالوا : كما لا يقال كلام الله حال فى اللفظ لا يقال كلام الله حال فى لسان أو قلب أو مصحف حتى ولو أريد بكلامه تعالى اللفظ المعجز تأدبا . (٢)

واحترازا عن ذهاب الوهم الى الكلام الحقيقى القائم بذاته تعالى (٣) .
واختلف فى جواز اطلاق القول بأن القرآن فى المصحف .

قال الآمدى : (اختلف أصحابنا فمنهم من لم يجوز الاطلاق بكون القرآن فى المصحف حتى يقرن به انه مكتوب فيه دفعا لوهم الحلول ، ومنهم من لم يتحاش عن ذلك مع عنايته انه مكتوب فيه تمسكا فى جواز الاطلاق بقولـــه

---

(١) انظر فى ذلك حاشية الخيالى وعبد الحكيم على العقائد النسفية ص ٢١٨ - ٢١٩

(٢) انظر حاشية الدسوقى على ام البراهين ص ١٤٤

(٣) انظر شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٦

تعالى : (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون) ..) (١) ، (٢)

والقول بأن كلام الله مشترك لفظى هو مذهب طائفة من المتأخرين (٣) .

مشكك

وذهب بعض المحققين الى القول بأنه مشترك معنوى وانه الاولى من القول بأنه مشترك لفظى وذلك لان الكلام موضوع للقدر المشترك بين النفسى واللفظى فيتحد الوضع والقول باتحاد الوضع أولى من القول بتعدده ، ذلك أن الاصل فى الوضع عدم التعدد وانما قيل انه مشكك ، لان اللفظى أولى بأن يطلق عليه الكلام لانه فيه أشهر .

يبين ذلك كتاب المسامرة فى شرح المسايرة بقوله : (ثم لا شك فى اطلاق الكلام على من قام به الحروف لغة) هكذا عبارة المتن والمراد اطلاقه فى ضمن اطلاق المتكلم والاوضح أن يقال لا شك فى اطلاق الكلام على ماقام بالمتكلم من الحروف لغة (اما مجازا واما حقيقة وهو) أى كون الاطلاق حقيقة (أقرب) من كونه مجازا (لان المتبادر من) قولك (تكلم زيد ونحوه) ككلام زيد وزيد متكلم (لغة) أى من جهة اللغة (هو تلفظه) بالحروف المنتظمة والمتبادر علامة الحقيقة (فيكون) الكلام حينئذ (مشتركا لفظيا أو) مشتركا (معنويا مشككا) بكسر الكاف لا متواطئا وقوله (بناء) متعلق بقوله معنويا يعنى أن القول بأنه مشكك مبنى (على أن الكلام مطلقا) هو (أعم من) كل من الكلام (اللفظى و) الكلام (النفسى) واما كونه مشككا فلأن اللفظى أولى باطلاق الكلام عليه لأنه

---

(١) سورة الواقعة آية (٧٧ - ٧٨)

(٢) ابكار الافكار للآمدى ج ١ ص ٨٦ / ١ (مخطوط)

(٣) انظر مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ١٢١

فيه أشهر (و)كونه مشتركا معنويا مشككا (هو الأوجه) لان الاطلاق فى كل من المعنيين يكون حقيقة مع وحدة الوضع اذ الوضع للقدر المشترك بينهما وهو متعلق التكلم أعم من كون ذلك المتعلق نفسيا أو لفظيا بخلاف الاشتراك اللفظى فان الوضع فيه متعدد والاصل فى الوضع عدم التعدد والاصل فى الاطلاق الحقيقة) . (١)

---

(١) كتاب المسامرة للكمال ابن أبى شريف فى شرح المسايرة للكمال ابن الهمام ص ٨٣ - ٨٤

المبحث السابع

في : معنى انزال القرآن

ذهبت الاشاعرة الى أن القرآن منزل على محمد صلى الله عليه وسلم بشهادة النص والاجماع .

وقالوا : يمتنع نزول المعنى القديم القائم بذاته ، لكونه صفة لله تعالى ، والصفة لا تفارق الموصوف .

قال التفتازاني : (.. ومنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة النص والاجماع ولا خفاء في امتناع نزول المعنى القديم القائم بذات الله تعالى بخلاف اللفظ فانه وان كان عرضا لا يزول عن محله لكن قد ينزل بنزول الجسم الحامل له ..) (١) .

وقال : (اذ معنى الانزال أن جبريل عليه السلام أدرك كلام الله تعالى وهو في مقامه ثم نزل الى الارض وأفهم النبي صلى الله عليه وسلم مافهمه عند سدرة المنتهى من غير نقل لذات الكلام ..) (٢) .

والمفهوم من هذا أن جبريل أدرك المعنى النفسي وأنه أفهم النبي صلى الله عليه وسلم ما فهمه هو عند سدرة المنتهى .

وقال الشهرستاني : ان معنى نزول الكلام الازلي نزول الملك بالألفاظ الدالة عليه . يقول في بيان ذلك :

---

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٦

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٧ . وانظر الارشاد للجويني ص ١٣٥

وأما نزول كلام الباري تعالى فمعناه نزول الملك به فليس يستدعى النـــزول انتقالا فانك تقول : نزلت عن كلامي ونزل الأمير عن حقه ، وورد في القرآن مجيئه واتيانه وذلك لا يستدعى انتقالا .. ثم الكلام الذى هو أمره الازلى لا يطلق عليه النزول الا بمعنى نزول الآيات الدالة عليه .) (١)

والى هذا المعنى ذهب الرازى اذ يقول : (المراد من انزال الوحـــى وكونه منزلا ومنزولا به ان جبريل عليه السلام سمع في السماء كلام الله تعالى فنزل على الرسول به ، وهذا كما يقال : نزلت رسالة الأمير من القصـــــر ، والرسالة لا تنزل لكن المستمع يسمع الرسالة من علو فينزل ويؤدى في سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ، ولكن السامع يسمع فينزل ويؤدى بلفظ نفسه ، ويقال : فلان ينقل الكلام اذا سمع في موضع وأداه في موضع آخر) (٢)

وبه قال الآمدى في ابكار الافكار حيث قال وهو يرد على المعتزلة : (قولهم الأمة مجتمعة على أن القرآن منزل .. قلنا : ما أجمعوا على كونه منزلا انما هو العبارات الدالة على المعنى القديم لا نفس المعنـــــــى القديم ..) (٣)

فالحاصل ان الاشاعرة لم يختلفوا في أن القرآن منزل على محمد صلى الله عليه وسلم ولكن اختلفوا في حقيقة ما نزل به جبريل على محمد صلى اللـــــه عليه وسلم .

---

(١) نهاية الاقدام للشهرستاني ص ٤٦٦
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٢ ص ٣٢
(٣) ابكار الافكار للامدى ج ١ ص ٨٦ /١ (مخطوط)

فمنهم من قال نزل بالمعنى واللفظ .

ومنهم من قال : نزل بالمعنى لكن اختلفوا فمنهم من قال عبر عن المعنى جبريل بلفظ من عنده ، ومنهم من قال عبر عنه محمد صلى الله عليه وسلم يشير الى هذه الا قوال الشيخ محمد الفضالى فى متن حاشية البيجورى فيقول :

(.. والذى نزل عليه صلى الله عليه وسلم اللفظ والمعنى وقيل نزل عليه المعنى فقط واختلف القائلون بهذا فقال بعضهم عبر النبى صلى الله عليه وسلم عن المعنى بالالفاظ من عنده وقيل الذى عبر عنها جبريل عليه السلام ..) (١) .

فالنظم المؤلف - وهو القرآن العربى - مخلوق اما فى اللوح المحفوظ أو فى جبريل أو فى محمد صلى الله عليه وسلم .

جاء فى المواقف بشرحها : (وقالت المعتزلة) كلامه تعالى (أصوات وحروف) .. (يخلقها الله فى غيره كاللوح المحفوظ أو جبريل أو النبى وهو حادث) .. (وهذا) الذى قالته المعتزلة (لا ننكره) نحن بل نقول به ونسميه كلاما لفظيا ونعترف بحدوثه وعدم قيامه بذاته تعالى ..) (٢)

---

(١) حاشية ابراهيم البيجورى ص ٥٣

(٢) المواقف بشرحها ج ٨ ص ٩٣

المبحث الثامن

(معنى سماع كلام الله تعالى)

لم يختلف الاشاعرة فى اطلاق القول بان كلام الله مسموع

قال أبو المعالى الجوينى : (كلام الله مسموع فى اطلاق المسلمين والشاهد لذلك من كتاب الله تعالى ، قوله تعالى : (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) ..) (١)

ولما كان حقيقة كلام الله عندهم هو المعنى القائم بذاته تعالى ، ليس من جنس الحروف والاصوات ، لاستحالة قيام الحوادث بذاته تعالى اختلفوا فى معنى سماع كلام الله تعالى .

أهو خلق ادراك للمعنى القائم بذاته تعالى أم هو سماع صوت دال على المعنى القديم القائم بذاته تعالى .

قال ابن فورك : (ومعنى تكليم الله عز وجل خلقه افهامه اياهم كلامه على ما يريد اما باسماع عبارة تدل على مراده أو بابتداء فهم يخلقه فى قلبه يفهم به ما يريد أن يفهمه به وكل ذلك سائغ جائز ..) (٢) .

والاشاعرة فرقوا فى سماع كلام الله بين سماع جبريل وموسى عليهما السلام وبين سماع غيرهما من الخلق .

---

(١) الارشاد للجوينى ص ١٣٣ وانظر العقيدة النظامية له ص ٢٠

(٢) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص ٧١

فقالوا : المسموع المدرك في وقتنا الاصوات الدالة على المعنى القديم .

قال أبو المعالي الجويني : (.. والذي يجب القطع به ان المسموع المدرك في وقتنا الاصوات فاذا سمي كلام الله تعالى مسموعا فالمعنى به كونه مفهوما معلوما .. والشاهد لذلك من القضايا الشرعية اجماع الامة على أن الرب تعالى خصص موسى وغيره من المصطفين من الانس والملائكة ، بأن أسمعهم كلامه العزيز من غير واسطة ، فلو كان السامع لقراءة القارئ مدركا لنفس كلام الله تعالى لما كان موسى صلوات الله عليه مخصصا بالتكليم وادراك كلام الله من غير تبليغ مبلّغ وانهاء مرسل .) (١)

وانما سمي السامع للالفاظ الدالة على كلام الله سامعا لكلام الله تعالى ، اما لانه عند سماع هذه العبارات يفهم كلام الله ، أو لان الالفاظ المسموعة تسمى كلام الله تسمية للدال باسم المدلول .

يقول ابن فورك : (اعلم أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت عندنا وانما العبارات عنه تارة تكون بالصوت والعبارات هي الدالة عليه وامارات تظهر للخلق ويسمعون عندها كلام الله فيفهمون المراد فيكون ما سمع موسى عليه السلام من الاصوات مما يسمع يسمى كلام الله عز وجل ويكون ذلك في نفسه غير الكلام ويحتمل أن يكون معناه ان يسمى العبارة كلام الله كما تسمى الدلالة على الشيء باسمه .) (٢)

---

(١) الارشاد للجويني ص ١٣٤

(٢) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص ١٢٩

وقالوا فى معنى سماع جبريل لكلام الله تعالى :

هو خلق ادراك فى جبريل يسمع به كلام الله تعالى القديم بلا صوت ولا حرف أوأنه قرأ حروفا دالة على المعنى القديم مكتوبة فى اللوح المحفوظ بذلك فهم كلام الله القديم ،أو أنه سمع أصواتا مقطعة مخلوقة فى جسم دالة على المعنى القديم .

يقول الرازى فى بيان ذلك : (فان قيل : كيف سمع جبريل كلام الله تعالى وكلامه ليس من الحروف والاصوات عندكم ؟

قلنا : يحتمل أن يخلق الله تعالى له سمعا لكلامه ثم أقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ، ويجوز أن يكون الله خلق فى اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص فقرأه جبريل عليه السلام فحفظه ، ويجوز ان يخلق الله أصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص فى جسم مخصوص فيتلقفه جبريل عليه السلام ويخلق له علما ضروريا بأنه هو العبارة المؤدية لمعنى ذلك الكلام القديم) (١) .

وأما معنى سماع موسى عليه السلام لكلام الله ووجه اختصاصه بأنه كليم الله فقيل : هو سماع كلام الله القديم بطريق خرق العادة ،أو أنه سمع صوتا دالا على هذا المعنى غير مكتسب ،أوعلى وجه خارق للعادة ، وبهذا الصوت فهم كلام الله القديم .

---

(١) التفسير الكبير للامام الرازى ج ٢ ص ٣٢

قال التفتازاني فى ذكر هذه الوجوه : (قلنا فيه أوجه
أحدها وهو اختيار الامام حجة الاسلام انه سمع كلامه الازلى بلاصوت ولا حرف كما ترى فى الآخرة ذاته بلا كم وكيف وهذا على مذهب من يجوز تعلق الرؤية والسماع بكل موجود حتى الذات والصفات . لكن سماع غير الصوت والحرف لا يكون الا بطريق خرق العادة .

وثانيها : أنه سمع بصوت من جميع الجهات على خلاف ما هو العادة .

وثالثها : انه سمع من جهة لكن بصوت غير مكتسب للعباد على ما هو شأن سماعنا ، وحاصله انه اكرم موسى عليه السلام فأفهمه كلامه بصوت تولى خلقه من غير كسب لأحد من خلقه ..) (١) .

ولما كان الصوت الذى سمعه موسى غير مكتسب للعباد أو على وجه خارق للعادة خص موسى باسم الكليم .

وأما على القول بأن الله خلق له سمعا فقواه حتى أدرك به كلام الله القديم من غير حرف ولا صوت فاختصاص موسى ظاهر .

والى هذا القول يذهب الامام أبو الحسن الاشعرى قال الرازى فى ذكر ذلك عنه : (قال الأشعرى : ان الله أسمعه الكلام القديم الذى ليس بحرف ولا صوت.) (٢) .

---

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٧

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٢٢ ص ١٦٤
كما هو مذهب الغزالى كما أشار اليه فى شرح المقاصد التفتازانى ونص عليه الغزالى فى الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٦٢ واليه ذهب الدسوقى فى حاشية ام البراهين ص ١١٣

فجوز الاشعرى سماع المعنى ، اذ السماع عنده يتعلق بكل موجود كما تتعلق الرؤية به ، والمعنى النفسي موجود فقاس جواز سماع المعنى النفسي على جواز رؤية ما ليس بلون ، فألزم به من خالفه من أهل السنة لاتفاقهم على جواز الرؤية ووقوعها فى الآخرة . (١)

وقال الآمدى : (وأما كون القرآن مسموعا بحاسة الأذن فقد اختلف أصحابنا فيه فأصل شيخنا انه يجوز تعلق كل ادراك بكل موجود وعلى هذا فلا يمتنع سماع كلام الله القديم بحاسة الاذن . وذهب عبدالله بن سعيد الى أن ادراك السمع لا يتعلق بغير الأصوات ، وعلى هذا فالمجمع على كونه مسموعا انما هو القرآن بمعنى القراءة على ما تقدم وهو المراد من سماع موسى لكلام الله تعالى

ومن أصحابنا من زعم أن المسموع هو المتكلم دون الكلام وهو مردود بما ندركه ضرورة من صوت المتكلم عند كلامه .) (٢) .

---

(١) انظر كتاب المسامرة فى شرح المسايرة ص ٨٠

(٢) أبكار الافكار للآمدى ج ١ ص ١/٨٧ (مخطوط)

المبحث التاسع
(المعجز من القرآن)

ولما ذهبت الاشاعرة الى أن كلام الله حقيقة هو المعنى القائم بذاته تعالى اعترض عليهم فقيل :

اذا كان كلام الله معنى قديما ليس بحرف ولا صوت ، والتحدى لا يكون بالصفة القديمة فكيف يتحداهم الله أن يأتوا بمثل كلامه . .

أجاب الاشاعرة عن ذلك بأن المعجز المتحدى به انما هو الكلام المنزل المؤلف المفصل الى السور والآيات ، وهو يسمى كلام الله حقيقة ، فليس التحدى بغير كلام وليس الاعجاز الا فى كلام الله .

أما المعنى النفسى القديم فيستحيل أن يكون متحدى به لانه قديم ،

يقول أبوبكر الباقلانى فى ذلك ردا على المعتزلى المعترض : (. . قيل له لم يتحد النبى صلى الله عليه وسلم بمثل الكلام القائم بالله سبحانه وانما تحداهم بمثل الحروف المنظومة التى هى عبارة عنه فى براعتها وفصاحتها وكثرة معانيها ، واذا كان ذلك كذلك بطل ماسألتم عنه .) (١)

ويقول الآمدى فى هذا الجواب أيضا ردا على المعتزلة :

(قولهم الاجماع منعقد على أن القرآن معجزة الرسول . قلنا : المراد به القراءة فالاجماع منعقد على أن القرآن الحقيقى الذى كلام الرسول حكاية

---

(١) كتاب التمهيد لابى بكر الباقلانى ص ١٥٢

هذه ليس بمعجزة للرسول وانما الاختلاف فيما وراءه وهو ان ذلك القرآن ما هو فنحن نقول انه المعنى القائم بالنفس والخصم يقول انه حروف وأصوات أوجدها الله تعالى وعند وجودها انعدمت وانقضت فان ما أتى به الرسول من العبارات وكذلك قراءتنا ليس هو ذلك القرآن وانما هو دليل عليه .

وهل يقال هو حكاية عنه اطلاقا فذلك مما يجوزه عبد الله بن سعيد وامتنع عنه الباقون من أصحابنا لان الحكاية مشعرة بالمماثلة وما هذا شأنه فيتوقف اطلاقه على ما ورد الشرع به وعلى هذا منعوا من اطلاق القول بأن لفظ القارئ بالقرآن مخلوق لان اللفظ منبئ عن الطرح والالقاء ولم يرد به الشرع .) (١)

---

(١) ابكار الافكار للآمدى ج ١ ص٨٧/ا (مخطوط)

المبحث العاشر

كلام الله عند الاشعرى على ما فهمه بعض المحققين

ذهب بعض محققى الاشاعرة الى أن كلام الله عند الاشعرى شامل للفظ والمعنى جميعا وأن مراد الاشعرى بقوله : كلام الله معنى انه ليس ذاتا من الذوات فمراده بالمعنى ما يقابل الذات وليس مراده مدلول اللفظ فيكون الكلام اللفظى عنده قائما بذاته تعالى ، لكن غير مرتب الاجزاء بحسب الزمان ولا متعاقب .

والمستحيل هو قيام الكلام اللفظى المرتب بحسب الزمان المتعاقب فى الوجود لانه حادث ويمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى .

قال **شارح** المواقف فى بيان ذلك : (واعلم أن للمصنف مقالة مفردة فى تحقيق كلام الله تعالى على وفق ما اشار اليه فى خطبة الكتاب ومحصولها ان لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ وأخرى على الأمر القائم بالغير . فالشيخ الاشعرى لما قال الكلام هو المعنى النفسى فهم الاصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده وهو القديم عنده وأما العبارات فانما تسمى كلاما مجازا لدلالتها على ما هو كلام حقيقى حتى صرحوا بأن الالفاظ حادثة على مذهبه أيضا لكنها ليست كلامه حقيقة .

وهذا الذى فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة كعدم اكفار من انكر كلامية مابين دفتى المصحف مع أنه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى

حقيقة وكعدم المعارضة والتحدى بكلام الله تعالى الحقيقى وكعدم كون المقروء والمحفوظ كلامه حقيقة الى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن فى الاحكام الدينية فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثانى فيكون النفسي عنـده أمرا شاملا للفظ والمعنى جميعا قائما بذات الله تعالى وهو مكتوب فى المصاحف مقروء بالالسن محفوظ فى الصدور وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ الحادثة ، وما يقال من أن الحروف والالفاظ مترتبة متعاقبة فجوابه : ان ذلك الترتيب انما هو فى التلفظ بسبب عدم مساعدة الآلة فالتلفظ حادث والادلة الدالة على الحدوث يجب حملها على حدوثه دون حدوث الملفوظ جمعا بين الأدلة .

وهذا الذى ذكرناه وان كان مخالفا لما عليه متأخروا اصحابنا الا أنه بعـد التأمل تعرف حقيقته ...) (١) .

وذكر ابن رشد فى منهاج الادلة ان أبا الحسن الاشعرى يذهب فى كتابـه "الابانه" الى أن القرآن غير مخلوق لفظه ومعناه ، وأنه كان أقرب الى مذهب الامام احمد بن حنبل فى قوله: القرآن ... غير مخلوق .

فقال : (.. لكنا وجدنا أن الاشعرى كان أقرب الى ابن حنبل ، لانه ينص صراحة على أن كلام الله غير مخلوق ، وهو يريد بذلك القرآن لفظه ومعنـاه لانه يقول : (ولا يجوز أن يقال ان شيئا من القرآن مخلوق ، لان القـرآن بكماله غير مخلوق) (٢) . كذلك نص على أن كلام الله هو القرآن المكتـوب فى

---

(١) شرح المواقف ج ٨ ص١٠٢ - ١٠٤

(٢) راجع الابانة عن أصول الديانة لابى الحسن الاشعرى ص ٣١ المطبعة المنيرية

المصاحف والمحفوظ فى الصدور والذى تتلوه الالسنة .

وقد أراد بذلك أن يقطع السبيل على هؤلاء الذين يقولون ان لفظ القرآن مخلوق ..) (١) .

ويؤكد ذلك قوله وهو يرد على الجهمية الذين يقولون القرآن مخلوق :

(وان سألونا عن قول الله عزوجل " قرآنا عربيا " قيل لهم الله عز وجل أنزلـــه وليس مخلوقا ..) (٢)

فقد نص على أن القرآن العربى غير مخلوق مخالفا ما عليه الاشاعرة فى قولهم العبارة - وهى القرآن العربى - مخلوقة . لانها حادثة ويستحيل قيـــام الحوادث بذاته تعالى .

ونقول ماذكره ابن رشد بقوله : (ومما يؤكد لنا صدق وجهة نظرنا من أن الاشعرى جزم بقدم القرآن ..) (٣) .

وقوله انه كان أقرب الى الامام احمد فى ذلك نقول : الاشعرى لم ينص فى كتابه "الابانه" على أن القرآن قديم بل قال غير مخلوق ومذهب الامام احمد تقدم حيث لم يقل بقدم القرآن وانما قال غير مخلوق .

وابن رشد ظن فى هذا المسلك أن غير مخلوق بمعنى قديم . وليس الامر كذلك . فقد قدمنا أن القرآن وهو الكلام المعين حادث غير مخلوق ولا يلزم من حدوث الافراد حدوث النوع .

---

(١) منهاج الأدلة لابن رشد ص ٦٦ الطبعة الثالثة

(٢) الابانة عن أصول الديانة ص ٣١

(٣) منهاج الادلة لابن رشد ص ٦٧

وأقول أيضا : ان ما حققه شارح المواقف وابن رشد في مذهب الاشعري وكما دل عليه قول الاشعري في المقالات وهو يذكر قول أصحاب الحديث وأهل السنة فبعد أن ذكر أن مذهبهم في القرآن انه كلام الله غير مخلوق قال : (.. وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب.) (١) .

أقول كل ذلك يخالف ما ذكرناه عن الاشعري وما فهمه عنه أكثر أصحابه من أن العبارات عن المعنى النفسي متغيرة وكلامه تعالى منزه عن البعض والتقديم والتأخير والتجديد وسائر التغيرات ، بل قال حقيقة كلامه تعالى هو المعنى النفسي القائم بذاته ، فجعل القائم بذاته تعالى هو المعنى دون اللفظ . الا ان يقال آخر ما ذهب اليه في كلام الله هو أنه غير مخلوق لفظه ومعناه ، كما أشار الى ذلك ابن حجر بقوله : (والذي استقر عليه قول الاشعرية أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور مقروء بالالسن قال تعالى : (فأجره حتى يسمع كلام الله) وقال تعالى : (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) (٢) . وفي الحديث المتفق عليه عن ابن عمر كما تقدم في الجهاد " لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو كراهية ان يناله العدو" وليس المراد بما في الصدور بل ما في المصحف واجمع السلف على أن الذي بين الدفتين كلام الله ..) (٣) .

---

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٣٥٠

(٢) سورة العنكبوت جزء من آية (٤٩)

(٣) فتح الباري ج ١٣ ص ٤٩٣ . وما ذكره ابن حجر من هذه الادلة على أن القرآن غير مخلوق لفظه ومعناه أكثرها في كتاب الابانة عن أصول الديانة لابي الحسن الاشعري

الفصـــل الرابـــع

فى : (بيان مذهب أبى منصور الماتريدى ..)

لم يخالف أبو منصور الماتريدى مذهب ابن كلاب والاشعرى علــى مافهمه أكثر الاشاعرة من مذهبه ومن تبعهما ، وهو أن الله تعالى متكلم بكلام نفسى هو صفة له قائمة به لم يزل متكلما به .

جاء فى كتاب المسامرة فى شرح المسايرة : (وبعد اتفاق أهل السنة) مـن الأشعرية والماتريدية وغيرهم (على أنه تعالى متكلم) بكلام نفسى هو صفة له قائمة به (لم يزل) تعالى (متكلما) به) (١) .

وأن كلامه تعالى معنى واحد لا يختلف ، ليس من جنس الحروف والأصـوات بل هذه الحروف والاصوات عبارات عن المعنى القائم بذاته تعالى ، فليست كلامه تعالى اذ هى حادثة مختلفة .

قال الدكتور فتح الله خليفة فى تحقيق كتاب التوحيد لابى منصور الماتريدى : (فنقرأ فى تبصرة الادلة للامام ابى معين النسفى وهو من أكبر من نصر مذهب الماتريدى : اختلف الناس فى كلام الله أقديم هو أم محدث . قال أهل الحق : ان كلام الله تعالى صفة له أزلية ليست من جنس الحروف والاصوات ، وهـــى صفة قائمة بذاته منافية للسكوت (٢) ، والآفات من الطفولية والخرس وغير ذلك

---

(١) المسامرة فى شرح المسايرة ص ٨٠ - ٨١

(٢) فى الكتاب بلفظ السكون

والله متكلم بها آمر ناه مخبر ، وهذه العبارات دالة عليها .. وفي موضع آخر يقول النسفي : ثم نشتغل بتصوير المسألة بيننا وبين الخصوم في القرآن ليتبين بذلك اندفاع أكثر اسئلتهم التي يموهون بها على الضعفة فنقول ان كلام الله تعالى صفة قائمة بذات الله تعالى ليست من جنس الحروف والأصوات، وهو صفة واحدة ، وهو أمر (بما أمر) (١) به ، نهى عما نهى عنه ، خبر عما أخبر عنه ، وهو صفة ازلية .

ثم هذه العبارات العربية أو العبرية أو السريانية (٢) عبارات عنه وهو يتأدى بها وهذه العبارات حروف وأصوات ، وهي محدثة مخلوقة في محلها دلالات على الكلام الذي هو الصفة الازلية لله تعالى لها أبعاض وأجزاء وأنصاف وأعشار وغير ذلك ، وهي نفسها مختلفة ، وكلام الله تعالى واحد ليس بمتجزيء ولا مختلف .) (٣)

ويستدل الماتريدي على اثبات صفة الكلام لله تعالى بالسمع والعقل فيقول : (الاصل ان الله عز وجل قد ثبت وصفه بالكلام بحجة السمع والعقل ، فالسمع قوله (وكلم الله موسى تكليما) ...

وقد وجد الاتفاق على أنه متكلم وأن له كلاما في الحقيقة وان اختلفت الآراء في مائيته ..

---

(١) ليست في نص الكتاب

(٢) في نص الكتاب بلفظ السورية

(٣) كتاب التوحيد لابي منصور الماتريدي تحقيق الدكتور فتح الله خليفة ص ١١ - ١٢

وأما العقل : ان كل عالم قادر لا يتكلم فعن آفة ،يكون من عجز أومنع، والله عنه متعال ،فثبت أنه متكلم .) (١)

ثم يقول الماتريدى فى اثبات أن كلامه تعالى ليس من جنس كلام البشر :

(ثم لا يخلو من أن يكون على تقدير كلام غيره فيكون فيه تشابه ،ودل قوله (ليس كمثله شئ) على نفى الشبه له فى الصفة والذات ،وأيد ذا قوله (أم خلقوا كخلقه) دل ان شبه الفعل يوجب التشابه ،مع القول أن الخلق لو اجتمع لا يأتون بمثله ،فانتفى الشبه ،اذ فيه تماثل ،... وقد ذكر كلام النمل والهدهد وتسبيح الجبال وغيرها مما لا يفهم شئ من ذلك بالحروف المعجمة ولا على المفهوم من كلام البشر . واذا ثبت ان من الكلام ما لا يبلغ تقديره وسع الخلق ولا يبلغه فهم ،فمن أحب تقدير كلام الرب بذلك فهو مغفل ...) (٢)

لكن ابا منصور الماتريدى يختلف مع أبى الحسن الاشعرى فى سماع موسى لكلام الله فانكر الماتريدى أن يكون الكلام النفسى يسمع ،اذ لا يسمع الا الصوت وقال انما سمع موسى صوتا دالا على كلامه تعالى القائم بذاته وانما خص موسى باسم الكليم لما سمع كلامه تعالى بلاواسطة الكتاب والملك فسمع صوتا خارقا للعادة .

---

(١) كتاب التوحيد لابى منصور الماتريدى ص ٥٧

(٢) كتاب التوحيد لابى منصورالماتريدى ص ٥٨

جاء في كتاب المسامرة في شرح المسايرة : (فانكر الماتريدى سماعه الكلام النفسى (وعنده) أي الماتريدى أنه (سمع موسى عليه) الصلاة والسلام صوتا دالا على كلام الله تعالى) وعند الاشعرى انه عليه الصلاة والسلام سمع الكلام النفسى قال تعالى (وكلم الله موسى تكليما) والحمل على الاسناد الحقيقى ممكن .. ولا موجب للعدول عنه وعلى هذا فاختصاص السيد موسى باسم الكليم ظاهر (و) على ماقاله الماتريدى (خص) موسى (به) أى باسم الكليم المفهوم من قول المصنف كلام (لانه) أى سماعه الصوت على وجه فيه خرق للعادة اذ هو سماع (بغير واسطة الكتاب والملك) ذكره الماتريدى بمعناه فى كتاب التأويلات ويوافقه ظاهر قوله تعالى : (نودى من شاطىء الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة ..) (١) ، (٢) ان النداء لا يكون الا بصوت .

وما ذهب اليه الماتريدى فى سماع موسى لكلام الله وان كان مخالفا لما عليه الاشعرى وبعض اتباعه لكنه يتفق مع ما ذهب اليه بعض الاشاعرة كما سبق بيانه عن التفتازانى فى الوجه الثالث من أوجه اختصاص موسى بأنه كليم الله حيث يقول : (وثالثها : انه سمع من جهة لكن بصوت غير مكتسب للعباد على ما هو شأن سماعنا وحاصله انه أكرم موسى عليه السلام فأفهمه كلامه بصوت تولى بخلقه من غير كسب لاحد من خلقه والى هذا ذهب الشيخ أبو منصور الماتريدى والأستاذ ابو اسحق الاسفرائينى قال الاستاذ اتفقوا على انه لا يمكن سماع غير الصوت الا ان منهم من بت القول بذلك ومنهم من قال لما كان المعنى القائم بالنفس معلوما بواسطة سماع الصوت كان مسموعا فالاختلاف لفظى لا معنوى . (٣)

---

(١) سورة القصص جزء من آية (٣٠)

(٢) كتاب المسامرة نى شرح المسايرة ص ٨٠ - ٨١ وانظر شرح العقائد النسفية ص ٤٩

(٣) شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٧

الفصـــل الخامـــس
في (مناقشة مذهب الاشاعرة ومن وافقهم في
معنى كلام الله تعالى)

قولهم في الاستدلال على أن كلام الله صفة له وكل ما هو صفة له فهو قديم لا ينازعهم فيه السلف وائمة الدين وانما ينازعونهم في قولهم كلام الله القائم به هو المعنى النفسي وليس من جنس الحروف والاصوات وما استدلوا به على ذلك فهذا الاستدلال مبني على أن المتكلم من قام به الكلام، لا من فعل الكلام في غيره، وقد قصدوا بهذا ابطال قول المعتزلة : المتكلم من فعل الكلام ولو في غيره، لانه اذا بطل ان يكون الله متكلما بكلام فعله في غيره وجب ان يكون كلامه تعالى صفة لازمة له تعالى لا يتعلق بقدرته ومشيئته .

يقول الجويني : (فاذا انتقض وجه الفعل فلا يبقى على السبر والتقسيم، بعد بطلان ما ذكرناه الا ما ارتضيناه من أن المتكلم من قام به الكلام .) (٢)

ونقول صحيح أن من فعل الكلام في غيره لا يكون متكلما به، ولا يكون الكلام القائم بغيره كلامه، ولكن لا يمتنع أن يكون الله سبحانه فعل الكلام بنفســـه

---

(١) الارشاد للجويني ص ١٠٩

فيكون متكلما بقدرته ومشيئته ، ويكون كلامه قائما به . فالمعتزلة أخذت من وصف المتكلم انه من فعل الكلام والاشاعرة أخذت منه من قام به الكلام ،

والحق ماذهب اليه السلف وأئمة الدين من أن المتكلم من قام به الكلام وفعله بقدرته ومشيئته . اذ لا يعقل متكلم لم يقم به كلام ولم يفعله بقدرته ومشيئته .

فان قالت المعتزلة والاشاعرة لو فعل الله كلامه فى ذاته لقامت بذاته الحوادث قيل لهم : لا يستحيل قيام الافعال الاختيارية بذاته تعالى كما تقدم الكلام فيـــه .

كذلك نقول ان الامام الرازى وهومن الاشاعرة يرى أن اثبات كلامه صفة له عن طريق ابطال ان يكون الله متكلما بكلام خلقه فى غـيره لا يتم ، وان منازعتهـــم للمعتزلة فى كونه تعالى متكلما بكلام خلقه فى غيره ضعيفة يقول فى ذلك :

(وقد نازعهم اصحابنا فيه وقالوا انه يمتنع أن يكون متكلما بكلام قائم بالغير كما أنه يمتنع ان يكون متحركا بحركة قائمة بالغير وساكنا بسكون قائم بالغير - وعندى ان هذه المنازعة ضعيفة لان هذه المنازعة اما أن تكون فى المعنى أو فى اللفظ .

أما المعنى فهنا شيئان :

أحدهما : انه تعالى قادر على خلق هذه الاصوات المقطعة بالتقطيعات المخصوصة فى جسم جمادى أو حيوانى وهذا أمر لا يمكن النزاع فيه لان خلق هذه الاصوات والحروف فى الجسم الجمادى أوالحيوانى ممكن والله تعالـــى قادر على كل الممكنات .

والثانى : أن الله تعالى جعل تلك الاصوات المخصوصة معرفة لكونه تعالى مريدا لبعض الاشياء وكارها لبعضها وهذا ايضا غير ممتنع واذا سلم هذان المقامان من الطعن فقد سلمنا لهم صحة كونه تعالى متكلما بالمعنى الذى أرادوه .

وأما المنازعة فى اللفظ فهو ان من فعل هذه الاصوات المخصوصة وهى الحروف المركبة فى جسم لغرض ان يعرف غيره مايريده أو يكرهه فهل يسمى متكلما فى اللغة أم لا ومعلوم أن هذا البحث بحث لغوى محض وليس للمعنى به تعلق البته فثبت بماذكرنا أن كونه تعالى متكلما بالمعنى الذى يقوله المعتزلة مما نقول به ونعترف بحدوثه ولا ننكره بوجه من الوجوه انما الخلاف بيننا وبينهم فى انا نثبت أمرا آخر وراء ذلك وهم ينكرونه .) (١)

فالاشاعرة ان سلموا ان يكون الله متكلما بخلق كلام فى غيره دال على مراده كما تقوله المعتزلة لم يتم لهم قولهم : المتكلم من قام به الكلام ، وان لم يسلموا ذلك ، لاستحالة أن يكون المتكلم متكلما بكلام يقوم بغيره ، لان المتحرك من قامت به الحركة لا من أوجدها فى غيره نقول :
لا يمتنع أن يكون الله فعل الكلام فى نفسه لا فى غيره كما تقوله المعتزلة - ولا يلزم من ذلك ان يكون الله حادثا كما ظن المعتزلة والاشاعرة وغيرهم ، فحدوث افراد الكلام لا يلزم منه حدوث النوع .

وأما قولهم فى الاستدلال على أن المتكلم من قام به الكلام : دليلنا ما مر انه ثبت بالاجماع وتواتر النقل عن الانبياء انه متكلم ولا معنى له سوى انه متصف بالكلام .

---

(١) الاربعين فى اصول الدين للرازى ص ١٧٧

فيقال لهم فيه : سلمنا صحة الاحتجاج بالاجماع مطلقا وان الاجماع دل على أن الله متكلم ولكن وان كان المتكلم من قام به الكلام الا انه لا دليل على أن الله متكلم بكلام يقوم به لا يتعلق بقدرته ومشيئته ، قال الرازى : (اعلم ان الامة متفقة على اطلاق لفظ المتكلم على الله تعالى الا ان هذا الاتفاق ليس الا في اللفظ وأما المعنى فغير متفق عليه .) (١) .

فقولهم ولا معنى للمتكلم سوى انه متصف بالكلام غير مسلم من المعتزلة فقد ذهبوا الى أن المتكلم من فعل الكلام ولو في غيره ، والذى عليه السلف وائمة الدين أن المتكلم من فعل الكلام وقام به ، لا بغيره كما تقوله المعتزلة .

وأما استدلالهم على ثبوت الكلام النفسي بقولهم ان من يورد صيغة امر أو نهي أو غيرها يجد في نفسه معانى ثم يعبر عنها بالالفاظ ، وانها غير العلم والارادة وانها تسمى كلاما بدليل قول الاخطل :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما .. جعل اللسان على الفؤاد دليلا

الى آخر ما قالوا في ذلك :-

فنقول لهم أولا : ان حديث النفس لا يسمى كلاما كما دل عليه حديث "ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به انفسها ما لم تتكلم به أو تعمله" (٢) فلو كان حديث النفس كلاما لكانت الامة متكلمة بما حدثت به أنفسها ، فلا يكون هناك معنى لقوله ما لم تتكلم به فالرسول فرق بين حديث النفس وبين الكلام وأخبر أن حديث النفس لا يؤاخذ به حتى يتكلم به والمراد حتى ينطق به اللسان ،

---

(١) الاربعين فى اصول الدين ص ١٧٦

(٢) صحيح البخارى جزء (٧) ص ٥٩

فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة لأن الشارع انما خاطبنا بلغة العرب ، على أن حديث النفس لو كان كلاما لبطلت الصلاة بما يكون منه من كلام الناس ، وقد اتفق العلماء على أن ذلك لا يبطلها وانما يبطلها المتكلم به ، كذلك اتفقوا على أنه من حلف لا يتكلم لم يحنث بدون النطق ، وان حدثت نفسه كما جاء ذلك في ملحق شرح الكوكب المنير (١) .

ثانيا : سلمنا ان المعنى النفسي يسمى كلاما في الشاهد لكن لا يجوز اثباته لله تعالى ، اذ المعنى النفسي ، او حديث النفس كما يسميه بعضهم نقص في الشاهد فلا يجوز اثباته للغائب سبحانه ، اذ هو ترديد الفكر (٢) ويسميه ابوهاشم الخواطر (٣) .

كذلك الامدى يرى أن كلامه تعالى لا يجوز ان يقال انه حديث النفس فيقول : (وليس ذلك ايضا هو ما سموه احاديث النفس التي هي تقديرات العبارات اللسانية وهو تحدث النفس باللغات المختلفة ، كالعربية والعجمية ونحوها فان هذه الامور لا يتصور وجودها مع عدم العبارات اللسانية كما في حق الابكم ،) (٤) .

---

(١) انظر ملحق شرح الكوكب المنير ص ٢٤

(٢) قال الجويني في الارشاد ص ١٠٥ (ذهب اهل الحق الى اثبات الكلام القائم بالنفس وهو الفكر الذي يدور في الخلد ..) وذكر الشهرستاني في نهاية الاقدام (ص٣٠٤) ان ترديد الفكر من تصريف الخواطر وعمل الخيال والوهم .

(٣) انظر شرح المقاصد ج ٢ص٧٥

(٤) غاية المرام في علم الكلام ص ١٠٠

ثالثا : اذا كان المعنى النفسي هو المدلول الوضعي للالفاظ فلا نزاع أنه حينئذ أنواع مختلفة أكثرها معان حادثة فيلزم قيام الحوادث بذاته تعالى وهم لا يجوزونه ، نعم قد فروا من هذا بقولهم التعبير باللفظي عن النفس انما هو تعبير بالأثر عن المؤثر وسيأتي مناقشتهم في ذلك .

رابعا : المقصود من اثبات الكلام النفسي ومغايرته للعلم ولارادته رد قول المعتزلة أن الكلام لا يكون الا حروفا وأصواتا ، اذ لو لم يثبت الكلام النفسي لكانوا بين أمرين :

اما تأويل ماجاء بثبوت الكلام له تعالى بالعلم بمعاني الالفاظ أو قدرة التعبير عنها واظهارها ،

واما أن يقولوا بقول المعتزلة واذا كان ذلك كذلك وهو مقصود الاشاعرة فيقال لهم :

الذي دفعكم الى ذلك هو نفيكم أن يكون كلامه تعالى القائم به من جنس الحروف والاصوات فقد قلتم : يستحيل أن يكون كلامه حروفا وأصواتا ، واستدللتم على ذلك بأن كلامه لو كان حروفا وأصواتا لكان مؤلفا من أجزاء مترتبة متعاقبة في الوجود ، فيكون حادثا ، ويستحيل قيام الحوادث بذاته تعالى ، .

ونقول لكم : نحن نسلم أن المؤلف من حروف متعاقبة حادث ، ولكن لا نسلم امتناع قيام الحوادث به تعالى كما سبق بيانه .

وقد قدمنا الادلة من النص والعقل على أن كلامه حرف وصوت يتعلق بقدرته

ومشيئته ، وبينا شبهة نفاة الحرف والصوت عن كلامه تعالى وأجبنا عنها في مذهب السلف بما يغني عن اعادتها هنا .

والحاصل أن الاشاعرة ليس لهم دليل على أن كلام الله معنى قائم بذاته الا استحالة قيام الحوادث بذاته تعالى ، وما اثبتوه من المعنى النفسي وأنه يسمى كلاما .

أما الاول فسبق الكلام فيه وبينا انه لم يسلم للنفاة دليل عقلي على النفي وليس معهم دليل سمعي صحيح ، وبينا تناقضهم فيها ، وأن الاثبات لازم لهم .

وأما الثاني فسبق الكلام على ما اثبتوه من المعنى النفسي بقولهم من يورد صيغة أمر ونهي يجد في نفسه معاني ثم يعبر عنها بالالفاظ .

وأما ما استدلوا به على أن المعنى القائم بالنفس يسمى كلاما بقولهم : شاع اطلاق الكلام على المعنى القائم بالنفس ومن ذلك قول عمر : زورت في نفسي مقالة ، وقوله تعالى (ويقولون في أنفسهم) وقوله تعالى (اذا جاءك المنافقون) الآية وقول الاخطل :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فجواب ذلك :

أولا : أن المشهور في مسمى الكلام عند الاطلاق انه عام يشمل اللفظ والمعنى كما ذهب اليه الجمهور وهوما عليه السلف ومن تبعهم .

يقول ابن تيمية : (قد تنازع الناس في مسمى الكلام في الاصل فقيل : هو اسم

للفظ الدال على المعنى ، وقيل : المعنى المدلول عليه باللفظ ، وقيل : لكل منهما بطريق الاشتراك اللفظي ، وقيل : بل هو اسم عام لهما جميعا يتناولهما عند الاطلاق ، وان كان مع التقييد يراد به هذا تارة وهذا تارة. هذا قول السلف وائمة الفقهاء وان كان هذا القول لا يعرف في كثير من الكتب .) (١)

وقال أيضا : (.. وقال الجمهور من جميع الطوائف ان الكلام اسم للفظ والمعنى جميعا كما أن الانسان اسم للروح والجسم جميعا وأنه اذا أطلق على أحدهما فبقرينة .) (٢) .

ثانيا : ان هذه الادلة لا تدل على أن هناك معنى قائما بالنفس يسمى كلاما لجواز أن يكون ما قام بالنفس وسمى كلاما عبارة عن الالفاظ المخيلة المرتبة في النفس .

ثالثا : ان هذه الادلة لا تدل على أن كلام الله كذلك . فكلام الله تعالى ورد في الكتاب والسنة مطلقا لم يقيد بالمعنى النفسي ولا باللفظي ، واذا كان كذلك فيشمل كلامه تعالى اللفظ والمعنى ، اذ الكلام عند الاطلاق يتناولهما معا ، واخراج الحروف عن مسمى الكلام عند الاطلاق مما يعلم فساده بالاضطرار من جميع اللغات .

فقول عمر ، ورد مقيدا بكونه في نفسه فهو مجاز لانه دل على المعنى النفسي بالقرينة .

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٦٧

(٢) المرجع السابق ج ١٢ ص ٣٥

وأيضا (زوّر) بمعنى صور مايريد النطق به (١) وحسنه (٢) .
وقوله تعالى : (ويقولون فى أنفسهم) قيد قولهم بكونه فى أنفسهم فهو مجاز لوجود القرينة وهى أنفسهم .

جاء فى ملحق شرح الكوكب المنير عن الطوفى الاشارة الى ذلك فى قولـــه : (وأما قوله تعالى : " ويقولون فى أنفسهم " فمجاز ، لانه انما دل على المعنى النفسى بالقرينة وهى قولهم فى أنفسهم ، ولو أطلق لما فهم الا العبارة . . وكذلك كل ما جاء فى هذا الباب انما يفيد مع القرينة .

ومنه قول عمر رضى الله عنه " زورت فى نفسى كلاما " انما أفاد بقرينة قوله " فى نفسى " . .) (٣) .

وأما استدلالهم بقوله تعالى " اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون " حيث أن الله تعالى أكذبهم فى شهادتهم فى أنفسهم دون نطق لسانهم .

فأجاب عن وجه استدلالهم بهذه الآية ابن قاضى الجبل (٤) كما جاء فى

---

(١) انظر ملحق شرح الكوكب المنير ص ٢٤ فيما ذكره عن ابن قاضى الجبل

(٢) جاء فى القاموس المحيط ج ٢ ص ٤٣ (زوّر : زين الكذب ، والشـــىء حسنه وقومه)

(٣) ملحق شرح الكوكب المنير ص ١٧

(٤) ابن قاضى الجبل : هو احمد بن الحسين بن عبد الله بن قدامه جمال الاسلام ، شرف الدين ابن قاضى الجبل شيخ الحنابلة فى عصره اصله من القدس ومولده ووفاته فى دمشق . . تولى بها القضاء سنة ٧٦٧ هـ . . ولد سنة ٦٩٣ هـ - ١٢٩٤ م ، وتوفى سنة ٧٧١ هـ - ١٣٧٠ م) انظر الاعلام للزركلى ج ١ ص ١٠٧

ملحق شرح الكوكب المنير فقال : (.. فلان الشهادة هى الاخبار عن الشيء مع اعتقاده ، فلما لم يكونوا معتقدين ذلك أكذبهم الله تعالى) (١)

أما استدلالهم بقول الاخطل فجوابه من وجوه :

الاول : ان هذا البيت موضوع على الاخطل وليس فى نسخ ديوانه . (٢)

الثاني : ان هذا البيت روى بلفظ ان البيان لفى الفؤاد ... (٣)

الثالث : سلمنا انه من شعره لكن لا يصح الاستدلال به على معنى كلام الله تعالى (٤) ، لان الاخطل نصراني من بني تغلب كان فى زمان بنى امية . (٥)

---

(١) المرجع السابق ص ٤٢

(٢) انظر المرجع السابق ص ٤٢ وجاء فى المصدر ص ٢٨ عن الموفق ابن قدامه قوله : (وقد سمعت شيخنا أبا محمد بن الخشاب امام اهل العربية فى زمانه يقول : فتشت دواوين الاخطل العتيقة فلم أجد هذا البيت فيها .) وانا كذلك فتشت شعر الاخطل صنعة السكرى تحقيق فخرالدين قباوة فلم أجده .

(٣) ذكر مؤلف ملحق شرح الكوكب فى ص ٤٢ عن ابن قاضى الجبل أن البيت لابن ضمضام ولفظه إن البيان لفى الفؤاد .

(٤) انظر هذه الوجوه الثلاثة فى ملحق شرح الكوكب المنير ص ٢٨ عن الموفق ابن قدامه .

(٥) قال الزركلى فى الاعلام ج ٥ ص ٣١٨ فى ترجمة الاخطل : (غياث ابن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمر ، من بنى تغلب ، أبومالك .. ، اشتهر فى عصر بنى امية بالشام وأكثر من مدح ملوكهم ... نشا على المسيحية فى اطراف الحيرة بالعراق ، واتصل بالامويين فكان شاعرهم .. ينظم القصيدة ويسقط ثلثيها ثم يظهر مختارها ،

والنصارى غلطوا فى معنى كلام الله تعالى فجعلوا عيسى نفس كلمة الله وقالوا اتحد اللاهوت بالناسوت .

قال الامام ابن القيم فى قصيدته النونية :

ودليلهم فى ذلك بيت قاله	فيما يقال الاخطل النصرانى
يا قوم قد غلط النصارى قبل فى	معنى الكلام وما اهتدوا لبيان
ولاجل ذا جعلوا المسيح الههم	اذ قيل كلمة خالق رحمن
ولاجل ذا جعلوه ناسوتا ولا	هوتا قديما بعد متحدان

وقال الدكتور محمد خليل الهراس رحمه الله فى شرح هذه الابيات :

(وقالوا : ان اللاهوت يعنون الكلمة التى هى من الاله اتحد بالناسوت أى بجسد عيسى عليه السلام . فعيسى عندهم فيه جزء الهى قديم ، وهو الكلمة وجزء حادث مخلوق وهو الجسد ولكنهما اتحدا وصارا شيئا واحدا يسمى المسيح ...) (١)

هذا وقولهم بأن كلام الله معنى قائم بذاته ليس حروفا وأصواتا يرد عليه لوازم كثيرة فاسدة منها :

أ - أن يكون القرآن المنزل مخلوقا وقد قالوا بذلك ، وان كانوا لا يقولون القرآن كلام الله مخلوق لئلا ينصرف الوهم الى القرآن الذى هو كلامه

= وكانت اقامته طورا فى دمشق مقر الخلفاء من بنى امية وحينا فى الجزيرة حيث يقيم بنو تغلب قومه .) وأرخ سنة مولده ووفاته من (١٩ - ٩٠ هـ / ٦٤٠ - ٧٠٨م) .

(١) شرح القصيدة النونية لابن القيم شرح الهراس ج ١ ص ١٠١

تعالى القائم به وقد جعلوا القرآن المؤلف من السور والآيات دالا على كلامه القديم ففرقوا بين القرآن كتاب الله وبين القرآن كلامه تعالى .

قال ابن تيمية : (والتزم هؤلاء ان حروف القرآن مخلوقة ، وان لم يكن عندهم الذى هو كلام الله مخلوقا ، وفرقوا بين كتاب الله وكلامه . فقالوا : كتاب الله هو الحروف وهو مخلوق ، وكلام الله هو معناها غير مخلوق .) (١)

مع أن الله تعالى سمى مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال : (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فجعل اللفظ المسموع من مبلغ كلام الله تعالى كلامه حقيقة لا دالا على كلامه والاصل فى الاطلاق الحقيقة . وقال تعالى : (حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) (٢) . وقال تعالى (تلك آيات القرآن وكتاب مبين) (٣) . وقال : (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) (٤) الآية .

قال ابن تيمية بعد هذه الآية : (فبين أن الذى سمعوه هو القرآن وهو الكتاب . . لكن لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام ، وقد يراد به ما يكتب فيه كقوله " انه لقرآن كريم " (٥) الآية . وقال (ونخرج له يوم القيامة كتابا) (٦) الآية .) (٧)

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٣٥

(٢) سورة فصلت آية ١ - ٣

(٣) سورة النمل آية (١)

(٤) سورة الاحقاف جزء من آية ٢٩

(٥) سورة الواقعة آية (٧٧)

(٦) سورة الاسراء جزء من آية (١٣)

(٧) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٩٤

واذا كان القرآن اسما للفظ والمعنى لزم من القول بخلقه أن يكون المعنى مخلوقا . وأما ما ذكروه من أن القرآن الحقيقي هوالمعنى القائم بذاته تعالى وأنه غيرالمعاني القرآنية المعبر عنها بالالفاظ فلا يلزم من القول بخلق القرآن ان يكون كلامه الذي هو صفته حادثا فسيأتي الرد عليه عند الجواب عن قولهم : إن التعبير باللفظ عن المعنى النفسي من قبيل التعبير بالأثر عن المؤثر .

ب - ومن هذه اللوازم الفاسدة :

أن لا يكون كلام الله مسموعا لما علم بالضرورة أن المعنى المجرد لا يسمع لا حقيقة ولا مجازا .

مع أنه جاء في القرآن أن الله كلم من شاء من رسله واسمع من شاء كلامه .

قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) (١) وسمى من كلم من رسله فقال : (وكلم الله موسى تكليما) . وقال : (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا) والنداء هو الصوت المسموع .

قال ابن تيمية بعد سوق الآيات الدالة على تكليم الله لموسى . (.. الآيات دليل على تكليم موسى والمعنى المجرد لا يسمع لا حقيقة ولا مجازا) . (٢) وقال أيضا : (وموسى سمع كلام الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض ، فسماع موسى سماع مطلق ، وسماع الناس سماع مقيد بواسطة كما قال تعالى : (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) . (٣)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٣

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٩٧

(٣) المصدر السابق ج ٧ ص ١٠٠

ولو كان كلام الله معنى قائما بذاته ليس حرفا ولا صوتا ، لما كان لذكر هذه الوجوه فائدة . ولكان الوحى الى غير موسى من النبيين أفضل من الوحى الى موسى .

جـ - ومنها أن يكون الساكت متكلما :

وفى هذا مخالفة لاهل اللغة اذ قالوا الساكت غير متكلم ، وان جاز أنه يقوم به ذلك المعنى . (١)

د - ومنها انه لا يجوز أن يقال : ان الله تعالى سكت عن شىء سواء قيل : سكوت مطلق او سكوت عن شىء معين .

قال ابن تيمية : (ولا يجوز عندهم أن يقال ان الله سكت عن شىء كما جاءت به الآثار بل يتأولونه على عدم خلق الادراك ..) (٢)

ومن هذه الآثار الدالة على أن الله سكت عن شىء معين ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : (الحلال ما أحله الله فى كتابه والحرام ما حرمه الله فى كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه) (٣) .

قال الشارح ابن العربى المالكى (.. ومعنى هذا الحديث ثابت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله أمركم بأشياء فامتثلوها ونهاكم

---

(١) انظر ملحق شرح الكوكب المنير ص ٢١

(٢) شرح العقيدة الاصفهانية ص ٣٥

(٣) صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ج ٧ ص ٢٢٩ (الطبعة الاولى سنة ١٣٥٠ هـ) قال الترمذى فى هذا الحديث (وهذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه) المرجع السابق ج ٧/ ص ٢٢٩

عن أشياء فاجتنبوها وسكت لكم عن اشياء رحمة منه فلاتسألوا عنها) (١) .

وذكر ابن تيمية عن ابى نصر السجزى انه قال : (ومنع كثير من أهل العلم اطلاق السكوت عليه ومن أهل الاثر من جوز اطلاق السكوت عليه لوروده فى الحديث) (٢) .

واما استدلالهم على مغايرة المعنى النفسى للعلم والارادة والالفاظ الدالة عليه فنقول : اما استدلالهم على مغايرة المعنى النفسى الخبرى للعلم بقولهم بان الانسان قد يخبر عما لا يعلمه بل يعلم خلافه ، فقد اعترض عليه بانه انما يدل على مغايرته العلم اليقينى لا للعلم المطلق الشامل للتصور والتصديق لان كل من يخبر لابد أن تكون صورة ما أخبر به حاصلة فى ذهنه قبل الاخبار بالضرورة ، والمخبر اذا كان عالما بخلاف ما اخبر به لا يمكن ان يكون له تصديق من التصديقات عما أخبر به وان كان متصورا للمخبر به .

ولو سلمنا أن الدليل المذكور ينتج مغايرته للعلم مطلقا ، فهذا الدليل لا يمكن اجراؤه فى حق الله سبحانه ، اذ لا يقال : انه تعالى أخبر عما لا يعلمه ، أو يعلم خلافه ، أو يشك فيه ، لان ذلك يستلزم الجهل والكذب فى خبره تعالى وكلاهما محال على الله تعالى ، وأيضا ان دل على مغايرته للعلم فى الشاهد فلايدل على ذلك فى الغائب ، الا بقياس الغائب على الشاهد ، وهذا لا يفيد فى المطالب اليقينية ، وبهذا لا يقال : ان هذا الدليل لالزام المعتزلة حيث انهم يجوزون قياس الغائب على الشاهد .

---

(١) صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى جـ ٧ ص ٢٢٩

(٢) الموافقة على منهاج السنة ج ٢ ص ٥٤ - ٥٥

وما ذكره الرازى من أن حقيقة الخبر لا تختلف شاهدا ولا غائبا غير مسلم .

يقول السيالكوتى : (وانت خبير بأن عدم الاختلاف غير مسلم) (١) .

فان قالوا : المقصود مجرد تصوير مغايرة الكلام النفسى للعلم أما أثباته لله فمطلب آخر .

قيل : الذى دل عليه الدليل هو ثبوت الكلام لله تعالى فلم لا يجوز أن يكون ذلك هو العلم ، فلا بد من اثبات مغايرته للعلم وامكانه فى ذاته ، ووجوب ان يكون كلامه نفسيا حتى يحمل الدليل بثبوت الكلام على ظاهره ولا يؤول . (٢)

وقال السيالكوتى : (وفيه أنه لا يندفع الاعتراض لان التصوير المذكور فى الشاهد وما نقل عن الانبياء عليهم السلام يفيد ثبوته للواجب ولا يفيد ماهيته ومغايرته لباقى الصفات .) (٣) .

وأما استدلالهم على مغايرة المعنى النفسى الذى هو الأمر للارادة بما سبق ذكره عنهم فقد قيل فيه :

ان كان الأمر هو الحالة الذهنية أعنى الاقتضاء الباطنى فان من أمر عبده اظهارا لمخالفته وعدم امتثاله عند من يلومه على ضربه ليس عنده اقتضاء باطنى للفعل بل هو مظهر للطلب واذا لم يكن هناك اقتضاء باطنى فكيف يقال قد

---

(١) انظر حاشية شرح المواقف ج ٨ ص ٩٤ . وانظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج ٢ ص ٢١٢ - ٢١٣ وما ذكره عن الرازى من أن حقيقة الخبر لا تختلف شاهدا ولا غائبا .

(٢) انظر حاشية عبد الحكيم على العقائد النسفية ص ٢٠٧ وحاشية السيالكوتى على شرح المواقف ج ٨ ص ٩٤ وحاشية الكستلى على شرح العقائد النسفية ص ٨٧ (٣) حاشية السيالكوتى على شرح المواقف ج ٨ ص ٩٤

يوجد الامر بدون الارادة .

يقول ابن تيمية : (والمنازع يقول : هذا اظهار للأمر والخبر والا فهو في نفس الأمر لم يدل الخبر على معنى في النفس ولهذا يقول الله عن الكاذبين انهم يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم (١) فهم ينازعون في أن الكاذب قام بنفسه حكم أو دل لفظه على معنى في نفسه بل اظهر الدلالة على معنى في نفسه كذبا ..) (٢) .

وما استشهد به الرازي وغيره على مغايرة المعنى النفسي للارادة بأمر أبي جهل بالايمان مع عدم ارادته منه اذ لو أراده لوقع .

نقول فيه : ما مرادكم بالارادة التي هي غير الأمر فان قلتم هي الارادة الشرعية فمعلوم ان الله اذا أمر بشيء فقد أحبه فلا يوجد أمره تعالى بدون ارادته الشرعية .

وان أردتم الارادة الكونية قلنا : نعم قد يوجد الأمر بالشيء شرعا بدون أن يريد الله ذلك الشيء ارادة كونية .

على أن ما استدل به على مغايرة المعنى النفسي المدلول عليه بالعبارات للعلم والارادة لو تم فانما يستلزم مغايرة هذا المعنى للعلم القائم بالمتكلم وارادة المأمور به .

أما لو قالت المعتزلة : المعنى النفسي ارادة فعل يصير سببا لاعتقاد

---

(١) قال تعالى : (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) سورة آل عمران آخر آية (١٦٧)

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ص ٢١٤

المخاطب علم المتكلم بما أخبر به أو ارادة المتكلم لما أمر به فليس يتجه على هذا القول أن الرجل قد يخبر بما لا يعلم أو يأمر بما لا يريد وحينئذ لا يثبت معنى نفسي يدل عليه بالعبارات مغاير للارادة كما تدعيه الاشاعرة (١)

وأما ما استدلوا به على مغايرة المعنى النفسي للالفاظ الدالة عليه ، فاعترض على الدليل الاول من وجهين :

الاول : ان المعنى القائم بالنفس قد يتفاوت فيكون طلب أقوى من طلب .

الثاني : هب أن المدلول متحد والدال مختلف لكن لم لا يجوز أن يكون وجود المدلول مشروطا بالدليل فهو وان غايره لكن لا يوجد الا بوجوده . فمثلا كون الانسان مخبرا لغيره لابد فيه من أمر ظاهر يدل على ما في باطنه من المعنى ، وذلك الأمر الظاهر وان اختلف لكن لا يقتضي ذلك وجود المدلول بدون الدليل ، كالامور المتضايفة ، كالابوة والبنوة . (٢)

فوجود الدليل مستلزم وجود المدلول وذلك يدل على حدوث المدلول .

وقول الرازي في الدليل الثاني على مغايرة المعنى النفسي للالفاظ ، قوله ان اللفظ دليل على المعنى والدليل مغاير للمدلول باجماع العقلاء .

قال فيه ابن قاضي الجبل : (هب ان الامر كذلك لكن لم يجمعوا على أنه يوجد المدلول بدون دليله) . (٣)

وقول الرازي في الدليل الثالث : ان جميع العقلاء يعلمون بالضرورة أن قول القائل افعل لا يكون طلبا وأمرا الا عند اصطلاح الناس على هذا الوضع

---

(١) انظر شرح المواقف ج ٨ ص ٩٥
وانظر في ذلك حاشية الكستلي على شرح العقائد النسفية ص ٨٨
(٢) انظر هذين الوجهين في ملحق شرح الكوكب المنير ص ٢٢
(٣) ملحق شرح الكوكب المنير ص ٢٣

فاما كون ذلك المعنى القائم بالنفس طلبا فانه امر ذاتي لا يحتاج فيه الى الوضع او الاصطلاح ..

قال فيه ابن قاضي الجبل : (قيل : ما ذكرت ممنوع فان أكثر الناس لا يجعلون اللغات اصطلاحية ، بل اما توقيفية بالهام أو غير الهام ، والنزاع في ذلك مشهور ولو سلم ، فلم قلت بامكان وجوده بدون اللفظ .) (١)

وقوله في الدليل الرابع : أن الواضعين لو قالوا حقيقة الطلب يمكن ان تقلب خبرا ... لكان ذلك محالا .

قال فيه ابن قاضي الجبل : (... انتم ادعيتم أن حقيقة الطلب وحقيقة الخبر شيء واحد ، بل ادعى الرازي ان حقيقة الطلب داخله في حقيقة الخبر ...) (٢) .

وأما قولهم ان كلام الله تعالى واحد واستدلالهم على ذلك بان الاجماع انعقد على نفي كلام ثان قديم .

فنقول فيه :

أولا : لا نزاع عند مثبتي الصفات ان الكلام صفة لله تعالى ، وانه تعالى ليس له صفتان أو أكثر كل واحدة منهما تسمى صفة الكلام لكن لا يمنع كون نوع الكلام قديما ان يكون افراده متعددة فيتكلم سبحانه وتعالى بقدرته ومشيئته شيئا فشيئا كما بيناه بالدليل السمعي والعقلي .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣

(٢) ملحق شرح الكوكب المنير ص ٢٣

ثانيا : فرق بين الاجماع على عدم تعدد صفة الكلام وبين الاجماع على أن كلامه معنى واحد لا تكثر فيه بحسب الذات وانما التكثر والانقسام بحسب التعلق فان اردتم أن الاجماع قائم على أن كلامه واحد بحسب الذات ينقسم بحسب التعلق فلا نسلم ان الاجماع قائم على ذلك .

وأما قولهم : بان كلامه تعالى معنى واحد وانما اختلفت العبارات عنه بسبب التعلقات الخارجية فقد دفعهم الى ذلك ما لزمهم على القول بان الكلام النفسي مدلول الكلام اللفظي بالوضع ، من تعدده وتغيره ، وان اكثر هذه المعاني حادثة فيلزم قيام الحوادث بذاته تعالى فقالوا : الكلام النفسي معنى واحد والتعبير باللفظ عن المعنى النفسي هو التعبير بالاثر عن المؤثر ، فان الصفة الازلية لما تعلقت بمتعلقاتها حصل منها معان مخصوصة عبر عنها بالالفاظ ، فالكلام وان كان واحدا الا انه باعتبار تعلقه بشيء على وجه مخصوص يكون خبرا وباعتبار تعلقه بشيء آخر على وجه آخر يكون أمرا وكذا الحال في البواقي . . . فاستشكل قولهم هذا ، وهو القول باتحاد الكلام وعود الاختلاف الى التعلقات والمتعلقات .

يقول في ذلك السيالكوتي في حاشية شرح المواقف : (" قوله تنبيه كلامه واحد الخ . . " فيه بحث لان الكلام اذا كان امرا واحدا وكان اختلاف العبارات عنها بسبب التعلقات الخارجية فلم لا يجوز أن يكون العلم والقدرة وسائر الصفات راجعة الى معنى واحد فيكون اختلاف التعبيرات عنه بسبب التعلقات لا بسبب اختلافه في ذاته فذلك بان يسمى ارادة عند تعلقه بالتخصيص وقدرة عند تعلقه بالايجاد وهكذا سائر الصفات . وان جاز ذلك فلم لا يجوز

أن يعود ذلك كله الى نفس الذات من غير احتياج الى الصفات . أجـــاب الاصحاب بان القدرة معنى من شأنه يتأتى الايجاد به ، والارادة معنـى من شأنه تخصيص الحادث بحالة دون حالة وعند اختلاف التأثيرات لابد من الاختلاف فى نفس الموثر وهذا بخلاف الكلام فان تعلقاته لا توجب أثرا فضلا عن كونه مختلفا ، وفيه نظر اذ امتناع صدور الآثار عن الموثر الواحد اصـل الفلاسفة المتكلمين ولو سلم فهو موجب للاختلاف فى نفس القدرة لان القدرة موثرة فى الوجود والوجود عند الشيخ الاشعرى ومتابعيه فى ذلك نفس الذات ... ولما كانت الذوات مختلفة لزم أن يكون تأثير القدرة فى آثار مختلفـة فيلزم ان تكون مختلفة وليس كذلك . وايضا ما ذكروه وان تمشى لهم فى القدرة والارادة لم يتمش فى باقى الصفات كالعلم والحياة والسمع والبصر لعدم كونهـا موثرة فى آثارها .

قال الامدى فى ابكار الافكار ، والحق ان ما ورد من الاشكال على القول باتحاد الكلام وعود الاختلاف الى التعلقات والمتعلقات مشكل وعسى ان يكون عند غيرى حله ولعسر جوابه ذهب بعض اصحابنا الى القول بان كلام الله تعالى القائم بذاته خمس صفات مختلفة .) (١)

وقال الشهرستانى : (قالت الاشعرية : حكى عن بعض متقدمى اصحابنا انه اثبت لله خمس كلمات هى خمس صفات الخبر والاستخبار والامر والنهـــى

---

(١) حاشية السيالكوتى على شرح المواقف ج ٨ ص ٩٩ . وقد ذكر هذا النص الامدى فى ابكار الافكار ج ١ ص ٩٨/ ب - ٩٩/أ وتصرف فيه السيالكوتى تصرفا قليلا .

والنداء فان سلكنا هذا المسلك اندفع السؤال وارتفع الاشكال) . (١)

ويقول ابن تيمية في الرد على من قال كلامه تعالى معنى واحد :

(.. وقال جمهور العقلاء نحن اذا عربنا التوراة والانجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن ، بل معاني هذا ليست معاني هذا .. وكذلك معنى " قل هو الله أحد " ليس هو معنى " تبت يدا أبي لهب " ولا معنى آية الكرسي (٢) معنى آية الدين (٣) ".

وقالوا : اذا جوزتم ان تكون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا فجوزوا ان يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة فاعترف ائمة هذا القول بأن هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلي .) (٤)

ثم انه اذا كان التعبير باللفظ عن النفسي هو التعبير بالاثر عن المؤثر فالاثر يدل على نفس المؤثر لا على غيره وحينئذ يلزمهم أن يكون المعنى النفسي هو نفس المدلول اللفظي ، وهم فروا من هذا وقالوا المعنى النفسي غير مدلولات الالفاظ الوضعية ، لانها حادثة متغيرة وقيام الحوادث بذاته تعالى مستحيل .

وأما ما ذهب اليه الرازي من أن الاقسام ترجع الى الخبر فقد ضعفه سعد الدين التفتازاني بقوله : (وقال الامام الرازي هو في الازل خبر ومرجع البواقي اليه ... وضعفه ظاهر ، لان ذلك لازم الامر والنهي لا حقيقتهما .) (٥)

وقد سبق التعرض لهذا .

---

(١) نهاية الاقدام ص ٢٩١

(٢) سورة البقرة آية (٢٥٥)

(٣) سورة البقرة آية (٢٨٢)

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٩٢

(٥) شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٨ وانظر شرح العقائد النسفية ص ٩٠

وأما ما ذهب اليه ابوالحسن الاشعري ومتابعوه من أن المعدوم مأمور بالامر الازلي على تقدير وجوده كطلب التعلم من ابن سيولد اذا اخبره صادق بذلك وكأوامر النبي صلى الله عليه وسلم لمن سيوجد بعده .

فاعترض عليه بان الموجود في المثال الاول العزم على الطلب وتخيله لا حقيقته والعزم على الطلب وان كان لا يعد سفها الا ان نفس طلب الفعل من المعدوم سفه ، لان المعدوم ليس بشيء ولا بد للطلب من فهم الخطاب ، فموجب السفه استعمال صيغة الخطاب بلا مخاطب سواء تحقق وجوده بعد أولا (١)

قال شارح المواقف : (اما نفس الطلب (يعني الطلب من المعدوم) فلا شك في كونه سفها بل قيل هو غير ممكن لان وجود الطلب بدون من يطلب منه شيء محال .) (٢)

وقال السيالكوتي : (والحق ان نفس الطلب من المعدوم وان كان المطلوب الاتيان حال الوجود محل اشكال) . (٣)

وأما أوامر النبي صلى الله عليه وسلم لمن سيوجد بعده ، فالطلب من المعدوم توجه لمن يبلغه حال وجوده ، فالخطاب لم يتوجه للمعدوم ، فلا سفه فيه .

قال الرازي : (والاخبار انما حسن من الرسول عليه السلام لانه حضر هناك من يسمع ذلك الخبر ويبلغه الى الذين سيوجدون بعد ذلك اما في الازل

---

(١) انظر حاشية الكستلي على شرح العقائد النسفية ص ٩١
(٢) شرح المواقف ج ٨ ص ٩١
(٣) حاشية السيالكوتي على شرح المواقف ج ٨ ص ٩٧

فليس هناك أحد البته يسمع ذلك الخبر ويبلغه الى الذين سيوجدون بعد ذلك فظهر ان هذا المثال مغالطة محضه .) (١)

ونقول الاولى فى خطاب المعدوم التفصيل ، لان خطاب الله نوعان خطاب تكوين وهذا لا يلزم منه وجود المخاطب فى الخارج وقت الخطاب لان المراد منه ايجاد المكون ، والله يعلم ذلك المعدوم قبل توجيه الخطاب اليــــه ، فلم يتوجه الخطاب الى معدوم محض ، واما النوع الثانى فهو خطاب التكليف وهذا يشترط فيه وجود المخاطب وقت الخطاب أو من يبلغه ليتحقق التكليـف وتقوم الحجة على المبلغين . هذا هو مذهب السلف وائمة الدين كما سبق بيانه عن ابن تيمية .

وقولهم فى دفع الكذب عن اخباره تعالى فى الازل بأن الاخبار بالنسبـــة الى الازل لا يتصف بشىء من الازمنة ، اذ لا ماضى ولا مستقبل ولا حـــال بالنسبة الى الله تعالى لتنزهه عن الزمان .

يقال فيه : المعانى الحاصلة بحسب التعلقات الازلية اهى معانى متعددة متغايرة أم هى متحدة .

فان قلتم باتحادها لزم ان يكون الامر عين الخبر والنهى والاستفهام والنداء وهذا باطل .

وان قلتم بتغايرها فلا شك ايضا ان الاخبار بطريق المضى غير الاخبار بطريق الاستقبال واذا فكيف يتحقق التغاير والكل ازلى والازلى لا ماضى فيه ولا حال ولا مستقبل .

---

(١) الاربعين فى اصول الدين ص ١٨٢

ثم ان استدلالكم على امتناع الكذب عليه تعالى بان الكذب نقص والنقص على الله تعالى محال بالاجماع .

يقال فيه : هذا يدل على أن الكلام النفسي الذى هو صفة قائمة بذاته تعالى يكون صادقا ، ولا يدل على الصدق فى الكلام اللفظى الدال على المعنى النفسى ، واذا جاز الكذب فى الكلام اللفظى جاز الكذب فى المعنى النفسى لدلالة الكلام اللفظى على المعنى النفسى .

فما دمتم قائلين بأن الكلام اللفظى دال على المعنى النفسى وجب ان تقيموا الدليل على صدق الكلام اللفظى والا امتنع كونه دالا عليه .

فان قلتم فى الاستدلال على امتناع الكذب فى الكلام اللفظى : خلق الكلام الكاذب نقص فى فعله تعالى يتنزه الله عنه ، فهذا يناقض قولكم : انه تعالى لا يقبح منه فعل ، وليس منزها عن فعل من الافعال .

على انكم ان تمسكتم بلزوم النقص فى الفعل (لستم قائلين) بالقبح العقلى فان النقص فى الفعل هو القبح العقلى بعينه ، وانما اختلفت العبارة دون المعنى .

وان قلتم لو اتصف بالكذب لكان كذبه قديما ، لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى ، واذا كان قديما امتنع عدمه ومعلوم أن الكذب لا يمتنع عدمه فان من علم شيئا أمكن له أن يخبر به على ما هو عليه ، ان قلتم هذا

قلنا : كلامكم انما يدل على كون الكلام النفسى صدقا ، لانه القديم واما العبارة الدالة عليه فحادثة فيجوز زوالها بحدوث الصدق الذى يقابلها واذا ، فهذا الدليل لا يدل على وجوب الصدق فى الكلام اللفظى مع أن الاهم هو امتناع الكذب فى الكلام اللفظى .

وان قلتم : دل على صدقه في كلامه نفسيا او لفظيا خبر الرسول المؤيد بالمعجزه .

قيل لكم : انتم تقولون لا يقبح منه فعل فيجوز عندكم تصديق الكاذب ، فالتصديق بالمعجزة انما ينتهض حجة اذا لم يجز النقص في فعله تعالى ولا فرق بين النقص في الفعل وبين القبح العقلي .

وفي هذا يقول الايجي في المواقف : (واعلم انه لم يظهر لي فرق بين النقص في الفعل وبين القبح العقلي) فيه (فان النقص في الافعال هو القبح العقلي بعينه) فيها وانما تختلف العبارة دون المعنى فاصحابنا المنكرون للقبح العقلي كيف يتمسكون في دفع الكذب عن الكلام اللفظي بلزوم النقص في أفعاله تعالى .) (١)

وأما قولهم بأن الكلام اللفظي - وهو القرآن - كلام الله مجازا من باب تسمية الدال باسم المدلول فسبق بيان فساده عن بعضهم .

وقولهم جوابا عما جاء في عبارات مشائخهم من أن العبارات الدالة على كلام الله تعالى مجاز : بأن الكلام مشترك لفظي يطلق على كل من الصفة القديمة والنظم اطلاقا حقيقيا من حيث الوضع اللغوي : يقول فيه ابن تيمية : (وقالت طائفة من متأخريهم بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظي لكن هذا ينقض اصلهم في ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به ، وهم مع هذا لا يقولون ان المخلوق كلام الله حقيقة كما تقوله المعتزلة مع قولهم انه كلامه

---

(١) المواقف بشرحها ج ٨ ص ١٠١ وانظر ادلتهم على امتناع الكذب عليه تعالى نفس المصدر ج ٨ ص ١٠١ - ١٠٢

حقيقة بل يجعلون القرآن العربي كلاما لغير الله ، وهوكلام حقيقة . .) (١)
يعني انه اذا كان القرآن العربي مخلوقا قائما بغيره كما قالوا بذلك وهو
مع هذا كلامه حقيقة فقد جوزوا ان يكون كلامه الحقيقي ما يخلقه في غيره
من الكلام واذا فيلزمهم ان يقولوا بقول المعتزلة وهم لا يقولون به .
لا نهم لا يجوزون ان يكون كلامه غير قائم به بل يقولون المتكلم من قام بـه
الكلام ، لذا سمى بعضهم القرآن العربي كلامه مجازا فرارا من ان يثبتوا
كلاما حقيقيا قائما بغير المتكلم .
وأما قول من قال منهم في انزال القرآن بأن جبريل نزل به من اللوح المحفوظ
فسبق جوابه في الرد على المعتزلة ، وهو أنه حينئذ يكون القرآن نزل من
مخلوق لا من الله فان قالوا : انه القى الى جبريل معاني وعبر عنها (٢)
بمعنى انه نزل بالقرآن من الله لا من مخلوق خروجا من مذهب المعتزلة . .
قيل هذا يستلزم أن يكون جبريل ألهم هذه المعاني الهاما وفهمها ، وهذا
يقتضي أن يكون ما حصل من الوحي والالهام لاحاد المؤمنين كما قال تعالى :
" واذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي " (٣) وقال : (وأوحينا
الى ام موسى أن أرضعيه " (٤) وقد اوحى الله الى سائر النبيين - اعلى
من أخذ محمد القرآن عن جبريل ، لان محمدا أخذ عن جبريل عبارة معاني
ما الهمه الله اياه ، أما آحاد المؤمنين وسائر النبيين فألقى اليهم الوحي
مباشرة .

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ١٢١ وانظر الموافقة له على
منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٧١
(٢) انظر الاعتراض وجوابه مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ٣ص ٩
(٣) سورة المائدة جزء من آية (١١١)
(٤) سورة القصص جزء من آية (٧)

وأما من قال منهم ان جبريل أو محمدا عبر عن المعنى القائم بذاته تعالى ، فيجيب ابن تيمية عنه بما حاصله :

ان الله تعالى اضاف القرآن مرة الى جبريل ومرة الى محمد صلى الله عليه وسلم باسم الرسول الدال على مرسله لا باسم الملك أو النبي فدل ذلك انه قول رسول بلغه عن مرسله لا قول ملك أو نبي أحدثه من نفسه فقال تعالى : (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون) (١) فهذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال في الآية الاخرى : (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين .) (٢) ، فهذا جبريل ، فلو أحدثه أحدهما لم يجز اضافته الى الآخر . (٣) .

فالكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغا مؤديا كما سمعه . (٤)

ويقال لهم أيضا : هذه الحروف والاصوات التى هى عبارة عن المعنى القائم بذاته تعالى اهى من كلام الله الذى تكلم به أم هى مخلوقة لله خلقها فى غيره .

فان قالوا هى من كلام الله تعالى لزمهم ما فروا منه ، حيث اقروا أن لله كلاما هو حروف واصوات ، كما يقوله جمهور المسلمين .

---

(١) سورة الحاقة آية (٤٠ - ٤١)

(٢) سورة التكوير آية (١٩ — ٢٠)

(٣) انظر مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥٠ وانظر مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٩٩

(٤) انظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ج ١ ص ٤٠٢

وان قالوا : ليست كلاما لله تعالى فحينئذ لا يكون هذا القرآن كلام الله ، وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة من دين الاسلام . (١)

فان قلتم تلك العبارة كلامه حقيقة بطلت حجتكم على المعتزلة وهى ان المتكلم من قام به الكلام فقد ذهبتم الى أن هذه العبارات مخلوقة وقلتم انها كلامه حقيقة فصار كلامه تعالى حقيقة قائم بغيره وهذا مخالف لاصلكم وهو ان المتكلم من قام به الكلام

وان قلتم هذه العبارات كلامه مجازا فهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من جميع اللغات . (٢)

وقال ابن تيمية ايضا فى الرد على من قال ان جبريل أو محمدا عبر عن المعنى القديم القائم بذاته تعالى .

(واذا كان الكفار جعلوا الذى يعلمه ما نزل به روح القدس بشرا والله ابطل ذلك بان لسان ذلك أعجمى وهذا لسان عربى مبين ، علم أن روح القدس نزل باللسان العربى المبين وان محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس ، واذا كان روح القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه ولم يؤلفه هو ، وهذا بيان من الله أن القرآن الذى هو اللسان العربى المبين سمعه روح القدس من الله ، وكذلك قوله " هو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا " (٣) الآية والكتاب اسم للكلام العربى بالضرورة والاتفاق .) (٤)

---

(١) انظر مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ١٩٧ .

(٢) انظر مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥٢٨

(٣) سورة الانعام جزء من آية (١١٤)

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٩٣

وأما من جوز من الاشاعرة سماع كلام الله القديم القائم بذاته الذى ليس بحرف ولا صوت ، وان موسى سمع ذلك المعنى القديم .

فيقال لهم : اسمع موسى عليه السلام كلام الله كله أم بعضه فان قالوا : كله فقد علم علم الله . وهذا باطل فان الله تعالى يقول (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) (١) . ولو جاز ذلك لصار من فهم كلام الله عالما بالغيب وبما فى نفس الله تعالى ، وقد نفى الله ذلك بما أخبر به عن عيسى عليه السلام انه يقول : (تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب) . (٢)

وان قالوا فهم بعضه ، فقد تبعض كلام الله ، وعندهم كلام الله واحد لا يتبعض . (٣)

وايضا فان الله أخبر عن تكليم موسى بانه ناداه والنداء لا يكون الا بصوت فى لغة العرب ، وانكار الظاهر مكابرة .

فان قالوا : النداء ليس بصوت خالفوا لغة العرب ، وان قالوا الاسناد مجازى كقولهم نادى الأمير اذا أمر غيره بالنداء دفعوا فضيلة موسى عليه السلام من تكليم الله اياه بذاته من غير واسطة ولا ترجمان . (٤)

---

(١) سورة البقرة جزء من آية (٢٥٥)

(٢) سورة المائدة جزء من آية (١١٦)

(٣) انظر كلام ابى نصر السجزى كما اورده ابن تيمية فى موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٥٦ . وانظر كلام ابن تيمية فى ذلك مجموعة الفتاوى ج ١٢ ص ٤٩ - ٥٠

(٤) انظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٥٧

ومن قال منهم ان سماع كلام الله هو سماع الصوت المخلوق الدال على المعنى القديم ، من حيث ان هذا الصوت الدال يفهم به كلام الله والفهم نوع من السماع :

يقال له : هذا سماع تجوزا . (١)

ومع هذا التجوز لا يكون جبريل وموسى سمعا كلام الله تعالى منه حقيقة بل من مخلوق وتقدم الكلام في رد هذا . وأيضا هذا رد للاحاديث الصحيحة الواردة في اثبات ان الله يتكلم بصوت .

والقول بأن موسى لم يسمع كلام الله منه حقيقة بل سمع صوتا دالا على كلامه ، يلزم منه أن يكون بنو اسرائيل أفضل من موسى في ذلك ، لانهم سمعوا من أفضل ممن سمع منه موسى لكونهم سمعوا من موسى .

وأما قول ابي سعيد من الاشاعرة بجواز اطلاق القول بان القرآن حكاية عن كلام الله .

فأشار الامدي الى الرد عليه بعد أن ذكر قوله وقد تقدم وذلك ان لفظ الحكاية عند الاطلاق تشعر بان القرآن مثل كلام الله لا نفس كلام الله وهذا فيه مخالفة لنص القرآن وسبق الكلام في ذلك عند رد قول المعتزلة بأن القرآن حكاية عن كلام الله ، وأن الحكاية مثل المحكي وهو مذهب أكثر المعتزلة .

ونص أبو بكر الباقلاني وهو من الاشاعرة على أنه لا يجوز اطلاق القول بأن القرآن حكاية ولا عبارة فقال : (ويجب أن يعلم أنه لا يجوز ان يقول أحد

---

(١) انظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٥٥ فيما اورده عن أبي نصر السجزي

انى أتكلم بكلام الله ، ولا أحكى كلام الله ولا أعبر كلام الله ، ... بل الذى يجوز أن يقول : انى اقرأ كلام الله تعالى ، كما قال تعالى (فاذا قرأت القرآن) (١) وكما قال (فاقرءوا ما تيسر منه) (٢) . ويجوز أن يقول : انى أتلو كلام الله ، كما قال تعالى (وان اتلوا القرآن) (٣) ويجوز أن يقول انى احفظ القرآن كما قال صلى الله عليه وسلم (من حفظ القرآن ثم نسيه ... الخبر) فكل ما نطق به الكتاب والسنة فى القرآن جاز لنا أن نطلقه ، وما لا ينطق به كتاب ولا سنة فلا نطلقه فى الله تعالى ولا فى صفاته ...) (٤) .

وجاء فى ملحق شرح الكوكب المنير :

(قال الامام احمد : القرآن كيف تصرف فهو غير مخلوق (٥) ، ولا نرى القول بالحكاية والعبارة وغلط من قال بهما وجهله ، فقال : من قال ان القرآن عبارة عن كلام الله فقد غلط وجهل . وقال : الناسخ والمنسوخ فى كتاب الله ، دون العبارة والحكاية . وقال هذه بدعة لم يقلها السلف - وقوله تعالى (تكليما) يبطل الحكاية ، منه بدأ واليه يعود . نقل ذلك ابن حمدان فى نهاية المبتدئين) . (٦)

---

(١) سورة النحل جزء من آية (٩٨)
(٢) سورة المزمل جزء من آية (٢٠)
(٣) سورة النمل جزء من آية (٩٢)
(٤) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلانى ص ١٠٦
(٥) قال ابن تيمية : (وقال احمد : نقول القرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرف : اى حيث تلى وكتب وقرىء مما هو فى نفس الامر كلام الله) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٧٥
(٦) ملحق شرح الكوكب المنير ص ٢٧

وأما ما ذهب اليه شارح المواقف في تحقيق مذهب الأشعري وانه شامل للفظ والمعنى .. فيكون اللفظ قائما بذاته لكن غير مرتب ولا متعاقب فيقول فيه سعد الدين التفتازاني بعد أن ذكر حاصل التحقيق : (.. وهو جيد لمن يتعقل لفظا قائما بالنفس غير مؤلف من الحروف المنطوقة أو المخيلة المشروط وجود بعضها بعدم البعض ولا من الاشكال المرتبة الدالة عليه ..) (١)

ويذكر في موضع آخر انه يستحيل قيام الحروف بذاته تعالى حتى ولو كانت غير مرتبة كحرف واحد مثلا فيقول : (على أن قيام الصوت والحروف بذات الله تعالى وتقدس ليس بمعقول وان كان غير مرتب الاجزاء كحرف واحد مثلا ..) (٢)

وسيأتى ما يتعلق بهذا القول في الرد على السالمية ومن تبعهم القائلين بأن كلام الله حروف وأصوات مقترنة في الازل .

---

(١) شرح العقائد النسفية ص ٩٦

(٢) شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٥

الفصل السادس

في : (بيان مذهب الاقترانية من السالمية وغيرهم)

ذهبت هذه الطائفة من السالمية (١) وغيرهم المسماة بالاقترانية نسبة الى الاقتران الذى هو مذهبهم الى أن كلام الله تعالى قائم به صفة له ، وهو حروف ،أو حروف وأصوات قديمة الاعيان قائمة به لم يزل الله تعالى ولا يزال متصفا بها وان هذه الحروف والاصوات القائمة به مقترنة ومجتمعة فى الازل وليس لاحدها تقدم بالزمان على الآخر ،اذ لا يوجد قبل وبعد فى الأزل .

قال ابن تيمية : (وقالوا : الترتب هو فى حقيقتها لا فى وجودها بل هى موجودة ازلا وأبدا لم يسبق شىء منها شيئا وان كانت صفتها مرتبة ترتيبا عقليا كترتب الذات على الصفات ،وكترتب العلة على المعلول .) (٢)

---

(١) قال الدكتور على سامى النشار فى نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ج ١ ص ٤٠٠ عن الطائفة السالمية : (تنسب هذه الطائفة الى أبى عبدالله محمد بن احمد بن سالم البصرى -المتوفى عام ٢٩٧ هـ - ٩٠٩ م - والى ابنه أبى الحسن احمد بن محمد بن احمد بن سالم -المتوفى عام ٣٦٠ هـ ٩٧٠ م وقد تتلمذ الاب على سهل بن عبدالله التسترى المتوفى عام ٢٨٣ هـ - ٨٩٦ م كما كان الابن صديقا لابن مجاهد المشهور . وقد كانت السالمية بمذهبها الاصولى والصوفى ذات أثر كبير فى العالم الاسلامى كانوا متكلمة وزهادا مالكية)

(٢) منهاج السنة النبوية على هامشة موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ص ١١٤ وانظر مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥١

وقالوا انما ترتبت الحروف عند سماعها بالآذان لان الاسماع لا تطيق ادراك الحروف مجتمعة . (١)

وبهذا فرقوا بين ماهية الكلام ووجوده كمن فرق بين الوجود والماهية من المعتزلة ، وذلك لما قيل لهم : الحروف مسبوقة بعضها ببعض ، والقديم لا يسبق بغيره ، والصوت لا يتصور بقاؤه فضلا عن قدمه ،

فقالوا : الكلام له وجود وماهية ، فترتب الكلام في ماهيته لا في وجوده ، فالحروف ، أو الحروف والاصوات موجودة ازلا وأبدا لم يسبق شيء منها شيئا ، وان كانت حقيقتها مرتبة ترتيبا عقليا كترتب المعلول على العلة .

فذهبوا الى أن القرآن حروف ومعان قديمة لا ينفصل احدهما عن الآخر ، وقالوا : كلام الله يسمع منه حقيقة ، واسماعه له نوعان بواسطة وبغير واسطة وسمعه جبريل وموسى عليه السلام بلا واسطة ، ويسمع كلامه تعالى من شاء من عباده ، بواسطة .

واذا كان كلامه تعالى عندهم حروفا أو حروفا وأصواتا أزلية الاعيان ، لم يكن متعلقا بقدرته تعالى ومشيئته بل هو لازم له سبحانه .

واختلف هؤلاء في الاصوات المسموعة من القراء أهي الاصوات والحروف القديمة أم لا ، وقالوا المداد الذي في المصحف مخلوق وليس هو الحروف القديمة بل ما يظهر بالمداد من الاشكال والمقادير .

قال ابن تيمية مبينا مذهب السالمية : (وحدثت طائفة أخرى من السالمية

---

(١) انظر شرح الهراس للقصيدة النونية لابن القيم ج ١ ص ١٠٦

وغيرهم ممن هو من أهل الكلام والفقه والحديث والتصوف ومنهم كثير ممن هو ينتسب الى مالك والشافعي واحمد بن حنبل ، وكثر هذا في بعض المتأخرين المنتسبين الى احمد بن حنبل فقالوا بقول المعتزلة وبقول الكلابية ، ووافقوا هؤلاء في قولهم انه قديم ، ووافقوا اولئك في قولهم انه حروف وأصوات ، وأحدثوا قولا مبتدعا كما أحدث غيرهم فقالوا القرآن قديم وهو حروف وأصوات قديمة ازلية لازمة لنفس الله تعالى ازلا وأبدا واحتجوا على انه قديم بحجج الكلابية ، وعلى انه حروف وأصوات بحجج المعتزلة ، فلما قيل لهم الحروف مسبوقة بعضها ببعض فالباء قبل السين والسين قبل الميم ، والقديم لا يسبقه غيره ، والصوت لا يتصور بقاؤه فضلا عن قدمه ، قالوا : الكلام له وجود وماهية كقول من فرق بين الوجود والماهية من المعتزلة وغيرهم ، قالوا والكلام له ترتيب في وجوده ، وترتيب ماهية الباء للسين بالزمان هي في وجوده وهي مقارنة لها في ماهيتها لم تتقدم عليها بالزمان وان كانت متقدمة بالمرتبة كتقدم بعض الحروف المكتوبة على بعض فان الكاتب قد يكتب آخر المصحف قبل اوله ومع هذا فاذا كتبه كان أوله متقدما بالمرتبة على آخره .) (١)

وقال ابن القيم ايضاً موضحا نوعي سماع كلام الله عندهم :

(المذهب السابع : مذهب السالمية ومن وافقهم من اتباع الائمة الاربعة وأهل الحديث انه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال ، لا يتعلق بقدرته ومشيئته ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات سمعه

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٣٣ - ٣٤

جبريل منه ، وسمعه موسى بلا واسطة ويسمعه سبحانه من يشاء واسطه نوعان بواسطة وبغير واسطة ..) (١)

وقال ابن تيمية في بيان اختلافهم في الحروف والاصوات المسموعة أو المكتوبة أهي قديمة أم القديم غيرها . (.. ثم كثير من هؤلاء يقولون ان الحروف القديمة والاصوات ليست هي الاصوات المسموعة من القراء ولا المداد الذي في المصحف .

ومنهم من يقول بل الاصوات المسموعة من القراء هو الصوت القديم ،

ومنهم من يقول : بل يسمع من القارئ شيئان الصوت القديم وهو ما لابد منه في وجود الكلام والصوت المحدث وهو ما زاد على ذلك . وهؤلاء يقولون المداد الذي في المصحف مخلوق لكن الحروف القديمة ليست هي المداد بل الاشكال والمقادير التي تظهر بالمداد ، وقد تنقش في حجر وقد تخرق في ورق

ومنهم من يمنع ان يقال في المداد انه قديم أو مخلوق ، وقد يقول لا امنع عن ذلك بل اعلم انه مخلوق لكن أسدّ باب الخوض في هذا .) (٢)

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ج ٢ ص ٢٩٣ . وانظر رسالة العقل والروح لابن تيمية في مجموعة الرسائل المنيرية ج ٢ ص ٣٢ وشرح ابن عيسى للقصيدة النونية لابن القيم ج ١ ص ٢٨٨

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٣٤ وانظر خلافهم في الصوت المسموع مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ١٥٢ - ١٥٣ ، ٥١٠

(مناقشة مذهب السالمية ومن تبعهم)

قولهم : بأن الحروف والأصوات المعينة قديمة ومجتمعة لم تزل ولا تزال قائمة به قول فاسد عند جمهور العقلاء .

فقد قال الكلابية والأشاعرة ومن تبعهم القائلين بقدم عين الكلام ، : الصوت يستحيل بقاؤه ، كما يستحيل بقاء الحركة ، وما امتنع بقاؤه امتنع قدم عينه . والحروف لا تكون كلاما الا اذا كانت متعاقبة ، والقديم لا يكون مسبوقا بغيره . فلو كانت الميم من " بسم الله " قديمة مع كونها مسبوقة بالسين والباء لكان القديم مسبوقا بغيره وهذا ممتنع . (١)

وقال ابن تيمية في الرد على هؤلاء : (.. ولم يفرق هؤلاء بين الحروف المنطوقة التي لا توجد الا متعاقبة ، وبين الحروف المكتوبة التي توجد في آن واحد ، (٢) كما يفرق بين الاصوات والمداد ، فان الاصوات لا تبقى بخلاف المداد فانه جسم يبقى ، واذا كان الصوت لا يبقى امتنع ان يكون الصوت المعين قديما ، لان ما وجب قدمه لزم بقاؤه ، وامتنع عدمه ، والحروف

---

(١) انظر ما أورده ابن تيمية في ذلك عن الكلابية والاشاعرة في مجموعة فتاواه ج ١٢ ص ١٥٠ - ١٥١

(٢) وقال ابن تيمية في مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٣٣ : (.. والترتيب الذي في المصحف هو ترتيب للحروف المدادية ، والمداد أجسام ، فهو كترتيب الدار والاسنان ، وهذا امر يوجد الحرف الاول منه مع الثاني بخلاف الصوت فانه لا يوجد الجزء الثاني منه حتى يعدم الاول كالحركة فقياس هذا بهذا قياس باطل) .

المكتوبة قد يراد بها نفس الشكل القائم بالمداد أو ما يقدر بقدر المداد كالشكل المصنوع فى حجر وورق ، فازالة بعض اجزائه تدل على حدوثه ، وقد يراد بالحروف نفس المداد .

وأما الحروف المنطوقة فقد يراد بها ايضا الاصوات المقطعة المؤلفة ، وقد يراد بها حدود الاصوات واطرافها ، كما يراد بالحرف فى الجسم حده ومنتهاه فيقال : حرف الرغيف وحرف الجبل ونحو ذلك ، وقد يراد بالحروف الحروف الخيالية الباطنة ، وهى ما يتشكل فى باطن الانسان من الكلام المؤلف المنظوم قبل ان يتكلم به .) (١)

ومن ادعى أن ترتيب الحروف والاصوات هو ترتيب فى ذاتها لا فى وجودها ، وانه ترتيب عقلى فدعواه فاسدة . قال ابن تيمية :

(ودعوى وجود ماهية غير الوجود فى الخارج دعوى فاسدة .) (٢)

فليس فى الخارج ذات موجودة ، ووجود زائد على تلك الذات ، بل الذى فى الخارج هو الذات الموجودة ، ولا يمكن ان تقتضى الماهية من حيث نفسها أمرا لا يكون لازما لها عند وجودها .

وقال ابن تيمية مبطلا قولهم بالفرق بين ماهية الحروف والاصوات وبين وجودها وان الترتيب فى ماهيتها لا فى وجودها : (.. وبطلان هذا القول معلوم

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ١٥١ - ١٥٢

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٣٣

بالاضطرار لمن تدبره ، فان ماهية الكلام الذى هو حروف لا يكون شيئا بعد شيء ، والصوت لا يكون الا شيئا بعد شيء ، فامتنع أن يكون وجود الماهية المعينة أزليا متقدما عليها به مع أن الحرفين بينهما تباين لو قدر الفرق بينهما ويلزم من هذين الوصفين ان يكون وجودها ايضا مترتبا ترتيبا متعاقبا) . (١)
كما ذكر عن جمهور العقلاء أن الترتيب والتقدم والتأخر لا يعقل الا وجود شيء بعد غيره لا يمكن مع كونه معه الا أن يكون بعده ، كما يقول جمهور العقلاء ان المعلول لا يكون الا بعد العلة . (٢)
ومن قال منهم ان ما يسمع من القارىء هو الصوت القديم فقوله فاسد بالضرورة لان أصوات العباد حادثة . (٣)

وقولهم : ان الكلام حروف وأصوات ، لا يتعلق بقدرته ومشيئته تعالى ، مخالف لصريح العقل ، اذ الصوت لا يكون الا شيئا بعد شيء ولا يكون كلاما الا بالحروف ، والتعاقب لا يكون الا بالقدرة والمشيئة ، وقد اثبتنا بالادلة السمعية والعقلية ان كلامه تعالى بقدرته ومشيئته وفي ذلك رد لمذهب السالمية ومن تبعهم .

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥١
(٢) انظر منهاج السنة النبوية وعلى هامشه موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ص ١١٤
(٣) انظر مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٥١ - ٥٢

الفصـل السابــع

فى (بيان مذهب الكرامية ومناقشتــه)

ذهبت هذه الطائفة أتباع محمد بن كرام (١) الى أن كلامه تعالى قائم به وهو حروف وأصوات حادثة متعلقة بقدرته ومشيئته تعالى ، ليست مخلوقة فى غيره .

قال ابن تيمية : (وقالت طائفة بل الكلام لابد أن يقوم بالمتكلم ويمتنع أن يكون كلامه مخلوقا فى غيره وهو متكلم بمشيئته وقدرته فيكون كلامه حادثا بعد أن لم يكن ، لامتناع حوادث لا اول لها هذا قول الكرامية وغيرهم .) (٢)

وكون كلامه تعالى عندهم حادثا متعلقا بمشيئته وقدرته قائما بذاته تعالى على ما ذكره ابن تيمية وان كان موافقا للمذكور فى شرح المواقف فقد قال : (والكرامية وافقوا الحنابلة فى أن كلامه تعالى حروف وأصوات وسلموا أنها حادثة لكنهم زعموا انها قائمة بذاته تعالى لتجويزهم قيام الحوادث به) (٣)

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن كرام بتشديد الراء قال السبكى فى الطبقات ج ٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ (ابن كرام توفى ٢٥٥ هـ ودفن فى بيت المقدس ، وكرام بتشديد الراء . . نزل بمكة خمس سنين ثم ورد نيسابور وانصرف منها الى سجستان ثم عاد الى نيسابور . يظهر عليه التقشف والتعبد تبعه خلق كثير اثنى عليه ابن خزيمه)

(٢) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ١٥٠ وانظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ج ٢ ص ٢٩٢

(٣) شرح المواقف ج ٨ ص ٩٢

الا أن هذا يخالف المذكور في شرح المقاصد فقد قال :

(.. ذهبوا الى أن المنتظم من الحروف المسموعة مع حدوثه قائم بذات الله تعالى وانه قول الله تعالى لا كلامه وانما كلامه قدرته على التكلم وهو قديم وقوله حادث لا محدث) . (١)

كما أنه يخالف ماعزاه لهم الشهرستاني والبغدادي والجويني فقد ذكر الشهرستاني انهم ذهبوا الى أن كلامه تعالى القديم هو قدرته على القول أما قوله فحادث بقدرته غير محدث ، ومن هنا فرقوا بين الكلام والقول ، كما فرقوا بين الحادث والمحدث .(٢)

وقال عبد القاهر البغدادي : (.. وذلك انهم قالوا : ان الله تعالى لم يزل متكلما بكلام هو قدرته على القول ، ولم يزل قائلا بقائلية لا بقول ، والقائلية قدرته على القول ، وقوله حروف حادثة فيه فقول الله عندهم حادث فيه ، وكلامه قديم .) (٣)

وقال امام الحرمين الجويني : (ومما اختصوا به وتفردوا بالابتداع فيه فصلهم بين قول الله تعالى وكلامه ، فقوله حادث عندهم ، وكلامه قديم .
ثم الكلام عندهم : هو القدرة على التكلم ، والقرآن قول الله تعالى وليس بكلامه عندهم) (٤) .

---

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ٧٤

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١١٠

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١٩

(٤) الشامل في أصول الدين لابي المعالي الجويني ص ٥٣٠

وهم بتفريقهم بين الكلام والقول ، كان الكلام عندهم معنى واحد هو قدرته على القول ، اما القول وهو الحروف والاصوات المسموعة فمعان كثيرة قائمة بذاته تعالى . (١)

وكان معنى قولهم لم يزل متكلما قائلا : لم يزل قادرا على القول . والقدرة على القول غير القول فلا تنافى بين قدم الكلام عندهم وحدوث القول كما اشار عبد القاهر البغدادى الى ذلك بقوله (ولم يزل قائلا بقائلية لا بقول ، والقائلية هى قدرته على القول ، وقوله حروف حادثة فيه فقول الله عندهم حادث فيه وكلامه قديم . ويقول التفتازانى مبينا فرقهم بين الحادث والمحدث (وقوله حادث لا محدث وفرقوا بينهما بأن كل ماله ابتداء ان كان قائما بالذات فهو حادث بالقدرة غير محدث ، وان كان مباينا للذات فهو محدث بقوله "كن" لا بقدرته) (٢) فما يحدث مباينا لذاته انما يحدث بواسطة الاحداث ، والاحداث هو الايجاد والاعدام الواقعان فى ذاته بقدرته من الاقـــــوال والارادات .

وفسر محمد بن الهيصم الايجاد والاعدام بالارادة والايثار . قال وذلـــك مشروط بالقول شرعا ، اذ ورد فى التنزيل (انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) .. (٣) .

وعند الكرامية أقوال الله تعالى حادثة فى ذاته وما حدث فى ذاته تعالى عندهم واجب البقاء .

---

(١) انظر نهاية الاقدام للشهرستانى ص ٢٨٨

(٢) شرح المقاصد ج ٢ ص ٤٧

(٣) انظر الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ١٠٩ - ١١٠

قال الشهرستاني : (ومن أصلهم ان الحوادث التي يحدثها في ذاته واجبة البقاء حتى يستحيل عدمها ، اذ لو جاز عليها العدم لتعاقبت على ذاته الحوادث ..) (١) .

وأيا ما كانت حقيقة كلام الله عند الكرامية فهم يجوزون قيام الحوادث بذاته تعالى يقول ابن تيمية : (فقالت الطائفة الثالثة : بل نقول انه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع السلف والائمة وان لزم من ذلك قيام الحوادث به فلا محذور في ذلك لا شرعا ولا عقلا بل هذا لازم لجميع طوائف العقلاء وعليه دلت النصوص الكثيرة وأقوال السلف والائمة ...)(٢)

ولكن لا يعنون بهذه الحوادث التي تقوم بذاته تعالى انها مخلوقات اذ فرقوا بين الحادث والمحدث ، فالحادث ما قام بذاته وهو غير مخلوق ، والمحدث ما كان منفصلا عن ذاته وهو مخلوق .

وان قال قائل ما الفرق بين مذهب السلف وبين مذهب الكرامية اذا كان كل منهما يقول كلامه قائم به وهو حروف وأصوات .

قلنا : هم على اتفاق في هذا

لكن الكرامية تقول ان الله تكلم بهذه الحروف والاصوات بعد ان لم يكن

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١١١ وانظر الشامل في اصول الدين لابي المعالي الجويني ص ٥٣١

(٢) رسالة العقل والروح لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ٢ ص ٣٢ . وانظر في مذهب الكرامية ايضا شرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى ج ١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ . وشرح القصيدة النونية لابن القيم شرح الهراس ج ١ ص ١١٠

متكلما فصار الكلام ممكنا بعد أن كان ممتنعا ، فيجعلون لما يحدث فى ذاته أولا ، لامتناع حوادث لا أول لها ، ويقولون ان مايحدث فى ذاته واجب البقاء .

أما السلف ومن تبعهم فيخالفونهم فى ذلك ، هذا واذا نظرنا الى المذكور فى شرح المقاصد ، والملل والنحل ، والفرق بين الفرق والشامل فى أصول الدين نجد أن الكرامية يفرقون بين الكلام والقول ، والسلف لا يفرقون بينهما وانما يفرقون بين نوع الكلام وآحاده فالنوع قديم والآحاد حادثة ولا يلزم من حدوث الآحاد حدوث النوع .

مناقشة مذهب الكرامية

أما قول الكرامية ان الله تكلم بعد أن لم يكن تكلم فصار الكلام ممكنا بعد ان كان ممتنعا ، فباطل عقلا ، اذ المعلوم ان الممتنع لذاته لا يصير ممكنا لذاته . وقولهم هذا يلزم منه تعطيله سبحانه عن صفة من صفات كماله أزلا وهو الكلام ، وخلوه عن كمال يمكن الاتصاف به نقص في حقه تعالى .

وشبهتهم في هذا القول هي امتناع حوادث لا أول لها ، اذ التسلسل باطل وقد سبق ذكرما استدلوا به من برهان التطبيق والتضايف ، وبينا ان هذين الدليلين غير مسلمين لهم ، وبينا ان التسلسل الممتنع هو التسلسل في العلل دون التسلسل في الآثار والشروط ، فانه غير ممتنع عند جمهور العقلاء .

وأما قولهم على ما ذكره شارح المقاصد : الكلام عندهم قدرته على التكلم فهذا مخالف للمعروف لغة من أن الكلام لفظ ومعنى ، وهذا قول جمهور الطوائف كما تقدم .

هذا وانما قالوا كلامه تعالى قائم به وأنه حروف وأصوات تتعلق بقدرته ومشيئته ليتخلصوا من بدعة المعتزلة في قولهم كلامه تعالى مخلوق ، ومن بدعة الكلابية ومن تبعهم في قولهم كلامه تعالى لا يتعلق بقدرته ومشيئته .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

الخاتمـــــــة

وبعد : لعلى أيها القارئ الكريم قد وفقت فى عرض هذا الموضوع ، واستطعت أن أقفك على حقيقة مذهب السلف وفرق المتكلمين المسلمين فى كلام الله تعالى ، وبعض ما قيل فى مسائله .

هذا ولم أدخر وسعا فى تحصيل ما ورد عنهم من النصوص ملتمسا بذلـــــك الصـــــواب .

وانى لأرجو الله أن أكون قد وفقت لعرض هذا البحث فى الصورة الوافية بالمطلوب.
ويحسن بنا أن نقدم لك أيها القارئ ملخصا لأهم النتائج التى توصلنا اليها فى هذا البحث بصورة مختصرة .

فمن هذه النتائج ان المدلول اللغوى للكلام انه يشمل اللفظ والمعنى .
وتبع أهل اللغة على ذلك النحاة ، فقالوا الكلام هو اللفظ الدال على معنى ، وفرقوا بيـــن الكلام والقول كما فرق بينهما بعض اللغويين فجعلوا القول أعم من الكلام .

وأما الكلام فى اصطلاح السلف وائمة الدين وفرق المتكلمين المسلمين فقد اختلفوا فيـــــه .

فمذهب السلف وأئمة الدين انه لفظ ومعنى ، وتبعهم على ذلك ابن كرام ومن تبعه وفرقة السالمية ومن تبعهم ، كما هو مذهب الجهمية والمعتزلة ، حيث قالـــــوا حقيقة الكلام حروف وأصوات .

وذهب أهل السنة من الكلابية والاشاعرة والماتريدية الى أن حقيقة الكلام هــــو المعنى القائم بالذات ، دون اللفظ وان كان عندهم اللفظ يسمى كلاما تسميـــة للدال باسم المدلول .

ومنها : أن السلف وأئمة الدين ، وفرق المتكلمين المسلمين متفقون على اطلاق لفظ المتكلم على الله ولكن اختلفوا فى حقيقة المتكلم :

فمذهب السلف وائمة الدين ان حقيقة المتكلم من فعل الكلام وقام به ، اذ لا يعقل متكلم لم يقم به كلامه ولم يفعله بقدرته ومشيئته .

وهذا هو مذهب الكرامية .

وذهب ابن كلاب والاشعرى والماتريدى والسالمية ومن تبعهم على مذهبهم الى أن حقيقة المتكلم من قام به الكلام .

وقالت الجهمية والمعتزلة حقيقة المتكلم من فعل الكلام ولو فى غيره .

ومنها ان سبب اختلاف المتكلمين فى حقيقة الكلام والمتكلم هو استحالة قيام أفعاله الاختيارية بذاته تعالى .

فالمتكلمون من الكلابية والاشاعرة والماتريدية ومن تبعهم ، المثبتون لقيام الصفات اللازمة بذاته تعالى قالوا كلامه تعالى معنى ليس من جنس الحروف والاصوات لانها حادثة ولو قامت بذاته تعالى لقامت بذاته الحوادث وذلك مستحيل ، لانه يؤدى الى أن يكون الله حادثا ،

وأما الطائفة الاخرى الذين يمنعون قيام أفعاله الاختيارية بذاته تعالى ، بل هؤلاء ينفون قيام الصفات مطلقا ، وهم الجهمية والمعتزلة فقالوا كلامه تعالى مخلوق له منفصل عن ذاته . وهو حروف وأصوات ، وهذه حادثة ، والله يستحيل ان تقوم بذاته تعالى الحوادث .

واذا كان امتناع قيام الافعال الاختيارية بذاته تعالى سبب هذا الاختلاف فقد بينا ان النفاة لقيام الافعال الاختيارية بذاته تعالى ليس معهم دليل سمعى صحيح ، ولم ينتهض لهم حجة عقلية على النفى ، وبينا تناقضهم فى هذا النفى ، وأن الاثبات لازم لهم .

هذا وان كان نفاة قيام أفعاله بذاته تعالى فهموا من هذا القيام حلول الاعراض والنقائص بذاته تعالى فلا ريب انه لا يجوز ان يحل في ذاته تعالى النقائص والعيوب .

فالذي عليه ائمة أهل السنة والحديث انهم لا يطلقون لفظ قيام الحوادث بذاته تعالى ، اذ قد يشعر هذا اللفظ بمايجب تنزيه الله عنه من النقائص والعيوب ، ولكن يقولون تقوم بذاته تعالى أفعاله الاختيارية ولا يلزم من ذلك حدوثه سبحانه .

ومنها : أن السلف يقولون كلام الله قديم النوع حادث الآحاد ، أما المتكلمون من الكلابية والاشاعرة والماتريدية والسالمية فقالوا كلامه تعالى قديم العين ، وأحدثت السالمية ومن تبعهم قولا مبتدعا فقالوا القرآن حروف وأصوات قديمة .

ومنها : أن المعتزلة والكلابية والاشاعرة والماتريدية ومن تبعهم لا يفرقون بين الحادث والمحدث والمخلوق ، ولميفرقوا بين نوع الفعل والكلام وبين عينيهما .

أما السلف ومن تبعهم فقالوا ليس كل حادث أو محدث مخلوق ، وقالوا بالفرق بين نوع الفعل والكلام وبين عينيهما .

والله أسأل ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه وصلى الله على محمد عبدالله ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم .

ثبت المراجع

القرآن وعلومه

١) القرآن الكريم

٢) التفسير الكبير
للفخر الرازى
المطبعة البهية المصرية
الطبعة الاولى

٣) جامع البيان فى تفسير القرآن
لابن جرير الطبرى
مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده
الطبعة الثانية سنة ١٣٧٣ هـ

٤) الجامع لاحكام القرآن
لابى عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبى
مطبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م

٥) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير
لمحمد بن على بن محمد الشوكانى
شركة مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م

٦) متشابه القرآن
للقاضى عبدالجبار بن احمد الهمذانى
تحقيق الدكتور عدنان محمد زرزور
دار النصر للطباعة - القاهرة سنة ١٩٦٩م

٧) مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية
صححه عبدالصمد شرف الدين
بحيادى الهند الدار القيمة سنة ١٣٧٤ هـ ١٩٥٤م

الحديث وعلومه

٨) تأويل مختلف الحديث
لعبدالله بن مسلم بن قتيبه
الناشر : الكليات الازهرية دار القومية العربية للطباعة
والنشر سنة ١٣٨٦ هـ

٩) سنن أبى داود
لسليمان بن الاشعث بن اسحاق الازدى السجستانى
ملتزم الطبع والنشر : مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
الطبعة الاولى سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م

١٠) سنن الترمذى
لابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة
الناشر : محمد بن عبدالمحسن الكتبى صاحب المكتبة السلفية
بالمدينة المنورة
مطبعة الفجالة الجديدة

١١) صحيح البخارى
لابى عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى
مطابع الشعب سنة ١٣٧٨هـ

١٢) صحيح مسلم
لابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى
تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى
دار احياء الكتب العربية -عيسى البابى الحلبى وشركاه
الطبعة الاولى سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م

١٣) صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى
المطبعة المصرية بالازهر
الطبعة الاولى سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١م

١٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى
للامام الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى
المطبعة السلفية ومكتبتها . القاهرة

١٥) مسند الامام احمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال
المكتب الاسلامى للطباعة والنشر - دار صادر للطباعة والنشر

١٦) مشكل الحديث وبيانه
لابى بكر محمد بن الحسن بن فورك
مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية
الطبعة الاولى سنة ١٣٦٢هـ

مصادر اللغة

١٧) تاج العروس من جواهر القاموس
لمحمد مرتضى الزبيدى الحنفى
منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

١٨) تهذيب اللغة
لابى منصور محمد بن احمد الازهرى
دار القومية العربية للطباعة سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م

١٩) الصحاح
لاسماعيل بن حماد الجوهرى
مطبعة دار الكتب العربية بمصر

٢٠) القاموس المحيط
لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى
مطبعة مصطفى البابى الحلبى - مصر
الطبعة الثانية سنة ١٣٧١ هـ

٢١) لسان العرب
لابن منظور ابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقى
المصرى
دار صادر - دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م

٢٢) مختار الصحاح
تأليف محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى
الناشر : دار الكتاب العربى بيروت - لبنان
الطبعة الاولى سنة ١٩٦٧ م

٢٣) المخصص
لابى الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الاندلسى
المعروف بابن سيده
المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق . مصر
الطبعة الاولى سنة ١٣١٩ هـ

مصادر النحو

٢٤) شرح ابن عقيل
لابى عبد الله بن عقيل العقيلى الهمدانى المصرى
علق حواشيه وشرح شواهده وصنع له تكملة فى تصريف الافعال
محمد محى الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة بمصر
الطبعة الخامسة سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م

٢٥) شرح الاشمونى على الفية ابن مالك
ملتزم الطبع والنشر : مكتبة النهضة المصرية لاصحابها حسن محمد وأولاده
الطبعة الثالثة

مصادر التاريخ والتراجم

٢٦) احمد بن حنبل والمحنة
تأليف ولتزم باتون
ترجمة عبد العزيز عبد الحق ومراجعة محمود محمود
مطبعة دار الهلال

٢٧) الاعلام
لخير الدين الزركلى
الطبعة الثالثة

٢٨) البداية والنهاية
لابى الفداء اسماعيل بن كثير
مطبعة السعادة

٢٩) تاريخ الفرق الاسلامية
لعلى مصطفى الغرابى
مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده

٣٠) تاريخ الامم والملوك
لابن جرير الطبرى
مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٥٨هـ

٣١) تذكرة الحفاظ
لابى عبد الله شمس الدين الذهبى
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن / الهند
الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م

٣٢) تهذيب التهذيب
لابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد - الهند
الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥ هـ

٣٣) حلية الاولياء
لابي نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني
مطبعة السعادة سنة ١٣٧٠ هـ

٣٤) شذرات الذهب
لابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي
يطلب من المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت
لبنان

٣٥) طبقات الشافعية
لابي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي
تحقيق : محمد محمود الطناحي - عبد الفتاح محمد الحلو
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه
الطبعة الاولى سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م

٣٦) العبر في خبر من غبر
لابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن الذهبي
تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
مطبعة حكومة الكويت سنة ١٩٦٠ م

٣٧) الكامل في التاريخ
لابن الاثير : أبو الحسن عز الدين علي
المطبعة المنيرية سنة ١٣٥٧ هـ

٣٨) ميزان الاعتدال
لابى عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبى
مطبعة دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه

٣٩) مناقب الامام احمد بن حنبل
لابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى
مطبعة دار الافاق الجديدة بيروت
الطبعة الاولى سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

المعاجم

٤٠) التعريفات ، معجم يشرح الالفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والمتكلمين والنحاة والصرفيين والمفسرين وغيرهم
تأليف السيد الشريف على بن محمد بن على السيد الزين ابى الحسين الحسينى الجرجانى الحنفى
شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
سنة ١٣٥٧ - ١٩٣٨م

٤١) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم
وضعه محمد فؤاد عبد الباقى
مطابع الشعب سنة ١٣٧٨هـ

٤٢) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى
رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ونشره الدكتور أ . ى ونستك
استاذ العربية بجامعة لندن
مكتبة بريل فى مدينة ليدن سنة ١٩٣٦م

٤٣) معجم النحو
لعبد الغني الدقر
مطبعة محمد هاشم الكتبي
الطبعة الاولى سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

٤٤) معجم البلدان
لابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي
دار بيروت للطباعة والنشر - دار صادر للطباعة والنشر - بيروت
سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م

٤٥) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع
لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي
وهو مختصر معجم البلدان لياقوت
تحقيق وتعليق : على محمد البجاوي
مطبعة دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه
الطبعة الاولى سنة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م

مصادر أصول الدين

٤٦) ابكار الافكار
لسيف الدين الامدي
مخطوط بجامعة الدول العربية يوجد منه صورة ميكروفلم
في مركز البحث العلمي مكة المكرمة جامعة الملك عبد العزيز

٤٧) الابانة عن اصول الديانه
لابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري
ادارة الطباعة المنيرية بالازهر

٤٨) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة
لابي عبد الله بن مسلم بن قتيبه
مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٩هـ

٤٩) الاربعين في اصول الدين
تأليف محمد بن عمر الرازي
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن
سنة ١٣٥٢ هـ الطبعة الاولى

٥٠) كتاب الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد
لامام الحرمين أبي المعالي الجويني
حققه وعلق عليه وقدم له وفهرسه الدكتور: محمد يوسف موسى
وعلي عبد المنعم عبد الحميد
الناشر مكتبة الخانجي - ويطلب من مكتبة المثنى ببغداد
مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٩ - ١٩٥٠م

٥١) الاسماء والصفات
لابي بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي
صحح اسماء رجاله وعلق عليه : محمد زاهد الكوثري الحنفي
دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان

٥٢) الاقتصاد في الاعتقاد
لابي حامد محمد بن محمد الغزالي
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده
الطبعة الاخيرة بمصر سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م

٥٣) كتاب الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد
للخياط أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان المعتزلي
المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٥٧م

٥٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أو نقض تأسيس الجهمية
تصحيح وتكميل وتعليق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
مطبعة مكة المكرمة سنة ١٣٩١هـ الطبعة الاولى

٥٥) تبيين كذب المفترى فيما نسب للامام ابى الحسن الاشعرى
لابى القاسم على بن الحسن بن وهبة الله بن عساكر الدمشقى
مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٧هـ

٥٦) كتاب التمهيد
لابى بكر محمد بن الطيب بن الباقلانى
عنى بتصحيحه ونشره : رتشرد يوسف مكارثى اليسوعى
الشرقية بيروت سنة ١٩٥٧م

٥٧) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل
تأليف محمد بن اسحق بن خزيمة
راجعه وعلق عليه محمد خليل هراس
الناشر : مكتبة الكليات الازهرية سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م

٥٨) كتاب التوحيد
لابى بكر محمد بن الحسين الآجرى
تحقيق : محمد حامد الفقى
مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٦٩ هـ الطبعة الاولى

٥٩) كتاب التوحيد
لابى منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى السمرقندى
تحقيق : الدكتور فتح الله خليفه
طبع دار المشرق بيروت لبنان

٦٠) حادى الارواح الى بلاد الافراح
للعلامة محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حرز الزرعى
ثم الدمشقى ، شمس الدين أبى عبد الله بن قيم الجوزيه
صححه وعلق عليه : محمود حسن ربيع
الناشر مكتبة ومطبعة النهضة الحديثه بمكة المكرمة سنة ١٣٩٢هـ
- ١٩٧٢م الطبعة الثالثة

(٦١) حاشية الدرة المضيئة فى عقد الفرقة المرضية
للشيخ محمد بن احمد بن سالم السفارينى
مطبعة الحكومة بمكة المكرمة سنة ١٣٦٤ هـ

(٦٢) حاشية ابراهيم البيجورى
المطبعة الخيرية

(٦٣) حاشية الدسوقى على ام البراهين
للشيخ محمد الدسوقى على شرح ام البراهين لمؤلفها الامام
سيد محمد السنوسى
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت

(٦٤) حاشية عبد الحكيم على حاشية الخيالى على شرح العقائد النسفية
لسعد الدين التفتازانى
مطبعة المحترم الشيخ شرف موسى العامرة بالمحروسه مصر -
القاهرة وذلك على ذمة المتوكل على الملك الوهاب، حضرة الشيخ
حسين الخشاب سنة ١٢٩٧ هـ

(٦٥) حاشية محمد عبده على الجلال الدوانى للعقائد العضدية
المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٢ هـ الطبعة الاولى

(٦٦) كتاب الحيده
تأليف عبد العزيز بن يحى الكنانى المكى
حققه وقدم له : الدكتور جميل صليبا
مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ، مطبعة الترقى بدمشق
سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م

(٦٧) خلق افعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل
للامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى
طالعه وترجم للمؤلف : الشيخ أبو محمد عبد الحق الهاشمى
الناشر : أبو خالد عبد الوكيل ابن الشيخ ابى محمد عبد الحق
الهاشمى طبع مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة

٦٨) درء تعارض العقل والنقل
لشيخ الاسلام ابن تيمية
تحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم
مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧١م

٦٩) كتاب الرد على الجهمية
للامام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمى
منشور عن النسخة المخطوطة فى مكتبة : كوبلي باستانبول
نشرها لاول مرة مع مقدمة وتعليقات بالالمانية : جوستا فيتستام
مكتبة ليدن سنة ١٩٦٠م

٧٠) الرد على الجهمية والزنادقة
للامام احمد بن حنبل
مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر

٧١) الرسالة التدمرية
لشيخ الاسلام ابن تيمية
الناشر مكتبة الرياض الحديثه بالرياض

٧٢) سفينة الراغب ودفينة المطالب
لمحمد راغب باشا

٧٣) كتاب السنة
لعبد الله بن احمد بن حنبل
المطبعة السلفية مكة المكرمة سنة ١٣٤٩ هـ

٧٤) الشامل فى أصول الدين
لامام الحرمين أبى المعالى الجوينى
حققه وقدم له الدكتور على سامى النشار وآخرون
شركة الاسكندرية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٩م

٧٥) شرح الاصول الخمسة
للقاضي عبد الجبار بن احمد
حققه وقدم له عبد الكريم عثمان
الناشر : مكتبة وهبه سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م
الطبعة الاولى

٧٦) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية
تأليف قاضي القضاة العلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد
ابن أبي العز الحنفي
تحقيق احمد محمد شاكر
مكتبة الرياض الحديثه بالرياض

٧٧) شرح الفقه الاكبر
لابي حنيفة شرح ملا علي القاري الحنفي
مطبعة دار الكتب العربية الكبرى ، مصطفى البابي الحلبي
بمصر سنة ١٣٢٧هـ

٧٨) شرح العقيدة الاصفهانية
لابي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية
يطلب من دار الكتب الحديثة لصاحبها : توفيق عفيفي

٧٩) شرح قصيدة ابن القيم
لاحمد بن ابراهيم بن عيسى
المكتب الاسلامي بيروت سنة ١٣٩٢ هـ الطبعة الثانية

٨٠) شرح القصيدة النونية
للامام ابن القيم الجوزية
شرح الدكتور محمد خليل هراس
مطبعة الامام - مصر

٨١) شرح المقاصد
لسعد الدين عمر التفتازاني
مطبعة دار الطباعة العامرة سنة ١٢٧٧هـ

٨٢) شعر الاخطل : (صنعة السكري)
تحقيق فخر الدين قباوة
دار الاصمعي للنشر والتوزيع بحلب

٨٣) عقائد السلف للأئمة احمد بن حنبل ، والبخاري ، وابن قتيبه ، وعثمان الدارمي
علي سامي النشار - عمار جمعي الطالبي
شركة الاسكندرية للطباعة والنشر سنة ١٩٧١م

٨٤) العقائد النسفية
لابي حفص عمر بن محمد النسفي
شرح مسعود بن عمر بن سعد الدين التفتازاني
وبهامشه حاشية المولى مصلح الدين مصطفى الكستلي على شرح العقائد
وتليها حاشية المولى احمد بن موسى الخيالي على الشرح المذكور
وبهامشها حاشية الفاضل الشيخ رمضان البهشتي
اعادة طبعة بالاوفست مكتبة المثنى بغداد لصاحبها : قاسم محمد الرجب

٨٥) عقيدة أهل السنة والجماعة
لابي جعفر بن محمد بن سلامه الازدي الطحاوي
تعليق الشيخ محمد بن مانع . المطبعة اليوسفية شارع دار الكتب المصرية

٨٦) عقيدة الاشعرى
للامام أبى الحسن الاشعرى
(مخطوط تحت رقم (٥١١) المكتبة الازهرية ومكونة من خمس
صفحات) ويوجد منه صورة ميكروفلم فى مركز البحث العلمى بمكة
المكرمة جامعة الملك عبد العزيز

٨٧) العقيدة النظامية
لامام الحرمين الجوينى
صححها وعلق عليها : محمد زاهر الكوثرى
نشر مطبعة الانوار سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

٨٨) غاية المرام فى علم الكلام
لسيف الدين الآمدى
تحقيق : حسن محمود عبد اللطيف
مطابع الاهرام التجارية - القاهرة سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

٨٩) الفرق بين الفرق
تأليف عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى الاسفرائينى
التميمى
حقق اصوله : محمد محى الدين عبد الحميد
يطلب من ناشره مكتبة محمد على صبيح وأولاده - الازهر
مصر (مطبعة المدنى)

٩٠) الفتاوى الكبرى
لشيخ الاسلام ابن تيمية
دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان

٩١) كبرى اليقينيات الكونية
للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى
دار الفكر للطباعة والنشر سنة ١٣٩٠ هـ - الطبعة الثانية

٩٢) كتاب اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع
للامام أبى الحسن الاشعرى
صححه وعلق عليه الدكتور حمود غرابه
مطبعة مصر سنة ١٩٥٥م

٩٣) مجموعة الرسائل الكبرى
لشيخ الاسلام ابن تيمية
دار احياء التراث العربى . بيروت لبنان سنة ١٣٩٢هـ -
١٩٧٢م - الطبعة الثانية

٩٤) مجموعة الرسائل والمسائل
لشيخ الاسلام ابن تيمية
لجنة التراث العربى

٩٥) مجموعة الرسائل المنيرية
عنيت بنشرها وتصحيحها للمرة الاولى سنة ١٣٤٣هـ ادارة
الطباعة المنيرية
الناشر : محمد امين دمج سنة ١٩٧٠م - بيروت

٩٦) المجموعة العلمية السعودية
حققها وراجع أصولها : الشيخ عبدالله بن حميد
مطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة سنة ١٣٩١هـ

٩٧) مجموعة فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية
جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القاصمى النجدى
الحنبلى وساعده ابنه محمد
مطابع الرياض سنة ١٣٨١هـ الطبعة الاولى

٩٨) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة
تأليف أبى بكر المعروف بابن القيم الجوزية
اختصره الشيخ الفاضل محمد بن الموصلى
الناشر : مكتبة الرياض الحديثة بالرياض

٩٩) كتاب المسامرة لكمال ابن أبي شريف في شرح المسايرة
للكمال ابن الهمام في علم الكلام
مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر
سنة ١٣٤٧هـ الطبعة الثانية

١٠٠) المعتمد في اصول الدين
للقاضي ابي يعلى الحنبلي
حققه وقدم له الدكتور : وديع زيدان حداد
دار المشرق ، المطبعة الكاثوليكية بيروت

١٠١) المغني في ابواب التوحيد والعدل
للقاضي أبي الحسن عبد الجبار بن احمد
قوم نصه ابراهيم الابياري باشراف الدكتور طه حسين
مطبعة دار الكتب سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م الطبعة الاولى

١٠٢) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين
لابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
مكتبة النهضة المصرية سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
الطبعة الثانية

١٠٣) الملل والنحل
لابي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر احمد الشهرستاني
تحقيق الاستاذ عبد العزيز محمد الوكيل
الناشر : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع القاهرة
دار الاتحاد العربي للطباعة سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م

١٠٤) ملحق شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير
تأليف : أبي البقاء محمد بن احمد بن عبد العزيز بن علي بن ابراهيم
الفتوحي الفقيه الاصولي الحنبلي

١٠٥) منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية
لابن تيمية وبهامشة بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول
لابن تيمية ايضا
الناشر : مكتبة الرياض الحديثة بالرياض - المملكة العربيـــة
السعودية -
مكتبة الجمهورية القاهرة - الازهر

١٠٦) منهاج الادلة فى عقائد الملة
لابن رشد
تقديم وتحقيق محمود قاسم
ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية
المطبعة العلمية الحديثة - الطبعة الثالثة

١٠٧) المواقف
لعضد الدين بن عبد الرحمن بن احمد الايجى وشرحه
للمحقق على بن محمد الجرجانى وبهامشه حاشية السيالكوتى
مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ الطبعة الاولى

١٠٨) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام
تأليف الدكتور على سامى النشار
دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ م الطبعة الخامسة

١٠٩) نهاية الاقدام فى علم الكلام
لابى عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستانى
حرره وصححه الفرد جيوم
الناشر مكتبة المثنى ببغداد